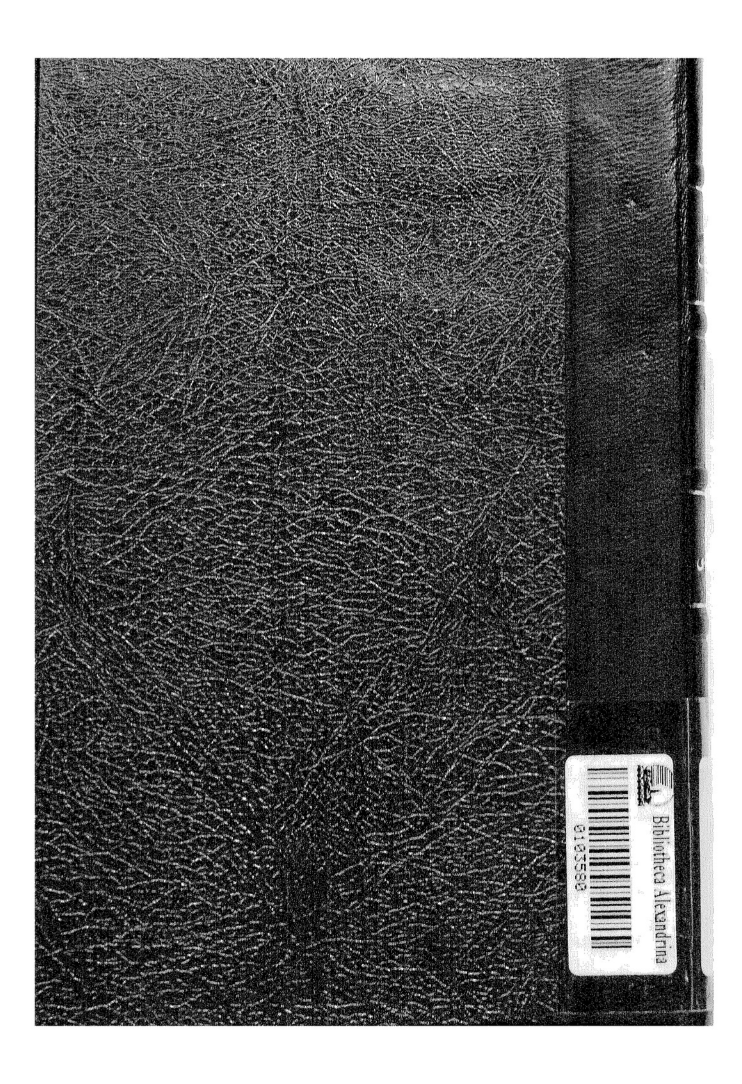
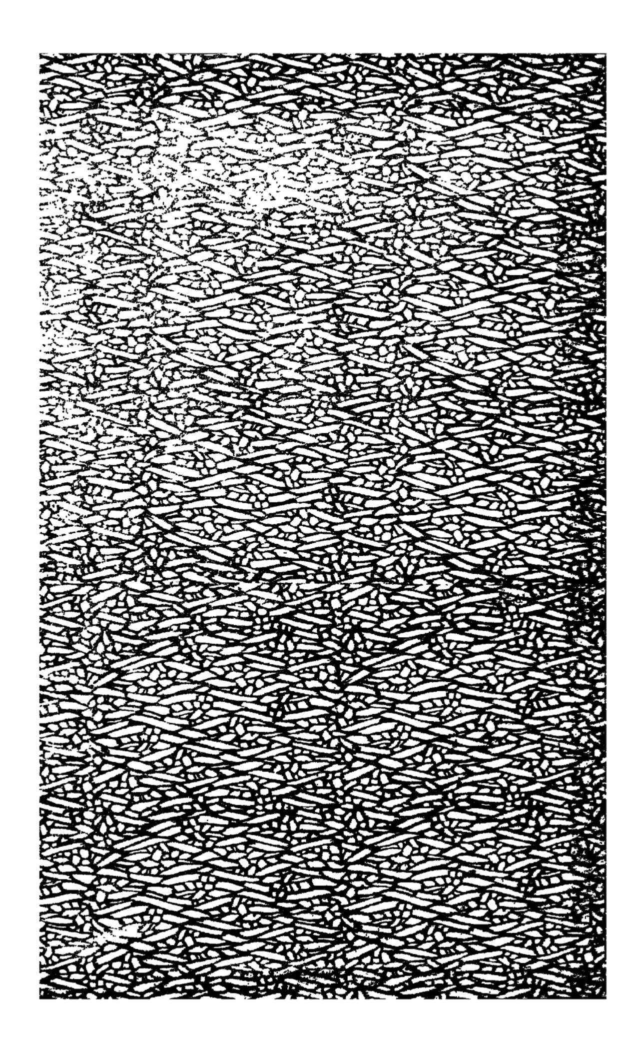
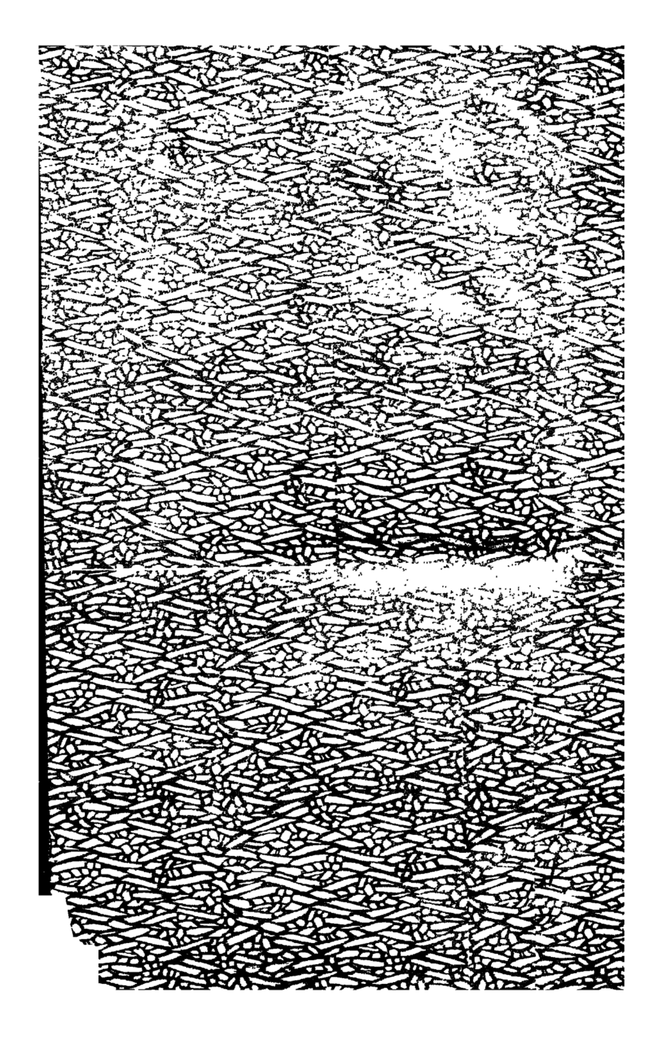
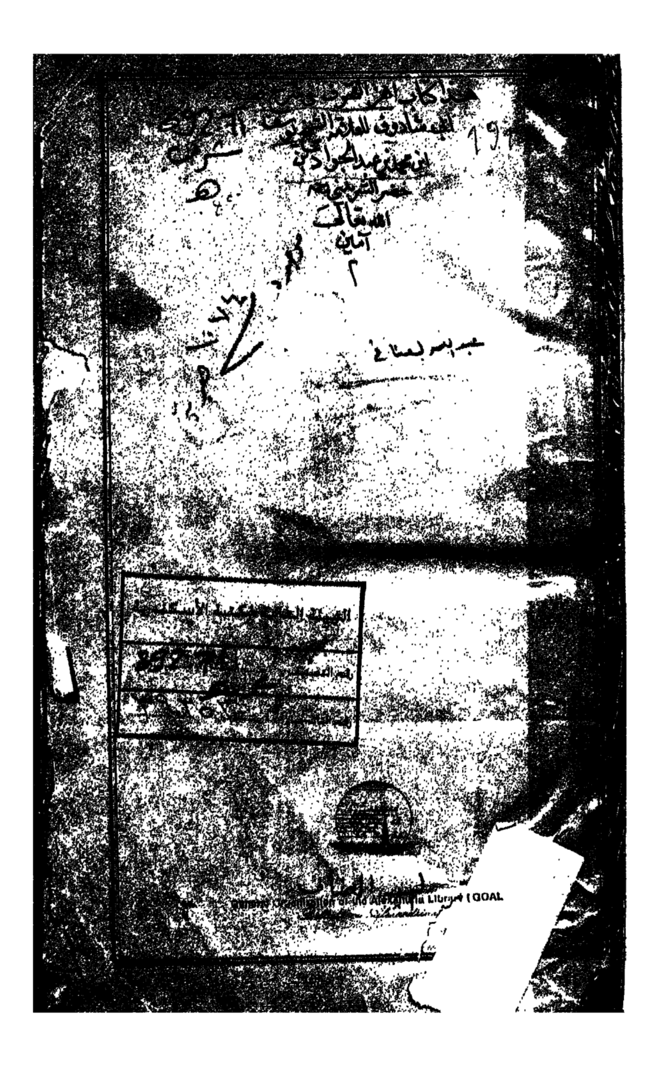

Bibliotheca Alexandrina
0103580







الله تعالى
آمين
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

الحمد لله الذي شرف نوع الانسان بنطق اللسان وخصه بعموم الفضل والامتنان
وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان
وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان وميز صاحب الذوق
السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان وخص اضداده ببعد الخلق وكثافة
الطبع كعوام الريف اراذل الجدران والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث
من افضل جرثومة العرب بني عدنان المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان
وعلى آله واصحابه الذين جعلهم الله لاقطا في جواهر العلم افنان وصلاة وسلاما
دائمين متلازمين في كل وقت واوان وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى
يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه انه مما من على
من نظم الارياف الموصوف بكثافة اللفظ بالاختلاف المتشابه في رصه لطين
الجوالس وجرى ذكره في بعض المجالس قصيد ابي شادوف الحاكي لبعض
الحروف اوطين الجروف فوجدتها قصيدة ياله من قصيد كانه عمل من سديد
اورص من نحوف الجريد فالتمس مني من لا تسعني مخالفته ولا يمكنني الا
طاعته ان اضع عليه شرحا كريش الفراخ او غبار العفاش وزوابع الساخ يحل الفاظه
السخيفه ويبين معانيه الذميمه ويكشف القناع عن وجه لغاته الفشروية
ومصادره الفشكلية ومعانيه الركيكة ومقاصده العبيطة والفاظه [illegible]
واتممه بحكايات غريبة ومسائل هبالية عجيبة وان اتحفه بشرح لغات الارياف
التي هي في معنى ضراط النمل بالاختلاف واشعارهم المختلفة من بحر التغابيط
واشتقاق بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه الشراميط ووقائع وقعت لبعضهم بالناس
في القاهرة ومصر وثغر بولاق وذكر فقهائهم الجهال وعلمهم الذي
يشبه ما الفخال وفقرائهم الاجلاف واحوال اولاد شيخهم والاطراف
وذكر نسائهم عند الهراش وملاعبتهن في الفراش التي هي اشبه بنط العرس
او برجة الخنوص وان اورد بعد كلام المتن بمعنى اذا قرأها السامع يحكي
طعم البول واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظها الناظر فكانك قد قطفت
زبل الغول واذا نظرت الى اشعاره فكانها رص القلقيل واذا تاملت معاني
كلامه فكانك تلوك زبل الخيل وان اصرح فيه ببعض نكات هزلية وحكم
هبالية على سبيل المجون والخلاعة والدبدبة والصقاعة حتى يشتهر شرح هذا
القصيد من دمياط الى رشيد واسوان لا يخلو منه اقليم ولا بلد من بلاد الصعيد
وربما اذا خلو ساعة من تواتر الالفاظ التي كالولائق وربما اعترى

قارئه ضرب من الطراش فهو اذا مر على المسامع يمر كالريح واذا مجه الطبع كالمرض الصحيح كما قال الشاعر الفصيح الملتقط بشعره من الدر الوضيح

اذا حققت ان اللفظ صوت ... وان الصوت معنى يا فصيح

فحقق ان تاليفي كلام ... تلذ به المسامع وهو ريح

وفي المثل في البحر سمك يفسي نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعوا ولا خليه ولا باس بوصف هذا الشرح بابيات كانها بول البنات فاقول

كتاب قد حوى فن الولاش ... كتاب قد اتى مثل الفراش

كتاب فيه اوراق وحبر ... وقول صادق مع قول لاش

وفيه يا اخي من كل معنى ... اذا ما ذقته طعم الحشاش

والفاظ به تحكي لبولا ... عليها رونق مثل العماش

وفيه مسائل حارت هبالا ... عليها سايل مثل القماش

وبه النظم مثل الطوب رصا ... وفيه مسائل جاءت بلالش

انا طالعته حقا وصدقا ... فلا تامن سريعا من طراش

وكل هذا لمناسبة الفاظ القصيد وحل معانيه التي تحكي قحوف الجريد فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن كما هو عادة القاطن في هذا الفن والظاعن فيا له من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك ولو نقش على عامود الصواري لتحرك ولو رسم على حجر لتشطر ولو القي في اليم لتكدر فهو جدير بان يرسم ببول الجحوش على حيطان الكنائس وحقيق بان يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس وان يلقى على رؤوس المزابل ولحق بان يرسم على جدران المكاسل فهو شرح عديم النظير في الكلام لكونه في معنى اوصاف الرعاع ولا له شبيه في التفاله لكونه في وصف ذي الرذالة واعلم ان كل شرح لا بد له من اسم يناسبه وعلم عليه يقاربه (وقد سميت) هذا الشرح هز القحوف بشرح قصيد ابي شادوف والمطلوب من القريحة الفاسقة والفكرة الكاسدة الاعانة على كلام اعرفه من بنات الافكار واسطره في الاوراق من قشاره وان يكون من بحر الخرافات والامور الهباليات والخلاعة والمجون ولفظ يحاكي كلام ابن سودون فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعة ولا يميل العقل فيه البلاغة والبراعة لان النفوس الآن متشوقة الى شيء يسليها

ففي مذهبي ان الخلاعة راحة * تسلي هموم الشخص عند انقباضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الا من عنده طرف من التمسخر والخلاعة والدبدبة والصفا

ولهذا قال الشاعر مات من عاش بالفصاحة جوعاً وحظي من يموج او يتمسخر وقد تساق الارزاق لمن لا يدرك الخط في الاوراق ويحرم صاحب البلاغة ولا يجد من القوت بلاغة ولهذا قال الشاعر

رزق التيوس بجبهها بسهولة ... وذووا الفصاحة رزقهم مسجون
ان كان حرماني لاجل فصاحتي ... يا من على من التيوس اكون

وقال البوصيري الاديب رحمه الله تعالى مواليا

رب الفصاحة عديم الذوق يتعاب له ... والابله التيس يتصدر ويتعظم
يا رب ان كان حرماني كما تعلم ... امنن على اكون تيس بن تيس بن لم

وقال ابن الراوندي

يا قاسم الرزق كم ضاقت بي الحيل ... ما انت متهم كل الحمد من اتهم
تعطي اليهود قناطير مقنطرة ... من اللجين ورحلي ما لها قدم
اعطيتني حكمة لم تعطني ورقا ... قل لي بلا ورق ما تنفع الحكم

فالشخص يكون مع دنياه بحسب حاله ويداري وقته بما يناسب لاحواله ويكون حذرا من دهره وصولته ويرقص للقرد في دولته ويعاشر الناس على قدر احوالهم ويدور معهم ويمشي على منوالهم ويندرج في مدارج خلاعاتهم ويظهر في مظاهر براعاتهم كما قال بعضهم * ودارهم ما دمت في دارهم وحيهم ما دمت في حيهم * وما احسن العشرة مع بعضهم * يعنك الكل على بعضهم * وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا قليل وهم النفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا انه فقير الحال فدلوه عليه فلما حضر بين يديه اكرمه وعظمه واعلى منزله وصير له رزقا من وقف ثم ولبس عليه النعم فلما رأى نفسه في هذه الحالة تعاظم على ابناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر ارباب الدولة فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة واراد الملك ان يصلي في بعض المساجد ارسل السجادة ففرشت له في ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك انهم اصطنعوا صليب صغير من الذهب والجوهر واعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له اجعله تحت السجادة تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بك ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة واراد الملك الانصراف واخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فانكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رؤي هذا الصليب تحت جبهة الامام فقالوا هذا كافر مستتر عليه فغضب الملك وامر بقتله فلما مرت جنازته انشد بعضهم يقول

تالله تعاصلها سقفا عدلا ولا فقط اثم ... فاجابه آخر بقوله

كان لا يدري مداراة الورى * ومداراة الورى أمر مهم

فالسلامة في مداراة الناس وحسن الانطباع معهم بلطف الانبساط وان يكون
الشخص متنقلا في أطوارهم دائرا تحت فلك دوائرهم كما صرحت ذلك في بعض الابيات

فطورا تراني عالما ومدرسا * وطورا تراني فاسقا ملعوسا
وطورا تراني في الغرام عاكفا * وطورا تراني سيدا ورئيسا
مظاهر ان تحققت سرها * تريك بدورا اقبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا وما رمزنا به ورقصنا والشخص تغلب عليه علوم فنه
والزام لا يخرج عن فنه وقبل الخوض في بحر هذا الكلام والمشابهة لدر جنس
النظام نذكر ما وقع لعوام بعض اهل الريف ووصف طعامهم الكثيف واخلاقهم
الرذيله وذواتهم الهبيله واسمائهم المقلبه وحروفهم المشقلبه وقصائدهم
المشرمطه واشعارهم المخلبطه ونسائهم المزعجات وما لهم من الدواهي
والبليات فنقول اما سوء اخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم
وملازمتهم لشيل الطين والعفار وعدم اكتراثهم باهل اللطافه وامتزاجهم باهل
الكثافه كأنهم خلقوا من طينة البهائم كما قال في ذلك الناظم

لا تعجب الفلاح لو انه * ازراطها ضاعله
ثيرانهم قد اخبرت عنهم * بانهم من طينة واحده

رعاة الجمل

فهم لا يخرجون من طور الكثافه لملازمتهم المحراث والجرافه وهم تحوقهم حول
الاجران وطردهم في الملق والغيطان ودورانهم حول الزرع ونطهم في الحصيده والقلع
ودوسهم في الجله والطين وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين اذا الواحد منهم لا يعرف غير الحزام
والنبوت والنقر والبنوت والساقيه والقرقله وشيل الطين والجله والعياط والغا
والطبله والزماره والحدوة خلف قفاه ومزراقه وهزرداه وحزام الليف
والتبن والشنيف وتكلفته المشرمطه وصورته المخلبطه وطربوشه الدنس
وزره الفلس وطرده للغارات والدواهي والبليات ومشيه حافي في الحر
والحلافي وعياطه في الظلام ياسعدا ويا حرام فيجتمع عليه القوم ويقع منهم
على البلاد الهجوم وهم سعد وحرام ويخرج اليهم الاحزاب بالتمام فيقع بينهم الحرب
والعناد وتخرب بسببهم البلاد وتقطع الطريق على العدو والصديق ويترتب
على ذلك المفاسد وتمتنع عن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم
وسوء اخلاقهم وعدم اتفاقهم اذ كلهم في الظاهر يسلمون والقتل عندهم مثل
الديون وايضا عندهم قلة الوفا وعدم الامانة والصفا الا بدون الغرض ولا يعرفون
السنة من الفرض ان عاملتهم اكلوك وان نصحتهم ابغضوك وان اقمت لهم

والشرع رفضوه وان المنت لهم الجانب مقتوله العالم عندهم حقير والظالم عندهم كبير امورهم معاندة وليس عندهم فوائد عندهم قابض المال اعز من العم والخال سود الوجوه اذا رأوا معروفا انكروه كما قال الشاعر في المعنى

اهل الفلاحة لا تكرمهم ابدا ... فان اكرامهم في عقبه ندم
يبدوا الصلاح بلا ضرب ولا الم ... سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا قاموا افراح لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب والكرب وربما وقع فيها البطح والضرب وشاهدنا كثيرا من افراحهم وما يقع فيها من عدم نجاحهم وسيأتي كيفية افراحهم واعراسهم وعلامة ذوقهم مع جلالة سهم واما اكرامهم للضيوف فهو هز الارديه والصفوف والجلوس على المساطب ونفش اللحى والشوارب وان حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيسار والكشك الحامض بالفول او نوع من المدامس والبقول ولو مكث الشخص منهم مدة في مصر ودمياط لم يكتسب من اللطافة قيراط وبعض اكابرهم المشار اليه والمعول في الامور عليه اذا طلع مصر لمقابلة الامير او قضاء حاجة من الوزير ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشي حافي بلا مركوب وامورهم ليس لها انضباط واحوالهم شياط وعياط ووردهم عند الاسحار التفكر في الغنم والابقار * وتسبيحهم في الظلام هات التبوت والحزام وحط العلف وهات الكلف

قال الشاعر في المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة في القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * علق لثورك جاء لك الحراث

فهم لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عوراتهم عند الاستنجاء على الفساقي مكشوفة وثيابهم بالنجاسة مكفوفة يجمعون لحاب المال في المساجد وليس فيهم راكع ولا ساجد اولادهم دائما عريانين وتراهم في صورة المجانين الرحمة فيهم قليلة والرأفة متروكة ذليلة كانه يكتب لطرد النمل بلا امرار حل ايها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى (ومن وصايا الامام مالك) للامام الشافعي رضي الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وجاهك وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى المدن فانما المقت اذا نزل في بلاد الريف طوفان يكون في المدن كحال الرجل (قلت) واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت فير فالساكن في الريف معدوم اللذات لانه دائما في انقباض وطرد وجري وكر وفر وحبس وضرب ولحي وسب وهوان وشبات وشيل تراب وحفر ابار وخروج للعونة على

جهة السخرة وتعب شديد بلا اجرة واذا كان ذو فضل ضاع فضله او ذو عقل
ذهب عقله او ذو مال اغروا عليه الحكام او ذو تجارة نهبوه في الظلام فالحق عندهم
مضاع والباطل عندهم مذاع وحكم الله ليس له انفاذ فاع فلنذكر طرفا يسيرا من
اسمائهم وما يكنون به فنقول اما اسماؤهم فانها كاسماء العفاريت او رقع
الشلاتيت فيسموا خيجل وجليجل وعفرود وجموم وزعيط ومعيط
وقسيط وشلاطه ولهاطم وشقلسط وتقليط وصفادوه وهوار وجمار وعمران
وشعوان وسمسوت وبرغوت والعفش والنبش وكسبر وقفندر وجنين
وبنين ومحمد بكسر الميم والحاء المهمله ومحامد بكسرهما ايضا وغير ذلك من الاسماء
وان كانت لا تعقل فان اسماؤهم هذه تشبه التقلب وقد يسموا بالفال كما
اتفق ان رجلا ولد له غلام فسمع رجل اخر يقول يا اعمش العين فقال نسميه
عموش فسمي بذلك واتفق ان رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول
لاخوهات الزبل فقال لامها نسميها زبيله فسميت بذلك وزبيله تصغير
زبله وزبله تصغير فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من
الزبالة والزبلة على وزن نجله او نخله او نمله او قمله وقال بعضهم في هذا المعنى

ووزن زبلة لديهم نخلة * ونملة ورملة ونخله

وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم
ان زوجته ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لاخر دم الحس قفاك فسماه بذلك
ثم ولد له ولد ثان فسمع رجلا يقول لاخر شاربك في الخرا فسماه بذلك ثم ان
دم الحس قفاك كبر وانتشى وكذلك شاربك في الخرا بلغ من العمر عشر سنين
فارسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دم الحس قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك
في الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق في يوم من الايام ان دم الحس قفاك قال لاخيه
شاربك في الخرا اقصد بنا يا اخي الذهاب لبحر النيل لنسبح فيه فقال شاربك
في الخرا نعم السمع والطاعة فتوجه دم الحس قفاك هو واخوه شاربك في الخرا
الى ان اشرف على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس قفاك ماهر في العوم واخوه
شاربك في الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفاك اخاه شاربك في الخرا
فضايق شاربك في الخرا واشتد به الامر واشرف على الغرق فالتفت اليه
دم الحس قفاك فرأى شاربك في الخرا في شدة عظيمة فاقبل عليه ووضع يده تحت
ابطه واسنده على ظهره ولم يزل يتلطف به حتى اوصله الى البر فلولا ان
دم الحس قفاك سبق والا كان شاربك في الخرا غرق ومر رجل فرأى ولدا ضرب
اباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام ان لابيك عليك حق

انه لا تنهره ولا تزدريه ولا تحسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له يا سيدي وانا الآخر لي عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له ان يحسن اسمي ويعلمني القرآن والذي يرشدني الى الحسن الصنائع وهذا سماني دبوس وعلمني اشيا المجوس وصيرني بين الناس ملبوس افلا اضربه واسخر به واسبه فقال له بل صكه بالنعال فانه مستحق لاقبح الفعال (ومرجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له ما اسمك قال تنور قال وامك قال شرارة قال وابوك قال لهب قال وفي اي واد انت قال في وادي النار فقال له رضي الله تعالى عنه اذهب الى واديك فان اهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضي الله تعالى عنه والاسماء تدل على لطافة المسمى او على كثافته وفي كلام اهل العلم والتاديب كل احد له من اسمه نصيب (واما كناهم) فابو شعرة وابو بعرة وابو عفرة وابو عموم وابو شادوف وابو جاروف وابو مشكاح وابو رماح وابو بطاح وابو نقرب وابو مطر وابو هودج وابو حذق النورج وابو صلام وابو شقر وابو قشقوش وابو جريك وابو طعيمه وابو بليله وابو زقلول وابو سيسي وابو جاهسل وابو فصاله وابو زباله وابو بعبوص وابو نموس وابو لبده وابو زعيط وابو معيط وابو زعيزع وابو شعيشع وابو صابر وابو طرطور وابو عوكل وابو زغابه وابو طريف وابو قدح وابو عريش وابو شيشه وابو قلوط وابو كانونه وابو مقلد ويلقبون عمران القليط وعمير القرط وقديسه وشعير وبعير وعنطوزة الباب وشلاطه مطاوب ومهدا العتلاية وكسير الشعليه وبربور الهبله ولهاط الزبله ومثال الجله ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون السائل) بلفظ هاه وهيه وايش مالك واي مالك وابهاه مما هو مشهور بينهم (واما اسماء نسائهم) فمن معنى اسمائهم فيسمون زعرة وبعرة وهيلله وميكله واخطيطه وحويطه ومعيكه ودميكه ودكيكه وشنايه وشراره وزراره وعلاره وبصاره وشلبايه ومطايه وعليوه وحليوه وهديه وبليه ولبده وفده وشهر ولمه وبلمه وسروه وسروه وفموه وشربوه (ويكنون) بام حعيص وام معيص وام دميع وام عرام وام زوام وام شقيره وام صغيره وام شواهي وام دواهي (ويلقبونها) بجلابيه وكرسايه وغاسوله وفاره وفاره وفاره فهذه اسماء والقاب وجودها كالعدم وانما هي الفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه تقول له تحول لك من الحيط كما اتفق ان رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته

عند الجيران فيا بابها يا داهيه يا داهيه فقالت له تجي لك من الحيط فقال لها تعالى انعشي فقالت لبنك يجزي كل انت وقال رجل منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجي لك يا عنطوز واما اولادهم فانهم مثل اولاد الهنود واولاد القرود دائما في شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم مكشوف غارق في الجله والساس ونومه في المدود وشربه من المترد واكله من الجله ولعبه حول الجله يشخ ويخرى في ثيابه دائما في سخامه وهبابه عره في الدناسه وامه في نجاسه واذا دبج في الحاره لا يعرف غير الطبله والزماره والطرد وراء الثور والعجل وسخامه في الجله والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه دائما في تنغيص خالى من التنظيف وكلهم خوف من خوف الريف ❁ *

واما نساوهم عند الجماع فانهن في حكم الضباع بيخلن الاقران ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم روايح الدمس حتى يصيروا في قلس ثم ينضجعوا على شيء من القش وما تيسر من القصل والعفش بعدا كلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كانه حمار ثم يضم زوجته اليه وهي تتشقلب عليه فيظهر من بين الاثنين روايح الجله والطين وتغطيه رجليها وتنظر الى عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول احيه خبات داهيه احبلت جتك مصيبه احيه جتك غاره فتخنقها بليه وجاعها بذيه وربما جامع الشخص زوجته في مدود الحاره او في الغيط جنب العباره وقد تمكث المراة منهن الجمعه لا تغتسل من الجنابه وكذلك الرجل بتحقق في اعظم الدناسه وعدم التوفيق * ❁

واما اعراسهم فانها مثل قيام الغارات او تعفير الكلاب في الحارات * يدوروا بالعريس دوره وهم في غاره او غوره وعائط وصرخات ودواهي وبليات وزعيق وعفر وصياح وغفر والكلاب تنبح والشعر يمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والاولاد تنشط بالشلاتيت وربما كانوا في هزل صاروا في جد وربما هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين وتحرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على قش او حصير او برش من براش البير ويأتوا له بالعروس كانها خيال ماتوش منقشه بالحير والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريت تصيح والجدعان تمشي بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوفا من النظره وقد خلطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت بهذه * الفعله وهذه الحالة للخيبة بين الورى وجميع العالم مثله وهذا من اقبح افعالهم واتعس تحوالهم اذ لا يجوز هذا في الشرع ولا يقول

البصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها على شيء عال ويأتي اليها الطبالـ ـ وينشدوها
الاشعار بما هو مناسب لها بالاعتبار شعر (ياعروسه يا ام غالي * انجلي ولا تبالي
انجلي يا وجه بومه * زاعقه وسط الليالي) (وجهكي بالنقش يشبه * وسم ضبعه
في الرمال لك مسخه شعر يربط * فوق راسك لا محال) (تشتهي به ام مجبر *
دائره وسط الثلاثي يا عريس قم خذ عروستك * واطلع بها فوق العلالي * واوشل
الضبه زنا مو ا * فوقها جنح الليالي واشغري لدواغيني * بالدواهي والهبال *
تصلحي له يا عروسه * تم امرك بالكمال ثم انهم يجتمعوا حول العروس وينادي بينهم
رجل فلفوس بيده شعله من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقي في امان
هاتوا يا انسا يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذي يرى نصف
او نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كانها وجوه التيوس وينادوا
في والاشعير والاسمسم مقشور عزيز فان كان العروسه مليحه قالوا قح زريع او سمسم
مقشور وان كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق المسور ثم انهم يدخلوها الى الفرن
او البيت ويسرجوا لهم بشيء من الزيت ويفرشوا لهم شيء من التبن او القصل
ويضعوا لهم وساده محشوه من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم
بالحجاره على الاعتاب فان اخذ وجهها هنوه والاجرسوه وهتكوه وقالوا له شرقت
البلاد وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكه وفرحهم مصيبه ووليمتهم الكشك
والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز باللبن يشبه
طعام المجانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الدهكش حيث قال في القصيد

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جو المساطح
نصفها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
واخرجتها المنوم الزرنيه * بقاشي يقول مشمروشي فاضح
وصبحت تمنينا اكا بر بلدنا * علينا تقال العيش مسلوسايح
هدا دينه تخبط طلقل ركبتي * وانا بلا وليه قليل المصالح
وتجلس تجنبي ابن جحو وابن كمرا * وابن الغفير وانا اروح رواح

اي جالس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان
الاعاده قد ذكرهم لىس فيها فاده * فقد افردت ذكرهم بمؤلف فراجعه ثم انهم
عند الصباحيه يجمعوا المشاة الظهريه ويجعلوا بينهم وبين العريس
حكومه لا قدرهم ولا قيمة ويجتمعوا مع بعضهم البعض ويرجعوا
في طولها والعرض ويقولوا حكمنا عليك يا فلان قوم هات العيش والمش ورطل
ادهان فياكلوا ويبطلوا ويتسلوا ويحطوا ويأتوا بالحجاره اللخاب
اربع الكيل ويصيروا في عياط وشياط الى الليل وينسبوا لهذا اليوم

المروبه وامورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة ايام يخرجوا العروسه بالتمام *
ويكشفوا وجهها ثاني مره ويجعلوها للناس شهره ويأخذوا ايضا النقوط
من الناس واحوالهم في انعكاس * (ذكر وقائعهم) * حكي ان
بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى راسه
لبده مشرمطه ولابس خلقه مقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال
عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسه وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه
من الحفا وشدة البرد وهو في حالة مكربة فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل
فقال له يا ملك هذا من فحوف الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والنصب
والهم والغم والطرد والجري وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده
للعبادة والصلاة فيصير في هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير
الثور والمحراث فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا علمناه القران واشغلناه بالعلم والبساه *
ملابس الشعر يتغير طبعه ويرق قلبه ويخف ذاته وينتقل من طرف
الكثافه للطور اللطافه فقال الوزير ايها الملك اما سمعت قول الشاعر

لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر في ضرعه
من كان من جميزة اصله * لا ينبت التفاح من فرعه

وقال آخر

الطبع والروح في جسم لقد خلقا * لا ينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه * (وحكي) * ان
رجلا اعرابيا مر بقارعة الطريق فراى جرو ذئب صغير فرحمه واخذه الى منزله *
وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى ان كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها
وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي وراى ما فعل انشد يقول

شعر

غذيت بدرها ونشأت فينا * فمن انباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا اديب

ومن ذلك ما حكي ان جماعة قصدوا صيد ضبعه فالتجأت الى اعرابي ودخلت منزله
فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لا تتعرضوا الضيفي
فانه قد استجار بي فقالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون
ابدا ولا اسلم لكم ابدا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يوما ليغتسل
فلما ابصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل

لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف في غير اهله * يجازى كما جوزي مجير ام عامر

اعد لها لما استجارت بقربه * من الدر البان اللقاح الدوالس

واشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانيابها واظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بمذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو طلبة الحكمة وقدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم اجلاف غلاظ كانهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه

هل في الانام رأيتم * جلفا رقيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصا دنئ الاصل اذا ادعى العلم والفضل كما اتفق ان امراة ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهي متضررة منه وراغبة في فراقه فارسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى شيخ دنئ الاصل تعلم العلم فدبرها ان تدعي انها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي الى ان تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وانها تابت ورجعت الى دين الاسلام واخذ على ذلك منها شيئا ففعلت ما امرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا ان لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه وفي هذا المعنى قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فمن منح الجهال الخ وكذلك يا مالك الحكاية المشهورة وهي ان رجلا دنئ الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فراى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلاباني ورحمه وقال له ادخل لاغذيك [illegible] فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فاكل حتى شبع واذا عسس المدينة مار ينادي على اهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك صناع الزلابية ان يسخنوها ولا يبيعوها طريه فقام هذا الرجل الكثيف واخذ بعضا من الزلابية وعجنها ببعضها وقال للمحتسب انظر الى هذا الرجل يباع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فاخذ المحتسب صاحب الزلابية وضربه ضربا مؤلما

فالتفت الى هذا الرجل ردئ الفعال وقال له ماذنبي معك وانا اشفقت عليك
واطعمتك حتى شبعت وتصدقت عني فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال وابوك قال
فلان قال وامك قال هي جارية سوداء فقال الصائغ الرزايه لا الومك ابدا
جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه اخرجه من دكانه ومضى الحمال بسبيله
وفي هذه الحكايات يا ملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لا بد من اخذه
وتعليمه ولا اركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فاخذ الفلاح وانعم عليه
والبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن
وبرع في علم الرمل والحروف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر
الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصحه للملك في عدم اخذه وتعليمه فارسل اليه
فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الآن ترقى على غاية من العلوم
وصار له براعة في علم الرمل والحروف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير يا ملك
اختبره وانظر طبعه وخلقه فارسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني انه صار لك
قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادي ان
اضمر على شيء وتبينه لي فقال افعل فاهوى الملك وقطع ساعة واطبق عليه يده
واتى اليه وقال له انظر ما في يدي فاقام الاشكال وقال في يدك شيء مدور
قال نعم قال وهو خالي الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة
زمانية ثم قال اظن والله اعلم انه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال
غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى
حالته الاولى وقيل التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر
احوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل في دار الحكم وتسمى عندهم دار المشد
اقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون واماهم شيخ كبير قد طعن في السن
وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو امام القوم اكرمه وقام اليه
واجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال في نفسه لعل من اهل الصلاح لان ما في هذه
القرية اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان
والغرامه وانه يجتهد ولو يطيقوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند
ذلك قام الشيخ الكبير ووقف بين يدي الامير وقال له اني اريد ان انصحك
ايها الامير وارشدك الى الحق تفعل فان انت فعلت به فاقوا الى انفسهم وسدوا
المال فقال له الامير تكلم يا شيخ فان ما فيهم من هو اكبر منك سنا واعلى
قدرا فقال انه كان في هذه الضيعة انهدم ذا الجامع الذي في وسط
البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة الى ان يقولوا عليها الناس ويتركوا
مصالحهم فاذا انهدم فاقوا الى الزرع والقلع وسدوا المال ولو ان

طا وعيتهم يا امير وسرت كل يوم ادخل الجامع كان انكسر على مال السلطان وما
تقضي في طول عمري ما اعرف دي الصلاه الى يقولوا عليها الناس ولا دخلت الجامع
ابدا قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له انت رجل
طال عمرك وساء عملك ثم انه علق في رقبته الاوطيه واركبه حمارا معكوسا
ونادى عليه حوالي البلد بعد ان ضربه ضربا موجعا واخرجه من القرية على
اسوء حال (ومما يحكى) ان ابا نواس جلس هو والخليفه هارون الرشيد
في محل المداعبه فحضر بين يدي ابي نواس صحن من الخشتانات المحشو
بالسكر وصار يأكل هو والخليفه فقال الخليفه يا ابا نواس هل يمكن ان
احدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون واضرابهم
فانهم اناس نشأوا في اكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا
غيره من المأكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لابد ان تحضر لي رجلا
منهم في هذه الساعه والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفه متحيرا يمشي
في شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكي سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى
ركبته وقد انسحت وتمزقت من سائر الجوانب واذا اراد ان يتحزم عليها انكشفت عورته
واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسه وعلى راسه
لبده من الصوف طويلة مثل القمع دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله
خلف قفاه وبيده رغيف ذره يأكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت مثل المرتاب وهو في حيرة
لا يدري اين يذهب ويأكل وينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه ابو نواس
في هذه الحالة عرف انه قحف من قحوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير
في نفسه ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن انه يريد ان يأخذ الرغيف منه فخبأه
في عبه وقال له يا جندي انا ما معي شيء تاكله غير هذا الرغيف وانا انا اعطيته
لك قتلني الجوع وانا عمري ما طلعت هذا الكفر وانا بانظر فيه جنادي كتير مثلك ودود
مثل دورنا وخايف من الجنادي لا يقطعوا راسي فقال ابو نواس في نفسه الحمد لله
الذي اوقعني في هذا فهو المطلوب الذي لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام
وقال له لا تخف ولا تحزن فما لي حاجة برغيفك ولا انا جيعان ومرادي اغديك غدوة
عظيمة فقال له حيا لك الله يا جندي وانا الاخشي لما تغديني وتبيض
وجهي ازورك باربع بيضات وان قفست وزتنا اجيب لك وزه خضرا واجيلك
صاحبي ولا تخلي احد يقطع راسي لاني خايف افارق روح الكفر بلا راس
قال فضحك عليه ابو نواس من جهله وخيانة عقله وقال له ابو نواس
امض يا هذا الفلاح معي في هذه الساعة لاغديك واسرك واصافيك
قال فسار معه هذا القحف الريفي وهو لا يدري ما هو متوجه والى

الى ان وصل حتى اقبل على ديوان امير المؤمنين هرون الرشيد فلما رأى
الديوان وكثرة العساكر بهت وصار فى امره واندهش وقال الله وكبر القيامة قامت
ودا المحشر لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابو نواس وقال له لا تخف ولا تخش
من شىء وضمانك على فقال له يا جندى اخاف العرض على ربى من الحساب يحاسبنى
على ضرب البهايم ونيك الحمير فى الغيط لانى ما خليت حماره فى الغيط الا نيكتها من
خوف لا اهجم على نسوان الكفر عسكنى المشد يقطع راسى وباسمع الناس وهم
يقولوا كل من نكح دابة تجى يوم القيامه وهو ماسكها وانا نكحت دواب كثير حتى
الكلاب ولا اقدر احملهم فى هذا اليوم وانت تشفع لى عند ربى ليسامحنى
فى هذا اليوم ما فعلت فقال له ابو نواس لا تظن ان هذا يوم القيامة وانما هو ديوان
الخليفه هارون الرشيد السلطان فقال له يا جندى انا ما رايت مثل هذا المحل
ابدا ولكن ما يكون الخليفة قال هو السلطان الذى يقبض المال من بلاد
الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان يقطع روس الفلاحين
ولا يخلى فلاح من غير قطع راس واراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سأل عن
القضيه فاخبروه بها فضحك وارسل يطلبه قال فاخذه ابو نواس واقبل به على
الخليفه فقال انا فى جيرتك يا رسول الله يا بو زعبل يا بو عنطوز يا مشايخ الكفر
خلصونى قال فامر الملك ان يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه
ثم انه نظر فراى الخليفه جالسا على الكرسى وعلى راسه التاج الكسروى فقال له
انا فى جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفه وقال له يا فلاح من اى
البلادات فقال له انا من كفر ابو زعبل وانا شيخ الكفر وعندى بيت ملآن
تبن وقصل وعندى عنز ومركوب احمر وحماره راس السامعين وعندى
فرختين وديك وشوتين عظم وخف طويل مثل خفك دا يا خطيب فضحك
عليه الخليفة وقال له من احضرك عندى قال هذا الجندى صاحبك لا جزاه
الله خير وكان حراده ياكل رغيفى دا ثم انه اخرج الرغيف من
عبه واراه للخليفة فقال له الخليفه انت جعان فقال له ذلك الجحف
يا خطيب صاحبك او عدنى بالغدوه قبل ان آجى الى هنا فقال له
الخليفة ما تشتهى قال العدس والبسار فهات لى عدس ومترد
بيسار ورغيفين ذره وانا اخلى ام خطيطه تدعى لك
فقال له الخليفة اجلس يا فلاح قال فقعد ومد رجليه
بحضرة الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه
وربطه فى حزامه خوفا عليه ان يقع من وراء ظهره قال
فامر الخليفة الخدم ان يقدموا لذلك الجحف الصحن الذى فيه

الخشتنانات فقدموا اليه فلما راى الصحن قال يا خطيب المسلمين
اعطني من دا اللتر دكوره الصبيها في الكفر انا وابو دعموم واولاد الكفر قال
فضحك عليه الخليفة وقال كل منهم كوره فقال يا خطيب المسلمين الكوره تنأكل
فقال له كل على بركة الله تعالى قال فاخذ الفلاح واحده ووضعها
في فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها في جوفه صار ياكل اربع حبات
سواء ويجعها في يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو في
حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح ما يكون هذا الذي
تأكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين طول عمري اكل العدس
والبيسار والكشك بالفول والمدمس ما ريت مثل هذا ابدا الا اني سمعت
ام معيكه جدتي تقول نعيم الدنيا الحام والله اعلم ان دا هو الحام الى يقولوا عليه
الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك يا فلاح كل واشبع
فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وجهك لما اروح الكفر ازورك بحل
جلة وحلاب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات وانت الاخر ما تحرمني من
نعيم الدنيا دا لما احضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وانعم
عليه واذن له بالانصراف ومضى الى حال سبيله *
(ولقي)
بعض اهل الارياف صديقا له وقد اشتري بردة من الصوف فقال له دي
بردتك فقال له عدلك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال له بداهيه كبيره
فقال له تلفك وتلف وليد اتدح في الشتا * (وجلس) * بعض اهل الارياف
بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكي وقال له يا ابويا فحل الفراخ
مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضي ديك والعام دا ديك
احنا يا ولدي اصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه
عزوه وصار كانه مات له ميت (وولدت) لشخص منهم حماره فلقيه صديق
له فقال له حمارتك ولدتك فقال له وسيعت فقال له ما جاب الله فقال له
جحشا كيفك سوابسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحياة * (وعطس) *
رجل منهم ايضا فقال له فقيه من اهل الريف يرحمك الله عطستك ولو شئت
لعطستك ولخرج العطسة من قبر قراتي الي خلفك فقال له الفلاح يا فقي لاعدت
تنسانا من دي السورة تقراها علينا في المسا والصباح واعطيك ايام
المقات اربع بطيخات وتقرا السورة لام معيكه وتهديها لابو زعبل فانه مات
من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله * (وجلس) *
جماعة من اهل الارياف يتحادثون في احوال الزمان اقباله وادباره فقام رجل
منهم يقال له ابو عفره وسحب رداه واتكا على عصاه ثم ضرب بها الارض

فقال

وقال لهم يا شيوخ العرب والكفر زمن الفرج الى ولى وراح ولا بقى فى الدنيا خير
ولا عاد يجى زمان مثل زماننا الى كنا فيه وما نحصل ايام الاعياد والمواسم
فقالوا له الله عليك يا بو مقرع احكى لنا على زمن الفرج الى شفته فقال لهم
رحت يوم عيد الله واكبر انا وابو معيكه وابو دمومه وكان عندى ابنى فرخ
الليل ولد صغير واحنا بنجرى مثل الكلاب السعرانه وانا نافش وعلى ردا من
محار الكتان شريته بنص فلوس جدد الدراع وجبه صوف خدتها بخمس جدد
الدراع ولباس خدتها بعتمانى وانا مزوق على العيد كيف عنز الضحيه وتحزمت
بسير وسكين خدتهم من سوق هرميط بار بعة انصاص فلوس جدد وعلى
راسى شد مشنير خدته من سوق بيشله بنصين فلوس جدد وبنوت
كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ الكفر
كانت سرقته ام زعيل من واحد حضرى دخل دارنا الى على البركه بالانهار
ليشترى بيض رحت انا والجماعه نشترى مصالح العيد على الطريق الى تطلع على
الكفر بتاع ابو عنطوز نمشى عليها كيف كلاب الغنم وكنا لقينا واجد ج
جدى بالتخاين خمسة ارطال لحم ثم وقفت انا واصحابى على راس صاحبه وهو
عمال يسلخ فيه فقال ما تطلب يا شيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع
يا عرص يا راس الدقماق وحياة ام زعيل ان كنت ما تكارمنى اليوم وترضى بى
والا ما علت تدبح جدى ولا تكليه فقال لى يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا
السقط فقلت له اطلب السقط اقسمه بينى وبين اصحابى كل واحد ياخذ
تلته فاخذت منه السقط بعد عياط وشياط وضراط وحياة الحاكم بابا ولاد
كفرنا بنص فلوس جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا
شيخ وتورد على الجدعان اليوم المبخ ولغرفه وانا معود فى الكفر والا ما كان اعطانى
السقط فقسمناه احنا الثلاثه كل واحد خد بجد يدين ولكن واحد من شركائى
غاد على وخد رجل زايده وانا سرقت ودنين او ودان الجدى وطلبت اسرق سنه
من اسنانه اعلقها لابنى عفره على راسه تمنع عنه النضره اتقلوا على شركائى
وقالوا لى يا ابو عفره لا تخون الامانه ان جات الاسنان فى حصتنا خد ما تريد
فتركت الامر وخدت حصتى فى طرف ردايه وكل واحد من شركائى خد حصته
ولفيت بنوتى على كتفى وبقينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفر بين الكيمان
والكلاب تجرى ورانا على ريحة اللحم وكان حرقنى شخاخى وحياة الحاكم
ومن خوفى من الكلاب لا ياخدوا منى السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته
شخاخ ولما دخلت الدار شفت ام زعير حشا العيب قاعده فى جنب هدود

الحماره كيف كلبة المشد تحمل الجله عليها قميص من قطن مخطط كنت شريتها من زمن الفرخ بعشرة انصاف فلوس جدد وسرموج اخضر واحمر مصبوغ بحنا ويرسيم سابل للخوذان وفى رجليها حجل نحاس مطلى بقزدير وفى يديها نبايل نحاس اصفر وفى اوذانها خلق طارات فلدخلت عليها مشنفر بدقن كيف دقن التيس وشوارب مطرطره كل من شافهم خزى على زوجه فقامت امرزعبل ومسحت يديها من الجله ولاقتنى بالحضن لا تقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعد ما لاقيتها ولاقتنى ولاطحتها ولاطحتنى وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان يعنى ديك القضيه وانتم تعرفوا الى حدق وشاطر وما يطلع منكم عيب وقتا انتم شفتم ايه من الفرخ وبعد دا وددا فاتى اغنى البهائم والمحراث التحلت الغنا من ابويه وجدى وانا فصيح قوى فقلت يا ام زعبل ربنا يخلى لى شلشولك وقامتك انا بانطح لقلك بليشتم الناس وهو مايل على اوداتك وانا رايح اغنى مليه فقالت لى يا بوزعير وحيات شاربك الى كيف شارب الكلب لا تغنى لان اوحشنا غناك وقصايدك ومرادنا نسمع قصيدتك الى تقولها فى الحلق فشرعت اقول صلوا على طه الرسول

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بالارطالات

تبيع الورد فى الصبحه قميصك زين الطرحه * عسى الله انضرك المحه بجمع عندنا الجلات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

الايا بوقميص هربط عسى الله انضرك فى الغيط * وادى لك قدح محيط وادى لك شمال كرات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

واعطى لك شمال خبيز واعطى لك قدح جميز * واحمل لك على ميز فطيره نحن فى الصباحات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

انا احبك كما العجله وبازنيك حدا الجله * تعالى الغيط بلا مهله وتتفرج على العجلات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

تعا عندى وكل حصيص وحياتك يا مليح عميص * وا قلى لك كما نبيض بزيت سار بطل الزيات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

انا اخشى ان اقل تعال تعاونى على دا الحال * تعال امشى وصل عال ادرج باب دارنا وبات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ودمسك انا القبر وبحبك فولى من القصير * وكل واشرب كما نشربه نخليك تشبه العنزات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وحطاك جنب مدودنا ما لاجنب جلتنا * وورينك بوز بقرتنا وهى تفرش من العصلات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وعليك كيفا بوبربر وتبلغش وتتبخر * وتشقلب وتتغندر وتبقى لي كما الكلبات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وتعطيه لي وتبكيه وحطو فيك واتكه * وانا ابو عفرا بودكم ابيع المش في الحارات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ويا شاعر وشيخ الكفر تنشدنه قصيد كيف الفم * وقومي وارقصي يا العفر ودا اليوم عيد ولنا طبات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وحط اللحم والفته على الكانون والكرشه * ونتغدى ونتعشه ونعمر دار البوكرات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ونختم قولنا الاباس نصلي على النبي يا ناس * ولشفع لي وجيع الناس وينقذنا من الهلكات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هي وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الكر من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابو عفره سمعنا القصيد سمعتهم اول وثاني وقالوا غدا يسمع بك نصارى البلد ويقربوك وتبقى تجلس جدا ركبه بركبه ويقول لك يا عريس تقول له يا سيدي وان شاء الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطاني شي انعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام زعير السقط تطيبه فقالت لي يا ابو عفره بقى لي عليك البخور فقلت لها وحيات شلشولك ما بقى معي فلوس وانا قشلان فقالت لي من خلي شي لحقب الزمان ينفعه انا خليت في الصومعه اربع بيضات خذهم ولا تقل لحد فان الناس تحسدنا لنا ونحن اليوم عيد وانت اليوم يا ابو عفره في نعم كبيره هات لنا بيضه مرساين وبيضه محلبه وبيضه نعناع ويا البيضه الرابعه عصفر تزعفر به ثياب ابنك عفره واخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام عندنا والحمد لله عندنا شويتر زيت حار ادهن بها شعر راسي وتدهن ببقيتها دقنك وشوارباك وتنظف بين الجدعان وتبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمان فخذنا الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا في كرش الجدي شويتر فول مجيج خذته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشبد وجوني الشبايب والجدعان يغنوا حولي ويحيطوا بالنا بيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فاكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمراد بينهم وكان يوم ما عاد

يجى مثله فقالوا له اصحاب زمانك يا بو معزم ولى وراح وماتت الناس وجاروا
علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاده المال فانزله فى محل
فيه طاقة مفتوحه تشرف على حريم الامير فلما جاء الليل قال الفلاح فى نفسه يا ترى
يا بو معيكه الامارة لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انضر كيف ما يفعل
استاذك مع امرأته ولما تروح الكفر احكى لام معيكه تعمل ذاك العمله مثل
ما تعمل الامارة وتحضنك ام معيكه بذاك العمله ولا بد ما يرطنوا على بعضهم
البعض بالتركى وانت تنضر طريقة ما يعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان
انا بقيت مثل الامارة وتبقى ام معيكه مثل امرأة الامير استاذ البلد ثم
انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة قال فرأى
الامير جالس على سرير من قفص والاعاج الى يقولوا عليه الناس وعليه الفرش يلمع
وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام ما هو فى
بيقولوا ايه شردم بردم بالتركى ومرة بالعربى الى اذا اشتهى منها قضاء الحاجه
فخذ من جنبه ورده ورماها بها فجت له بحسنها وجمالها على احسن حال واتم سرور
وعملوا ذاك العمله وكل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح اخذ
الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته ام معيكه
ومعها زلعة ملانه ماء من البحيرة فسلمت عليه وجلست هى واياه فى منادمة
مثل منادمة القرود وبربرة الهنود الى ان سالته عن المدينة وعلى استاذ
البلد فقال يا ام معيكه المدينة مليحه ولا استحسن الشخاخ فيها لانهم
لا يشخوا الا فى نقرة د[illegible] بينه كيف دارنا ولا مليح كانى الا امرأة استاذنا
تشن وترن وعليها خلقان ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم احمر واصفر
وعلى راسها حاجة مثل الحجى الى البسه فى ايام العيد الى شريتها ايام الفرح بنص فضه
جدد وفى ايديها اساور صفر الله اعلم انهم من سباطة الفل ولابسه قميصا احمر
محيضة مثل الزكيبه الى يغنى فيها الغول الاخضر وفى سيقانها حجل كيف حجل
ام دعموم الى شريتها بنصف فلوس جدد ولابسه شام خضرا والله اعلم
انها صبغتها برسيم ويا حسنها وقت ذاك العمله الى يعملوها الرجال مع النسوان
فخاطرى يا ام معيكه تعملى لى مثلها حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا
ابو معيكه مثل الامارة فقالت له يا بو معيكه احكى لى على الى شفته من امرأة
استاذك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاذ حطنى فى مطرح فيه
طاقة تطل على الحريم وعلى المطرح الى ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل
وبقيت الخنيس كيف الكلب فرأيت الامير استاذنا قاعد على خشبه سوء

مربوطه بشراميط لها اربع دحلاين كيف عريش المغات التى نعمله ايام البطيخ فى الغيط
وقعدت امرأته على خشبه كيفها مثل جرادة الغيط وربما يكلمها بكلام الجنادى
يقول لها شلصم بلصم تقول له شقلب مقلب حتى اشتهى منها داك العمله فحذفها
بنواره حمرا مثل نوار ابو النوم فقامت لتشن وترن حتى جبت الجهنم وعملوا فيها
العمله فقالت له ام معيكه وحيات شاربك الى مثل شارب التيس لاعمل لك
مثل عملة الاماره وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لما يجى الليل تبلغ مرادك قال
فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود الحماره وانا اقعد فى مدود
البقره فصادلك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الشلاتيت والشراميط
واثار الجله فيها وفيها الشخاخ ايضا قال فلما خطر للتعيس المناحيس قضاء الحاجة
بعد ان صار يناديها بكلام مثل نبح الكلاب شياط وعياط وسئوالا انتى البقره
وعن الجله والثور والجله وغير ذلك اراد ان يرميها بشئ مثل ما فعل الامير فحط
يده على المدود فرأى قالب طوب محروق فخذه وحذفها به فوقع فى وسط راسها
ففلقها وسال الدم فصرخت باعلا صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم
الخبر فاقبل هو وطائفته وسأل عن القضية فاخبروه بها فامسكه وضربه ضربا
موجعا واحضروا للمرأة جرايحيا فخيط راسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى
ان برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله الخسيس كيف لم يهرب من ملاهيته
لزوجته الهم والنكد وقيام الفادات فى البلد (واتفق) ثلاثة انفار من محوقة
الريف ارادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب
الرأى منهم اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادى وعسكر يقطعوا الروس واحنا
فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركى والا قطعوا روسنا فقالوا
له اصحابه يا بوعمر احنا ما نعرف شئ بالتركى ولا غيره فقال لهم انا تعلمت
التركى زمان من مدة ما كنت اقعد حدا المشد والصرافى دكيه بركيه حتى تعلمته منهم
فقالوا له اصحابه علمنا التركى فقال لهم اذا دخلنا المدينة نروح الحمام الحب
يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقره غويطه
يشخوا ويخروا فيها وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا ننقف ونلتف فى بردنا ونتم
امرنا اقول لكم قرداش محمد قولوا هاه نوازا اقول لكم معاكم شئ برمنغار قولوا
يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادى غرب يقطعوا الروس
ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى فى مصر مثل الاماره ونشيع
خبرنا عند الكفر اننا اماره نرطن بالتركى فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى
لهم علينا كلام ابدا فقالوا له اصحابه دى شوره صوابه يا بوعمر فقال

فساروا حتى وصلوا مصر وسالوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابط
ورموا البرد والشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما يفعلوا في البراري والابيار
فقال لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فارادوا ان ياخذوا بردهم ليستتروا بها
فرماهم صناع الحمام فوطا قدمن ريحيع الحمام فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم
وصارت عوراتهم في الغالب مكشوفة فرموا بردهم مدليه ودخلوا الحمام مثل فحول
الجاموس والمعزا والتيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ
والسخام وغطسوا في المغاطس مثل الثيران والجديان وخرجوا مع بعضهم
البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم في حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا
الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وارادوا
الخروج بالاخلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجرة يا عرصات
فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا اهاه ثواد فقال لهم معاكم
شيء برمنقار يعني جديد فقالوا يوق يوق يعني ما معنا شيء فقال لهم
صاحب الحمام اي وقت يا تيوس تعلمتم التركي المعكوس وتقيمتم اماره وما هذا
التركي الذي يشبه الخرا اقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجرة
بزياده قال ثم امر اصحابه بمسكهم وضربهم واخذ البرد منهم فخرجوا من
عنده وتداركوا بالاجرة وقد اقترضوها من اهالي الكفر وخلصوا بردهم
وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد ينادي
في الاسواق على رجل يستحق القتل فظن انه ينادي العونة يا فلاحين ففر
هاربا الى الكفر فراى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم
لا تطلعوا المدينة فانهم ينادوا فيها العونة والسخرة فقيل انهم مكثوا ثلاث
سنين ما يطلعوا مصر خوفا من العونة والسخرة فانظر الى قلة عقولهم وخساسة
رايهم (وطلع رجل منهم) قرية على شاطئ النيل يوم الجمعة فراى الناس قاصدين
الصلاة الجمعة فاعتقد انهم ذاهبون الى الضيافة او الى هروبة صنعها لهم امير البلد
فذهب الناس الى ان دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس في بعض الصفوف الى ان
اقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح ينظر اليه وهو مرتاب وخائف
ومتحير الى ان فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع ضجيجهم بالتكبير والتهليل
فاعتقد انها هوجة وقعت بينهم قال فصاح الفلاح يا السعد يا الحرام
الله وكبر وصحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول لخدوك القوم يا بو
كتكوت ولم يزل في خوف وكرب حتى وصل الكفر فلاقاه اصحابه وسلموا
عليه فروا احواله متغيرة فقالوا له ايش اصابك ودهاك يا بو كتكوت

فقال لهم يا ما قاسيت في دي السفره كانوا القوم مرادهم ياخذوني ولولا اني
سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا قتلوني فقالوا له ايش الخبر يا بوكشكو
فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلمني الا الله والشيخ ابو طبل فقالوا له احكي لنا على
ما جرى عليك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرايت ناس كثير رايحين زى
قطايع الغنم فقلت لابد ماهم رايحين لضيا فراولهم وبه فرحت معاهم حتى دخلت
دار كبيره فيها حجاره طوال منقامه زى الدعايم بتوع العريشه الى نعملها في الغيط
وعليها قناطر مبنيه زى قناطر الصابونه وفيها حبال مدليه مثل حبال التيران
في كل قنطره حبل وفي جنب حيط من حيطان الدار خشبه عاليه لها سلالم زى سلالم
الغرفه الى نعملها على البيوت من الكرس والطين ونلطخها بالوحل من اولها
لاخرها والخشبه دي لها راس كبيره زى الناطور الى نعمله في المقاث وقصادها
عريشه صونعه زى العريشه الى نحرس عليها الذره والحمص في الغيط ولها سلالم
فطلع فوقها جماعه وقعدوا فيها ساعه وقام واحد منهم وحط ايده في ودنه وقال
كلام ما حد يعرفه الا ولحد خرج من حاصل في جنب الدار عليه عمامه كبيره الله اعلم
انه قاضي ومعاه سيف ساحبه ويشق من بين القوم بقلب قوي ووجه كاشر
زى وجه تيس الوسيه وما صال الطالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على السلم الاخراني
وهو آخر السلالم وبقت العمه فوق راسه ونضر للناس الى تحته وبهت فيهم
وكشر عن انيابه وهو ساكت غضبان كل من شاف شواربه شح على روحه وحياة
الحاكم ولا عمري شفت اقوى قلب منه ولا استحيل ولولا انه راس صحابيه ما كان
عمل دى العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه الى على
العريشه قصاده قام بقلب قوي وصار يشتمه ويسبه ويقول له كلام كثير
فانحمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا في بعضهم البعض شتم وسب ولعن
وبعدها نزل الراجل الى على الخشبه وهو ساحب السيف يعارك في الناس الى تحته
قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكم
وقامت العيط وكنت اسحب نبوتي وخرجت هارب وما سلمني الا الله وبركة الشيخ
ابو طبل فقالوا له اهل الكفر والله يا بو كشكوت لولا عمرك طويل ما سلمت من القوم
وكانوا قتلوك وانت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه
فقال لهم يا شيوخ الكفر ما عدت اروح بلاد البحر طول عمري فانظر الى قلة
عقل هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لا يدرى الصلاه ولا الجامع من قيام
المهيه (واتفق) لثلاث نسوه من عوالم مصر خرجن يتفرجن في ازقة
المدينة فلقين رجلا من حوف الريف وهو في حالة رذيلة وعلى راسه

قفص ملآن من الفراخ يريد ان يبيعها ويسد بثمنها مال السلطان فقالت احداهن
للاخرى ما تقولي في الذي ياخذ الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانية وانا اخذ ثيابه
وقالت الثالثة كل ده ما هو شطاره الشطاره الذي تبيعه مثل بيع العبيد او المعداوية
او الجرافة (قال ثم ان الاولى) التي التزمت باخذ فراخه اقبلت اليه ورغبته بزيادة
في الثمن قال فمضى معها الى ان اقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثاني
من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتي واصبر حتى اجي لك
بالفلوس ثم اخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثاني ولم
يزل الفلاح جالسا على الباب ولم ياته احد ورأى الناس داخلين خارجين من
ذلك الباب فتحير في نفسه وقال لابد ان دي دار كبيره وسال عن المراة التي اخذت
الفراخ فقال له الناس يا سقيع الذقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس
رجاله ونسوان داخلين خارجين قال فتمشى الفلاح فرأى دربا كبيرا نافذا من
الباب الثاني فاحتار وصاح ولطم على وجهه واقام الصراخ فبينما هو في هذه الحالة
اذ اقبلت عليه المراة الثانية وقالت له ايش اصابك ودهاك يا مسكين وانت
رجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك دي العاهره واخذت منك الفراخ
وتركتك في دي الحاله فقال لها الفلاح وحياة عيونك يا مليحه ما معي غيرهم
فقالت له امش معاي حتى اوديك بيتنا واعطيك شي من الدراهم صدقة عني
فقال لها الفلاح الله يجزيكي خير وانا لا اخر لما اروح لكفرنا ازورك بحزمة
ملاح وحزمة بصل وشوية قرله تبقى صاحبتي وان شاء الله اجيب لك كمان
عشرين قرص جله قال فاخذته وسارت الى ان اقبلت الى بيت كبير عالي
البنيان فسالت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه
هو وطائفته الى بعض المتنزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه احدا
سوى رجل كبير بوابه فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرات فيه بيرا
من الماء مملاة ستر الحريم قال فوقفت ونظرت في البير ثم انها ولولت وصرخت
وبكت بكا شديدا فقال لها الفلاح بتبكي ليه يا مليحه فقالت له يا فلاح
كبدك مشوم وقعت اساوري الذهب في البير فقال لها ما عندنا فيش
انا انزل واطلعهم لكي من البير فقالت لم تعرف تغطس في الماء فقال لها دي
صنعتي وطول عمري في الهم والغم وخضت دي السنة الاخرى فيها الضعيف والقوي
ثم قال لها اربطيني في حبل البكره ودليني في البير ثم انه قلع ثيابه التي كانت
عليه ودلته في البير الى ان وصل الى الماء فارخت الحبل عليه واخذت ثيابه
وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان منها واما ما كان من الفلاح فانه لم يزل

يعوص

يغوص في الماء ويفتش في قعر البير حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام
شتاء ولم ير شيأ قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادي المرأة فلم يجبه احد فبينما
هو في هذه الحالة اذ اقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح في البير وينادي طلعيني
يا صبيه طلعيني يا مليحه دا ما هو مليح منك وداعيب عليكي وانا مت من الصقيع والبرد
فقال له الخدام انت انسي ام جني فقال لهم والله يا وجوه الخير ما انا عفريت انا راجل
فلاح وحكى لهم قصته قال فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا انه انسي
قالوا داحراجي وقع في البير فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه وراح يجري وهو
عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف اين يذهب قال فاقبلت عليه المرأة
الثالثة وهو في هذه الحالة وقد صارت الاولاد تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها
على ظهره ومسحت وجهه بمنديل كان معها وسترته بفوطه وقالت له امراه الحاله
يا مجنون يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك في دي الحالة وانت
رجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها يا مليحه وحيات
شلشولك خدوا فراخي وثيابي وحزامي الليف وشدي ومركوبي وما عدت اصدق
كلام نسوان ابدا فقالت له لا تظن اني من عواهر مصر انا عمري ما نزلت من بيتي
غير النهارده ولما رايتك في هذه الحالة شفقت عليك ومرادي اعمل معك جميل واخذك
الى بيتي والبسك لبس مليح وخليك شلبي ظريف واعمل لك حلوك وحط لك خنجر
في حزامك وعلمك التركي وتبقى تقول شندي بندي على فلاس جماص فقال
لها الفلاح انا في عرضك يا مليحه تعلميني شندي وتعلميني التركي وانا على الحلال
من ام شعير كل من عاد يقول لي كاني ماني في زماني قطعت راسه ولو كان ابو عوكل
شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى قال فسار معها الى ان اقبلت
الى منزلها فادخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فاكل وشرب وارتاح في نفسه
ثم انها اتته بماء ساخن وغسلته بالليف والصابون والبسته قميص وزبون
وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصه وخنجر في حزامه
وحلقت لحيته وشواربه وجعلت حلوكه حليق واعطته بابوج جديد وخنجر في
حزامه وقالت له اذا كلمك احد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا لح
عليك احد في الكلام بالحماقة وشدد عليك قل له كريه هريف بوك
يبد ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلمة دي اصل التركي
اذا عرفتها ما يمضي عليك شهر من الاوان صنجق ويبقى لك طبل
وزمر فقال لها الفلاح انا في جيرتك يا مليحه تخليني ابقى صنجق ويبقى لي
سطوة في الكفر وكل من قال لي كاني اقطع راسه وابقى ان شاء
الله ازورك بربع كشك وعشر طيور كعك من الكعك

الي تعلم ام شخيبر واعمل لك قاعة واكبسها لك بالوحل والجلة وافرشها بالتبن و
القصل وتبقى تناجي فيها ويبقوا يقولوا الجدعان ابو شخيبر طلع المدينة فلاح
ورجع جندي يقول شندي بندي ويقطع الروس قال ثم انها اخذته
ونزلت من منزلها تمشي وهو يمشي خلفها الى ان اقبلت على سوق خان الخليلي
وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده
انواع الاقمشة من الحرير والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت
له اريد منك كذا وكذا مما يساوي الف دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته
في بقجة كانت معها وقالت يا سيدي يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح
الى بيت الامير واعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر
توجهي على بركة الله تعالى قال فاخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس
(هذا ما كان منها) واما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأت المرأة
فتضايق والتفت الى الفلاح وهو في هذه الحالة فقال له لم ستك بطت علينا
فهز راسه حكم ما اوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه اول وثان ولم
يتكلم فتضايق التاجر من عدم الكلام وقال لجيرانه من التجار ما هذه البلية
في هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كانه ما يعرف الا بالتركي قال فبينما التاجر على
هذه الحالة اذ اقبل عليه رجل عسكري فقال له التاجر بالله عليك يا سيدي تكلم
لنا هذا المملوك بالتركي وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندي بالتركي فهز راسه فاغتاظ
منه وسل عليه السيف واراد ان يضربه فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ
الفلاح وقال له كرته هريف بوك يمه قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب
فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول انا في جيرتك يا ابو زعبل
فضحك عليه الجندي وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا
انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه واخذ جميع
ما عليه واراد بيعه للمقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله
عريان محلوق اللحية وهو في اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت
لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينار
ومكث سنة كاملة وخلص روحه بالهروب ليلا انتهى * (وطلع) *
رجل من الارياف الى المدينة فحصره البول والغائط فسال عن محل يخلي
فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة
فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف
يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال
عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذي في الكنيف

وقبض على اطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دى نقرة غويطة طويلة
اخرا انا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى
حاجته على محل وقام يجرى من غير استحيا والناس يضحكون عليه حتى غاب عن
اعينهم ﴿وطلع﴾ رجل من الارياف الى المدينه فادركه الغائط فتحير ولم يعرف
له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكا الى ابن مصر حرسها الله تعالى
وقال له تضايقت من البول والخرا كلما اردت ان اشخ قدام دكان يشتمونى
الناس ويشتمونى فقال له يا فلاح المدينة مايخرا فيها احد الا بفلوس
ان كان معك فلوس دليتك على عطفة او نقرة تخرا فيها والا اخرا على روحك
فقال له وحيات دقنك ما معاى الا النصين فلوس جدد كنت بعت بهم بيض
خدهم ودلنى على محل الخرا وابقى ازورك بعشرين بيضه وجانب جبن قال
فاخذ منه النصفين ودخل به الى جامع واتى به الى بيوت الاخلية واوقفه
على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقره
غويطه شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله
يخرا ويقول قطن قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته
فظن فى نفسه ان الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال
هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فاكدت مع الفلاح
وكان السبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكررها الرجل فى بيت الخلاء هو ان زوجته
لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر
اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه
الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح
وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن قطن مثل
الرجل فبينما هو فى هذه الحالة اذ اقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح
فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتنحنح له اول وثانى وثالث
والفلاح يقول انا ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح
والجندى يقول له يا نجس الفلاحين ايش قطن قطن وانت فى بيت الخلاء
ولم يزل يضربه حتى اقبل الناس عليه وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من
المدينه ودخل بلده فلاقاه اهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال
المدينة يا بو دعموم فقال لهم المدينة مليحة الا انك تخرى فيها بنصين وتاكل
فيها بجديدين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب ﴿وطلع﴾ اخر للمدينه
فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكا صغيرا مقليا
يسميه اهل مصر بسارية له لذة فى الطعم قال فصار الفلاح يسف منه ولم يعرف ما هو ثم قال
فى نفسه داشى عمرك ما اكلته ولا رايته ولا بد يا بو فرطيم اظن انها الكنافة التى يقولوا عليها

تطلع في المدينة وياكلها الامارة وبعد ما تطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجدعان
ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم عنطوز تنفش الصوف وتبقى زى
الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تحصص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يا بو بريطم
قل لنا ما اكلت في المدينة من الطعام الي ياكلوه الامارة تقول لهم اكلت الكنافة
فما يصدقوك ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عضمها
ويقطعهم في خفك وبما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه سلط في خفه
شيأ يسيرا حتى طلع الكفر فاقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب المسعرنين وهم
دندوف وشحيبه وزعيبر وتروفر وقنافد وزراره ونياك الحماره
وسلموا عليه وقالوا له يا بو قريطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينة وما اكلت
فيها فقال لهم المدينة مليحة قوى وفيها جنادى كثير قوى وفيها الخيار الاصفر
خدت منه بجديدين وخدت بجديد مقسلى وخدت من الي يقولوا عليه الجمبز
كرهشة الي يبيعوها على الخنشية العاليه العريضه زى الجرافة واكلت وتنعمت و
اشبرقت حتى خدت كمان وميه الحاكم بجديد ترمس مملح واكلت فول سنار فقالوا
له يا بو قريطم كسرت عليك مال السلطان وعمايلك دى ما تخلى رزق وانت عمرك بضتر
لا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر واقول لكم كمان
كلت الكنافة الي بتاكلها الامارة قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه
فقطع خفه من على راسه واوراهم عضم السمك فلما راوه صدقوه وصدقوا
كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا احزلى وزغرطت النسوان وقالوا له يا بو قريطم
بقيت زى الامارة وغدا استاذ الكفر يشلش عليك ويقول بقى ابو قريطم سعيد
وياكل ما تاكل الامارة ومتى ما بلغه الخبر شيعك الي المقداف او الجرافة وانت تكتم
السر ولا تقول لا لقريب ولا لغريب اكلت الكنافة ابدا فقال لهم يا شيوخ الكفر انتم
تكتموا الخبر ويحلفوا الي على الشيخ ابو طبل فحلفوا كلهم انه لا احد ابيح بهذه
القضية فانظر الي قلة عقولهم وشدة جهلهم (وطلع رجل منهم المدينة)
يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندى وقال له امش معى الي المنزل
خذ الفلوس فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى في طريقه كنيفا فدخله
ليقضى حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطا عليه ودق عليه باب الكنيف
فتحنق الجندى فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى يا جندى
ما يحل لك من الله تاخذ بيضى وتخليني واقف على باب بيتك كلما اكلك
تتحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فاقبل اليه الناس
فخرج الجندى وهو قابض على سراويله ومسك اطواق الفلاح
وصار يضربه بالحرمة التى فيها البيض حتى كسره

على راسه وسال على لحيته وشواربه والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربا
(وطلع) اخر المدينه يبيع تبن فاشتراه منه رجل واعطاه الدراهم فاراد ان يأتى
الى رجل صيرفى لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فاتى اليه فلم يجده فسال
عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجه فقال للولد بالله عليك دلنى
عليه فاخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على بيت الخلاء والصيرفى من داخل
فاقيم الفلاح على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خذ دى الفلوس وبين لى
منها المنقوص من البخاس لانى رجل فلاح وعلى مال السلطان ودلونى
على بيتك ده فاندهش الصيرفى واقام وهو قابض على سراويله يضرب الفلاح
والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق
الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره (ومما اتفق) ان قيم الشام
فى عدم الذوق سافر الى مصر ليزور قيمها فى عدم الذوق ويفتخر عليه بلعبه حكم
ما تلعبا اولاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها فى عدم
الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد يا قيم الشام قال اريد ان العب معك
فى عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس
بذلك يكون قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامة فى غداة غد ان شاء الله
تعالى نجمع اصحابنا عديمين الذوق ونلعب انا وانت فى عدم الذوق
وحضر قيم الشام وقالوا له العب واجتهد فى عدم الذوق قال
فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسنط وحملها على
اكتافه وشق بها بين الناس فى الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك
فى ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى ان تم ملعوبه
واتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر
بقا شى عندك من عدم الذوق غير ذا الفعل قال لا فقال له دى ماهى
شطاره لان الناس استعدموا ذوقك لكونك آذيتهم وشوشت عليهم
وانا افعل اعجب من ده وهو انى اخلى الناس يستعدموا ذوقى بالورد والنسرين
والريحان واشباهها فقال له قيم الشام هذا شئ له ريحه طيبه وزى
ما تعمل فقال له بكره تشوف ما اعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر لقيم الشام تعال معى
وانظر ما اخبرتك عنه البارحة قال فمضوا جميعا حتى اقبلوا على بياع الزهور فاخذ قيم مصر
منه شيأ يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى
اقبلوا على ميضاة المسجد والناس فى ازدحام وقت الصلاة فى بيوت الاخليه
فصار قيم مصر يدخل على الرجل وهو جالس فى بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين
والريحان ويقول له يا سيدى خذ شم الورد وغيره ببقى بها رائحة مباركة واعطنى

ماتيسر فتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستعدم ذوقه ويقول له ما اعدم ذوقك انظر انا في خرا والا في نيازوصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعله قال فعند ذلك اقر قيم الشام على نفسه انه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره واخذ خاطره وتوجه الى بلاده ونظير ذلك ما اتفق ان ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه والعبث والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فاخذه الى منزله ووضع بين يديه الماكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة ايام حتى اكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقاله والرذاله وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخي اخبرك بما حصل لي في الطريق وهو اني سافرت مع القافله فعدمنا الماء في بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرايت في جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابي ونزلت فيها ولم ازل نازل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمه على ثقيل الشام وهو نازل في الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شيء تاكله واخر نزولك يا اخي ما فعلت في البير فقال له فلما انتهيت الى قاع البير وجدت فيه حجر طاحون فوضعته على كتفي ولم ازل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك انت مكثت مدة ثلاثين يوم وانت نازل في البير من غير شيء فكيف طلوعك وانت معك حجر طاحون اشهد لك انك قيم الثقلاء في مصر والشام وانا من تحت يدك وانصرف عني قال فاستخذ خاطره وانصرف بعد ان كتب له محضرا بذلك انه قيم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق * واعلم ان اهل الثقاله على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات

(قال الشاعر)

وثقيل قال صفني قلت ايش فيك اصف كل ما فيك ثقيل حل عني وانصرف

وقال الاخر وثقيل بينما اصبح الكون مظلما حط في الشرق رجله مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقاله ويحوي هذه الرذاله ينبغي الرحلة عنه والفرار منه

(قال الشاعر)

لارحل عن بلادك الف عام * مسيرة كل عام الف ميل
ولو كانت بلادك الف مصر * ويرى كل مصر الف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * شفتنا من ديارك بالرحيل
وانشد في فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى بعض الفلاحين) رجلا الى القاضي وادعى عليه انه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما لدابته فاحضر القاضي الرجل المدعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا انه ضربني وشوش علي فقال القاضي للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح انا بيلك يا قاضي تور وانت اذا انزلت غيطي يا هلتري اضربك اكسر قرنك والا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطي فقال القاضي اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذي تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلام * (ويقرب) من هذا المعنى ان رجلا فلاحا دخل على الامير جمار بن بقر وانشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا تور   والناس حداك عجاجيل
لما تغمل بقرونك هاش   يولوا الكل جفافيل

ومعنى هذا الكلام انت ايها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل اي مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولو امن هيبتك مثل ما ان الثور اذا التفت بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فانشد هذا الفلاح على حسب ما لائم حاله وناسب جهله وهباله اقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعملها في هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رايت ام زغابه في المعازيل   تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل
وحولها شفت سربه من عجاجيل   وهم ينطوا وهي تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما ان الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من التحنجيل وهي لغة ريفية فانهم يقولون فلان يتحنجل اي يجري جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام اني رايت محبوبتي هذه وهي ام زغابه في منزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه ايضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهي الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم ففرح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصوره عليه وشبه الشي منجذب اليه * (وطلع) رجل منهم المدينة لقضا حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا كيف حال المدينة فقال لهم المدينة مليحه فقالوا له يا بو عوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقة مليحه والشبرقة الذي يقولوا عليها الحضر جذت منها بجديدين وسمعت ولد ينادي في المدينة حلو وبارد يا تين فخذت منه عشرة [illegible]

بجديد وحطيتهم في مترد وعفصتهم بيدي وشربت عليهم جرة مويه من الجر
فقالوا هنيا لك يا بو عوكل لكنه تضيع وتبحزف ولا تخلي فلوس واحنا
خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايلة
يا ما ضيعنا وصرفنا فضاضي وجدايد (وقال رجل فلاح لصديق له)
يا فلان عملت السنه كعك في العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير
فقال له حطيت فيهم ايدام كثير فقال له حطيت بجديدين فقال
له ما فقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقي شي
عندك منهم قال بقي عندي واحده اتخس بها الحجاره من كفي دنديط
الى كفي هربيط (وارسل بعض الامرا) غلاما له فلاحا بنصف فضه وقال
له اشتري لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فاخذ النصف فضه
واشترى باربع جدد كعك واربع جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع
بين يدي الامير فلما راوه الحاضرون ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده
وتوجه الى بلاده * (وارسل بعض الامرا ايضا غلاما له فلاحا) *
وقال له خذ دي الدراهم واشتري لنا دبة يعني بطة جلد يوضع فيها
السمن والعسل فتوجه الغلام الى الرميلة وسال عن بياع الدبب
فدلوه على القرداتي فاتاه وراه بالقرد والدب والكلب فصبر عليه حتى فرغ
من لعبه فتقدم عليه وقال له مرادي تشتري للامير دابة مليحة فقال له
القرداتي عندي واحدة مليحة ربما يتفرج الامير عليها قال فمضى الغلام
هو والقرداتي ومعهما القرد والكلب والدب حتى دخلوا بيت الامير الذي ارسل
هذا الغلام وكان في ذلك الوقت الامير جالسا هنالك وعنده جماعة
من الاكابر جالسون فلما راهم القرداتي قام بدق في الطار وجعل القرد
والدب والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتي
ان خدامك دا جالي واخبرني ان مرادك تشتري دبة يفرجك بها والقرد
والكلب تتفرج لعبهم وتشتري ما تريد قال فضحكوا الامارة فامر
الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين
كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فاطلقه وطرده من
عنده وتوجه الى بلاده واحسن الامير للقرداتي وامره بالانصراف
فانصرف * (ورايت رجلا فلاحا) * يتكلم مع صديق له
ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا فقال له ايوه فقال له ابش هجا ديك بريق
فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك انها واو فقال دلتني
عليها النقطة التي فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فقيه لاشو الدك

* (وقال رجل فلاح لآخر) * اسمع ما قالوا العشاق فقال له هات قالوا يا بو دعموم فقال شعر مفقص لا له اول ولا آخر لقد اقول

جنيش خلوت به انت — منزلة يا طالعة القروشن

فقال له دا كلام موت — فقال له دا كلام هارين الرشاه الى وقع في الحب لقفه التمساح نزل عليه الوحل في جامع الطيلون الى نار برد وسلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى ابن ابي طالوب جرى لم زى ما جرى *

* (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرا الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له انا ما باشكي لك انا باشكي الى ربي وجع راسي ثم انه ركع وصلى واتم صلاته ولم يبالي بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف * (وصلى رجل آخر) من الفلاحين فاحرم بالصلاة وقال يا رب خلي لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلي لنا ولدي عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح انا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدي قبل موتهم * وصلى آخر فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويه البقرة روحت من الغيط فقال له وهو متلبس بالصلاة روح وخد شخيرة يطلبها في المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة * (وصلى رجل آخر) فلما جاء للتشهد جاء ولده وركب على اكتافه وصكه على قفاه وامسك لحيته بيده وفيها الوحل والجلة فقال له يا ولدي انزل عني حتى اتم صلاتي ثم انه تشهد واتم صلاته فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح سمعنا ابويه وجدي يقول حديث عن امام زغابه جدتنا القديم من لا يسمع ذقنه ما يربي ابنه واولاده الصغار مثل اولاد المعزة وابوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجده وامثاله ثم تركهم ومضى * (وصلى رجل منهم) * فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكه المجنون بحياتك يا رب بلحيتي وجلتي وقفاي ومركوبي لا تردني يا رب خايب لا من رحمتك ولا من رجاك الله وكبر وركع واتم الصلاة الفشروية * (وصلى آخر) * فلما قرا الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ابدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخلي الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد * ❊ *

(وصلى) فقيه رتيب بجماعة فلما قرا الفاتحة واتى الى آخرها قال ولا الضالون فقال رجل من خلفهم آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت قال له يا ستي انت كفرت فانه ورد في حديث زعيطم ام معيطم ام شلاطه عن ام خراطه المنظر اليها بنت خرا المحس وجهها كالمصحف قالت اذا ضرط الامام لحزبت المصلين وصباغت راسك (وحكى) ان رجلا من جهلة الاكراد صلى بنفر فقال هذا اللفظ شنتير كيف ينتير جماعه ركبين قبل

جنتم طيرا ابابيل تخليهم مثل الفطير ثم ركع وركع الآخر واتما صلاتهما التى لا فيش ولا عليش
(وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب فضرط من شدة اللدغه
ثم رفع راسه بسرعه وقال يا رب انت تعلم انى ما ضرطت بخاطرى الا غصب عنى
سامحنى يارب ثم انه تشهد وسلم

* * * * *

وصلى آخر فلما سجد رأى تحته انخفاضا بجبهته فجاب فرص جله ووضعه تحت جبهته
واتم صلاته عليه * (وصلت امراة من نساء الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب
واخذ منها نبهار غيفا فامسكته وقبضت على اذنه وشتمته وبهزته وخلصت
الرغيف من فمه واتمت صلاتها

* * * * *

وكان بعض الاولاد يقرأ فى الكتاب فجاءت امه واشتكته للمؤدب وقالت له ياسيدنا
الولد ده بيئذينى ويشوش على وانا اصلى واذا ركعت شلح ثيابى وشخ على فقال له
المؤدب حق ما تقول امك قال نعم ياسيدنا فقال له ما السبب فى انك تؤذيها وهى
فى الصلاة فقال له ياسيدنا لان عبادتها لا فيش ولا عليش لكن اسالها انت
ما تقول فى صلاتها فقال لها المؤدب انتى تحسنى الصلاة فقالت كيف لا احسنها
وانا اعرفها من ابى وجدى وجدة جدتى فقال لها اقرى الفاتحة فقالت
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذ لساءك البلح نصر الدين افتح لم الباب
يدخل ولو كان طوابا فقال لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة والحمدلة
فقال الولد اسالها ياسيدنا ما تقول بعد الصلاة فسالها فقالت اقول
ذى ما كانت تقول امى وجدتى سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال
فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرتِ ياملعونه ثم انه التفت الى الولد وقال له امرتك
ان تقرا عليها فضلا عن الشتائم ثم انه زجرها وطردها وخرجت من عنده ❀
وصلى رجل فلاح فلما كبر واراد ان يقرا دعا الافتتاح قال لعنت وجهى للذى
شرح السموات والارض لاخى لا حنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال
له رجل عارف فمن اى ملة انت قاتلك الله الابعد فقال انا من بنى عقبة فضحك عليه
ثم تركه ومضى (واما) احوالهم فمشهورة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم)
وما يقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط فى الدين ونحو
ذلك فنقول

(سئل) فقيه ريفى عن تفسير قوله تعالى يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى
ما معنى اقلعى فقال هذا للجاهل اى سيرى مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء الريف
عقد نكاح) فقال للولى قل انكحتك بنتى خطيطة البيضة اللون الشقرة
الشعر الحى عينها اليمين حولا وعينها الشمال بالاحول بشرط ان تكون
فى طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك الجلة وتفرش لك فراشها

وتسرج لك فتيلتها على عينيك ثم قال الخاطب قول قبلت نكاحها وهراشها وفراشها وفرشتها (وقال شيخنا العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي نفعنا الله به أن زنا سنة من السنين سيدنا احمد البدوي عمت بركاته ونفعنا الله به في الدنيا والاخرة فلما رجعنا من الزيارة ادركنا المبيت في قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول بقر مربوطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن العجول لنتذاكر في العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافي الرجلين من غير مركوب وعلى راسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقهاء من الجامع الأزهر فقال لنا تقروا القران قلنا نعم فقال اسئلكم على سؤال قدام مشايخ بلدي الذ قلتوا الى عليه وزديتم حولي عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد انا فقيه البلد واماما وخطيبها وماعرحد غلبني ولاعرف سؤالي قال فضحكنا عليه وقلنا اسال عمابدالك فقال يا فقها الازهر الصلاة لها كم عنصر ومن عنصرها الاولاني وعنصرها الاخراني قال الشيخ عفي الله عنه فقال له رجل من اتباعنا الصلاة لها ثلثماية وستين عنصرا الاولاني من عناصرها رجليك والتاني ايديك والتالت طيزك والاخراني ذقنك قال فسكت وتحير في امره فقال له اهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يابو عجول فقال لهم طول عمري اسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ماشفت حد حلها وبين عنه الا دولا وانا اقول لكم يا مشايخ البلد للحق انهم غلبوني قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله واحضر لنا فتة دين لبن دشيش وخبز دره فاكلنا ونمنا في مكاننا الى ان اصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا واخذ بخاطرنا وتوجهنا والحال اننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وماعرفنا هذا الكلام غير ان تابعنا لشدة حذقه لبابه من معنى سؤاله واعطاه كلام قصيا ذكلام *

* * * *

(وسال بعض الفلاحين) اخانا في الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدنجيهي رحمه الله تعالى فين هي قبلة طيزك فقال له لم ذقنك فخجل الفلاح وضحك عليه غم الحاضرون جميعا

* * * * * *

(قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا انه اتفق في بعض السنين انه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها واخبره انه من علماء العجم ولا احد يفاوقه في العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده في منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك

قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم اسالهم بحضرتك سوالا فان اجابوني
وانا من تحت امرهم والا يكون لي القفا رد عليهم قال فارسل الوزير الى علماء الازهر
فلما حضروا بين يديه وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا يسال العجمي
عما بدا له فقام العجمي بين ايديهم وسالهم بالاشاره من غير كلام يتلفظ
به فقالوا له يا وزير الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال
لهم لابد ان تجيبوه عن سواله والزمهم بتلك المسئلة لميل العجمي ومحبته
له فقالوا له امهلنا ثلاثة ايام حتى تنظر بقية مشايخنا فامهلهم الوزير فتوجهوا
من عنده فقالوا لبعضهم كيف الراي و دفع هذا العجمي و رده مقهورا الى بلده فقال
رجل منهم الراي عندي اننا ننظر لنا رجلا من اجلاف الريف ونحو فهم لا يعرف
السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا ونلبسه
لبس العلماء و نمشيه قدامنا و نمشي خلفه و نطلع الى الوزير و نقول له هذا شيخنا
وهو الذي يجيب العجمي ونعامله بما يناسب مقامه وتسلط الكلمة على الحاضرين
قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فوجدوا رجلا من
اجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الاكتافين كبير اللحية على راسه
لبد وعليه جبة من الصوف لركبته وهو جالس في حانوت ياكل بيض مسلوق
فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلما راهم ظن انهم يريدون
اخذ البيضة منه فاخذها ووضعها في شدقه من داخله واراد الهروب
منهم فدخلوا عليه فقال لهم انا في جيرتكم يا شعرا فقالوا له لا تخف يا فلاح
ولا تفتش من شي فقال لهم انا خايف تاخذوني للاستاذ يقطع راسي
وانا عمري ما اختبيت ولا طلعت مصر غير السنه دي وانا كنت جيعان ووجدت معاي
اربع بيضات شويتهم اكلت ثلاثة وفضلت معاي واحده فخفت منكم
وشلتها في شدقي وانا علي مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا له احنا
مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين الي عليك
وعذيناك ونبسطناك فقال لهم انا الاخضر كل ما امرتوني به
فعلته من امر تحت بير او هدم حيط او شيل طين او عمل عملتها لكم في ساعة
وان كنتم في عركة على غيركم وها تو الي نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا
الف رجل اطحنهم فقالوا اما مرادنا الا نعملك شيخنا و نطلع بك على واحد عجمي
يسالك تجيبه على سواله وتغلبه ولكن لا تتكلم ابدا الا بالاشاره حكم
ما يكلمك بالاشاره فقال لهم حاضر ولي العرض ده وان
طلبتم اضربه خبطة واحدة بالكاميه قتلته ولو كان عند السلطان
والوزير وانا بابا ما قتلت ويا ما سرقت وانا علي مال السلطان وعلى الي ارد

الع

العجمي ده مغلوب قال فاخذوه والبسوه لبس الفقهاء وعمموه على قفه عمامة مدورة
وسط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم
لم اخليها لانها بيضة فرختي واو ابيضها ولما اجوع اكلها فقالوا له خليها معاك
معك ومضوا على حالهم حتى اقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم واعظم
منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذي يجيب العجمي في سؤاله قال فجلس العجمي
متأدبا جلوس طلبة العلم وجلس الفلاح مدرجلم لم يعتبر من حضر كانه قاعد
في زريبة بقر فلما رآه العجمي على هذه الحالة استعظمه وقال في نفسه لولا
انه من العلماء الاجلة ما احتقر المجلس ثم ان العجمي اشار اليه بالسؤال يريد منه
الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين
اثنين ثم فرفع العجمي يده الى السماء فوضع الفلاح يده على الارض فاخرج العجمي
من عبه علبة وفتحها واخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح فاخرج الفلاح
البيضة من عبه والقاها الى العجمي فعند ذلك هز العجمي راسه وتعجب منه
وقال للوزير ولبقية العلماء قد اجابني عن سؤالي الذي اشرت به اليه واشهدكم
اني صرت من تلامذته ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء
اكراما زائدا وانصرفوا مسرورين منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح
بعد ما نزلوا الى منازلهم ما عرفنا حقيقة السؤال والجواب فاخبرنا عنه فقال
لهم الفلاح يا خسارة عليكم انتم فقها ولكن ما تعرفوا تردوا الناس جواباتهم
انا لما قعدت قصاد وجهه رايت عينيه احمرت وزاد به الغضب كانه يقول
لي اصحى لنفسك والا خرقت عينك بصباعي ده فاشرت له انا الاخر اقول له
ان لم تصح لنفسك والا خرقت عينيك بصباعيني دول ورفعتهم له فرفع ايده الى
السماء كانه يقول لي ان لم اطيعه والا صلبني في السقف فحطيت ايدي انا الاخر
على الارض اقول له ان اردت تفعل بي ما تقول خبطتك في الارض خبطة طلعت
صفاريتك فلما راني غلبته وظافر عليه اخرج لي فروج دجاج صغير يوريني انه ياكل
كل يوم فراخ وانه متنعم في الماكل والمشرب فاخرجت له من جيبي انا الاخر البيضة
المصلوقة اوريه اني متنعم في اكل البيض المصلوق في كل يوم فغلبته ورديت سؤاله
قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمي وسألوه عن الجواب فقال
لهم طول عمري اسال العلماء هذا السؤال وانا اظنهم ما عرف احد منهم الا شيخكم
هذا فقالوا له اخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم اقمت له اولا اصبعا
اشير اليه بقولي ان الله واحد احد فاشار الي باصبعين يشير الى انه ليس
له ثان فرفعت له يدي اشير اليه انه رفع السماء بغير عمد ثم خفض يده الى الارض
يقول لي وبسط الارض على ماء جمد فاخرجت اليه علبة فيها فروج صغير اشير

اليه انه يخرج الحي من الميت فالحي يخرج الى البيضة يقول لي ويخرج الميت من الحي
فاجابني جوابا شافيا فما رايت اعلم منه فعرفوا ان العجمي كان في مقصد والفلاح
في مقصد آخر على حد قول القائل

* سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة * (كما اتفق) *
ان رجلا امسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة
وخطب فقيه من فقهاء الريف فقال ايها الناس الى كم تلتهوا في الحصيدة
وفي الزرع والقلع وغدا يجيكم اللوم ويحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم
بالمزاريق فما لكم عند الله عذر ولا تعويق * واعلموا يا اهل الكفر الى وراه عدو
ما وراه هدو وقواكم الله باثوم قدامكم جيش حرام فانتم تحترسوا الا يجيكم
العدو من جنب الترم فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصرة وقولوا باسمنا ان
يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل فصلى بهم
صلاة نشرقيه لا فرض ولا سنه *
وخطب آخر فلما صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا ان عندكم قمح كتير وتبن
وشعير وانتم في خير من رب العالمين فانتم تعيقوا الزرع الوسيه والاصبحكم
الكاشف بداهيه وبليه فغدا تشربوا القهوة والسحر وفيعوا الغنم
والبقر والختو ابيا ركم وفيقوا الدودكم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس
والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجروا بلا سبب
الله * الله * قولوا لا اله الا الله * من وحد الله ما خيبه الله آمين
والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم *
وخطب آخر فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط
في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا الخطيب
وصلوا انه كلب ينبح * * * *
(وتوجه فقيه) هو وجماعة على انه يسرقوا واياهم قول اخضر من الغيط فذهبوا
معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من الغز وأخذ كل واحد منهم عنز اكبرهم من
المغول واخذ هو عنزين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة
وقال ايها الناس قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل
ما لك ومال الناس لما كنا واياك في السرقة خذ كل واحد منا عنز وانت اخذت
عنزين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من
البلد لما ثبتت سرقته *
* وسال فقيه ريفي * بعض العلماء * وقال له مرادي اقرأ الاجرومية على

مذهب الشافعي فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدي رضي
الله تعالى عنه) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان
الشيخ الحميدي شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى
انظره لك فجلس عنده وإذا برجل أقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدي
مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فإنه مختصر مسلم لأكابر وطرده من عنده
قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال
لهم أنا فقيه الريف اقرئ الأولاد في بلدي القرآن وقد ثقل عليهم
لطوله فقلت لعل أحدا اختصره فيكون أسهل على الأولاد ويحفظونه بالسرعة
فضحك عليه الحاضرون ومضى إلى سبيله * (وسعى رجل) *
من الأكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة
في بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتني به فلما احضره بين يديه قال له
القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم أيد الله مولانا القاضي وعندي مصحف
مليح بخط المؤلف فتحقق القاضي جهله وعرف وضحك عليه وطرده
ودخل بعض فقهاء الريف الجهال على أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ورجل الإمام
ممدودة لوجع أصابه فلما رآه الإمام في هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله
وكان الإمام يقرر في مسألة صلاة الصبح ما حكمها إذا طلعت الشمس
ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل إذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال
الإمام آن لأبي حنيفة أن يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه * *
واتفق أن اثنين اختصما في آية من كلام الله تعالى فقال أحدهما لعلهم
يتفكرون وقال الآخر لعلهم يشكرون فبينما هم في المشاجرة إذ طلع عليهم
فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم أنه يحفظ القرآن هل هي يتفكرون
أو يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والأولى أننا نأخذ من كل كلمة
جانبا ونجعلها لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك
الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه * (ودخل رجل من علماء المسلمين)
قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس في مسجدها ويخبط خبط عشواء ويعد
يروي حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث في أي كتاب فقال له في كتاب عندي
يسمى الدهمة والبطال فقال أضعفت حين أسندت ثم قام عليه وأبطل التدليس
ومضى (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت
في نفسي أسأل عن فقيه البلد وأنام عنده قال فسألت عنه فقالوا لي انظره على الكوم [illegible]
في وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لأجل ما يسلخ جلده ويبيعه
فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب

ويمنعهم عن جارة الميت حكم ما ذكر لي اهل بلده وهو في حالة رذلة وثياب
دنسة حافي القدم تحت ناصيته فسلمت عليه فرد علي السلام بتكلف وهو مشغول
بما هو فيه وهو يقول اخص جر زوح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو
في كرب كانه يغازي القوم قال فجلست ساعة انظر في حاله واذا برجل اقبل
عليه من اهالي قريته وقال له يا سيدنا انا قلت لامراتي انت طالق بالثلاثة
وسالت فاخذ ردها لي وقالوا لي ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وانا
خاطري تردها لي وتخلصني من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه
وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين ما اخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك
ما تطلب فقال له خذ امراتك في وقت السحر وروح بها بركة الماء التي في المحل الفلاني
وخليها تسلخ ثيابها وتخوض في الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تقيم رجليها
حتى يدخل الماء فرجها فان ذلك هلاك ولذلك ذكر فصدق عليه ان نكحها قال الله تعالى
وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا الرجل اخذتني الغيرة في
دين الله تعالى وقمت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعلمك ونهيتك
ونهيت السائل من هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاثة ولا يجوز
لك ان تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت اني لا ابيت في هذه القرية
لاجل هذا اللئيم ثم مضيت الى بلد اخرى وبت بمسجدها الى ان طلع النهار
وتوجهت الى سبيلي

* *

*(وقال بعض فقهاء الريف الى تلامذته) قد ظهر لي في القرآن بحث وهو
قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك انه وجه ضعيف لانه محكي بقيل*
(ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحي
الجبل فراى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع
فجلس يقرا سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية يسمعوا
قراءته الى ان وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة
رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نحسب القرآن كلام الله ما فيه كلاب
وانت جعلت فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك
قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل
الى الفقي في بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال لنا القرآن
فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فارسلوا خلف
هذا الرجل فحضر شخص كانه سارية الجبل من طوله او عامود من عواميد
الصوان عجمي غلظه وثقل اذانه ووجه تقشعر منها الجلود وهو ملفع بحزام
ابيض دني لا غير فلما احضر وجلس اخبروه بالقضية فنظر عينا وشمالا

وقال اصبروا حتى ابين لكم واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا
على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة
عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء
وهو في وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتفت اليهم وجلس وقال لهم طلعت العشر
سماوات التي خلقها الله تعالى فرايت اول سما فيها بقر وثاني سما فيها جاموس
وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها تيران وخامس سما فيها كذا وسادس
سما فيها كذا وصار يعدد اصناف فيها من الحيوانات الى ان قال وشفت السماء العاشرة
فلبانه ضم وانتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تخون الكلاب ولا يقدر فيها راعى
الغنم لا بد له من كلب يحرس غنمه خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين
ذرة قال فاخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هولا الجهلة
(وكان بعض فقهاء الريف) يدرس في قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة
اجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف في الجواب لشدة جراءته في الكلام من غير
معرفة الى ان حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه في
المسائل واتيانه بكلام ليس في كتب الفقه الا ان فيه رائحة المناسبة فقالوا امر هذا
المدرس عجيب فقال رجل منهم انا اختبره لكم وابين لكم صدقه من كذبه كل
شخص منكم ياخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها
فقالوا هذا الراى صواب فاخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم
جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا راينا في بعض الكتب
هذا الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع في ارض
الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم واراد يذكر حديثا باطلا فقالوا له امسك ما معك
قبحك الله اما كلامك في حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك في الكذب عليهم
واما الكذب في الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وابطلوه الدرس
قلت ولهذا ذكروا ان العلم امانة وان الشخص لا يجوز له ان يتكلم الا
من خبرة واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول
ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام * (فقد سال بعضهم) رجلا من اهل
العلم عن وصف كلب اهل الكهف فقال له لا اعرف واتى والده وكان من العلماء
فقال له انى سئلت اليوم عن وصف كلب اهل الكهف فقلت لا اعرفه ولم يبلغنى
في وصفه شيء ثابت فقال له ابوه لاى شيء توقفت في الجواب كنت تقول لهم صفته
ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا واصبح

ينادى عليه فى الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدى فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة * (واوصى لقمان ابنه) فقال له يا بنى اذا سالك الناس فقل لهم لا ادرى فانك اذا قلت لهم لا ادرى لا يسألونك حتى تدرى وان قلت لهم ادرى سالوك حتى لا تدرى (وقرا بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطشتم بطشتم جبارين يريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرا) آخر منهم ولله ميزاب السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذى ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقلها اقسم ظلما فى اى سورة فاطرق ساعة ثم قال فى سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده للقاضى وقال له اصلح الله مولانا القاضى هذا ولدى يشرب الخمر ولا يصلى فقال له القاضى ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فانى اصلى ولا اشرب الخمر فقال له ابوه انه يزعم انه يقرأ القرآن وانه فقيه البلد فقل له يقرأ شيئا منه فقال له القاضى اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا يغيروا ارتيابا

فقال ابوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضى وانا الآخر كنت احفظ فيه آية اخرى وهى قد آن البعد عذابا ثم قال القاضى للرجل خذ ابنك فانه ماهر فى القرآن فانظر ايها المتأمل الى جهل الغلام وابيه وتعجب من جهل القاضى الذى لم يفرق بين الشعر والقرآن * (وقال بعض العلماء) * كلما سئل عن مسئلة يقول من جهلها فيه قولان فقال له رجل افى الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عبادته وبعضهم اجاب عنه ان فيها قولان من جهة النحو (ودخل) بعض العلماء قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلى فرآى اهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفار ميت معلق فى عنقه فتعجب من فعلهم وقال لا بد انى اسال فقيه البلد عن ذلك فبينما هو متعجب واذا بالفقيه داخل المسجد ليخطب وهو ايضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة الخ ومعلق فى رقبته فارا ميت ورآهم يصلون جميعا بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر ومن امر اهل القرية بهذه الفعلة فقال له انا امرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال الحديث رايته فى كتاب عندى واسمه كتاب التنبيه ولفظه حدثنى يحيى ابن يحيى عن شعبان الثورى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه يا لتنبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة نظيفة بقفة

وسكينه تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بحشيشة وسرقه تصحفت بعفرقه
ووقار تصحفت بفار واما سند الحديث فهو حدثني يحيى ابن يحيى عن سفيان
الثوري تصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى اهل القرية
وابطلهم هذا الامر وسعى في خروج هذا الفقيه الجاهل من البلد لعدم معرفته
وجهله وقلة عقله فاخرجوه من البلد بيد امير البلد وطردوه *
ودخل بعضهم قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين
بل يقول وانتم يا اهل هذا البلد تشهدون ان محمدا رسول الله قال فتعجب من ذلك
ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شيء يباع فيه فاذا هو خبز قد صبر في اناء
ويناول رجل منهم للناس ويقولوا هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه عجب
ثم مضى الى المحراب ليسأل الامام فوجده قد اقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى
مرفوعة واقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القصة
وعن رفع رجله في الصلاة وسبب الاذان والخبز فقال له اعلم يا سيدي ان المؤذن
الذي سمعته لا ينطق بالشهادتين نظرا الى لحقنا اليه لمرض اصاب المؤذن
ورأيناه صبيا اقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين واما الخبز الذي
رأيته يباع في المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير
عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين وارباب الوظائف واما رفع رجلي التي
رأيتها فقد اصابتها نجاسة وانا داخل المسجد وادركتني الصلاة فقلت ارفعها
ولا اصلي الا على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لاني خشيت من المشي عليها فيحصل
التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل واتى الى القاضي فدخل عليه ليسأله
عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط به فتحير في امره وقال له ما هذا يا مولانا القاضي
فضيلتك اغرب مما رأيت واعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعي اهله انه بلغ
الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فاخذته لاختبره واعرفه فقلت ان فعل وانزل المني في
فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد انزل المني وتحققت بلوغه
وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله انتم وقريتكم
جميعا وحلف ان لا يعود اليها بقية عمره *
(وتولى) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فارسل الخمر ولاه هدية
وارسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندي ان الواصل
لكم هدية خروفين وسرموجتين للافندي خروف وسرموجه والنايب خروف
وسرموجه قال فلما وصل الى القاضي مكتوبه امر بعزله وتحقيره واخراجه من
القرية * (ونظيره) مكتوب فقيه الذي ذكره سيدي علي بن سودون
في ديوانه الذي ارسله الى اهله من الصعيد قال في عنوانه انه يصل ان

شاء الله تعالى الى دربنا المحروس الذى خشبته سنط ولقية ويسلم لبدا اهل بيت فنيت وفي داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما في النخيل من الاوراق سلام لا يسع طبق ولا طبقين ولا اطباق اطول من مقود زرافة ولو كان طاق اوطاقين اوطاقات من كل بد وسبب وفي هذا المعنى اقول لكم كان شعر

ان كان ابي ما مات وامي تعيش * فبلغهم ياريح عنى السلامات
وروح قول لهم الى مع الناس في البلد * ويا ما جرى لي من بعدكم نكبات
وانكم في غفلة كبيرة عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الاحيلم فين مات

والذى نعلمكم به ان كنتم لسع طيبين بالحياة انى ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز وزفقس لصيف من ذلك الوزه وايضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تبقوا تتكلوا خرافه ارسلتم تطلبوا لحيل تنشروا عليم الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا على عرضه وارسلتم تطلبوا كشك وانا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحة وان طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد وطلبتم نيده وما قلتم لي بعسل او بلا شي وطلبتم قليلات والفلاحين ما يزرعوا الا فرع طويل فيكون ذلك فحناطر كم من معه وبلغني ان امراتي حبلة من بعدى فلا تخلوها تولد حتى اجي وان ولدت قبل ذلك لا يكون الا صبي وسموه دار المطبيب فانى دخلت دار المطبيب ورايت فيها شي من الطعام كثيرا عجبني وجرت لي فيه حكاية ولكن ما نقولوها الحد ابدا تبقى فضيحة وذلك انى اكلت يوم بطيخ وعمت حشاكم العيب في بيت الفلاحين فشنيت في ثيابي وانا معذور بزياده فان البطيخ يكتر الشخاخ فغسلت قميصي ونشرته في السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوى فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتي رجفه خلتني ضعفت ضعفه ولو شعرها غيرى كان مات وعرفت انها ماهي بشارة خير وانها تدل على موت امى وابوى والحمد لله الى كان فداهم والى حصلت ورحمت الله تعالى الى ما كنت في قميصي ولو كنت فيه كنت انكسرت فعلت حوالينا ولا علينا ولكن من الرجفه وجعتني عيني الى تبقى ناحية المشد ولو كان وقت ما اخرج من دارنا والذى نعلم به الوالد زوج الوالده انى دخلت يوم البستان انا والخولى فرايت فيه نخل شي طويل وشي قصير وشي ما يشبه شي فقلت له دى ايه قال نخله ورايت يا ابويا نخله كل خوصه وكل ورقه قدر الصفة الى نمت فيها امى فقلت ودى ايه فقال لي موز فعجبني قوى وقلت له الموز يطلع في البستان فقال لي ايوه فقلت له والجبن المقلى يطلع فين قال يطلع في طاجن الجبان وانا كل يوم اجي واطل من الطاقة وعمرى ما شفت في طاجن الجبانين مقلى فوعدت الخولى وراهنته من امراتي الحبلى

لامراتة انى بالاصيل بانه يعمل امراتى يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تخلوه يغلبنى
وياخذ مراتى وابقى يتيم وكانى وودن الشيطان مسدوده اصبحت اكتب لحضر
وتخذ خاطر الجيران ما روا تخلة حبن معلى فى طاحن الجبان والذى يعرفكم به
انى لما طلعت البلد ولقيت الصابون غالى فبعت الحاره البيضه واشتريت لى
حاره سودا على شان ماتوسخش وكان كلام كثير فانى لو كتبت لكم الى فى خاطر
اكان كلام يجى من حد عندكم لحد عندى وبعد السلام على اهل الحاره وللحاره
كل واحد باسمه كتير كتير بتاريخ صبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح
من يوم عاشورا السابع والثلاثين من جماد الاوسط سنة ما اعرفش الى يقولوا
عليه بالاماره مطرت المطر واهل البلد عبروا اذ الله (ونظير هذا المكتوب كثير
لا يحصى) * فقد ارسل بعض ظرفاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين
والف يقولوا فيه السلام من الفقى ابو عليه الى اسمه محمد على حضرة صاحبنا
الى ربينا لعب فى القرآن ذى ما يطلع الزرع فى الغيطان ويتكلم بالفهامة ويا
ما له علينا شهامه الى يبيع الكتب المنظومه من الكلام ذى قصة الجاريه
والتودد والورد فى الاكمام خاوى الكتابة فى السطور ومن يعرف كتاب
النجم والعصفور وانا فى شوق واشتياق لا يحمله جمل ولا ناقه ولا حمار ولا
حمارين ولا بغل ولا بغلين ولا زرافه وفى هذا المعنى اقول لك كلام كان *

السلام عليك يا سيك والرحم سلام من هولا يا كل بعد لقمه
الاصايم عن الزاد وهو زى الاعمى وانا قصدى اشوفك ولو فى الحلم

وانا كنت اريد احبك وحيات راسك ما عوقنى الا سر وجى مقطعه وانا اقول
لك شغف لى كتاب كنت شفته من زمان وسمعت به آه عليه ويا ما قالوا لى
عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وما جرى فيها من العجايب وانا
انبارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاودنسيته الله يسامحك
ويسامحنى الله لا غالب الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جنبك
على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب ابو على واسمه محمد وكتب عنوانه
توصل دى الورقه مع ابو عماره الى يبيع فى بلدنا الفول والمش والزيت لحارة بوصلها لمولاى حج
يبقى يوصلها لسوق الكتب الى يقولوا فيه حراج حراج فانظر الى شدة هذا الجهل ولهذا
الكلام الى يشبه الوحل وامثال هؤلاء الجهال كثير ولقد احسن الامام حجة الاسلام ابو حامد
الغزالى حيث قال * تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
* فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع فى كل مجلس
* لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* ومما ينسب لسيدى عبد العزيز الدريني *

* ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم *
* واجعل على الراس طيلسانا * واعقد على الكتفين واختم *
* واجلس مع القوم في صياح * لا بالبخاري ولا بمسلم *
* الاصبحا او نقض كسم * ولا ولم لا ولا نسلم *
* وان لقوا الوقف ياكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم *
* ثيابهم بيض وارتياء * وقلبهم بالسواد مظلم *
* فان ترى في الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم *

اى اذا رايت فقيها على هذه الحالة فاسال الله السلامة منه والبعد عنه ونسال الله العفو والعافية في الدين والدنيا والاخرة * (ذكر شعرهم ورثائهم) *
قيل مر بعض اهل الارياف بجماعة من الظرفاء ينشدون الاشعار في معنى العشق فقالوا لهم زيد ويا معشر القوم من ذى القول المليح فقد ذكرتونى نشيد مليح قلته وانا الحرث في الغيط لكنى عشقت ام معيكه وكنت رايح اموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ما قلت في ام معيكه فانشد يقول هو البيا

ماصال قميصي يشعطط ورا الحمارات * حتى انني صبيت زلهم بتابات
فقلت يا ام معيكه ارحمى من مات * قالت انا ارحم الحمار والبيات بنا

اقول هذا الكلام من نمط الهزل الواهى الذى ليس له اول من آخر وقائله ابلد من البشر او من اغنام البقر وتفاعيله باحتياط مخبط خبط مخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندريه لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه البغيم (ماصال) هذه الكلمة يستعملها اهل الارياف ووردت في القاموس الازرق والناموس الابلق واصلها مازال فيبدلون الزاى صادا لاعوجاج السنتهم واشتقاقها من الضل والضلال او من الصئيلة وهي الحية قال الشاعر

فبت كانى ساورتنى صئيلة * من الرقش في انيابها السم نافع

ومصدرها العشرى صل يضل ضلالا فهو ضال ومضلول قميصي على وزن حريصي او جبيصي واشتقاقه من القمص اى قمص الحمار يقال ان حمار فلان قاص وبلد يقال لها منية القمص ومصدرها قمص يقمص قمصا فهو قامص ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشعطط) ماخوذ من الشعططه او من الشعوطه اى يصير يتسحب ويجر على الارض يقال شعطط اذا انجر على الارض وهذه من لغات الارياف قال شاعرهم * شعطط صحيبك ورخم الف فرطه * واكويه بالنار حتى يلتقى علم *
* حتى يلين ويبقى فرحى من جلسه * تودما طعم عدس وبيسار وبيلم *
والشاهد في قوله شعطط صحيبك وشعطط على وزن ضرط بتشديد الراء

وضرط فيها مناسبة من وجهين الاول الوزن والثاني اذا شحطط وجر على الارض
او في جورة او في نقرة ربما ضرط من شدة ما يحصل له من المشقة والم التشحيط
فكان المعنى ظاهرا * (وقوله من وراء المحراث) اي من خلفه ووصف قميصه
بانه صار يجر خلف المحراث لاحد امور اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحر
والتعب فخلعه من يده كما يفعله الحراثون اذا اشتد عليهم التعب فيفعلون
ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا اكابر الحراثين واما غيرهم فانه في الغالب
لا يحرث الا عريانا او عليه خلقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على انه كان من
اكابر الحراثين ويحتمل ان قميصه كان مشرمط فصار يجر خلفه وينشبك في الشوك والحلفا
او يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار يجر خلف المحراث ومن شدة تعبه
من الحرث واشتغاله بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجد له مروة يلم من الارض حتى جاء ثم
تلك المصيبة * (والمحراث) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريث ومن لوازمها
المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال الشاعر

نضنا عمرك يا محراث تاعب جماعتك * لما اليوم الحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما في تعب شديد وهم مزيد وليس في الفلاحين اتعب منه خصوصا اذا كان
في معاناة الجرافة السلطانية وهو اقل عقلا من غيره لانه في النهار رفيق الاثوار وفي
الليل رفيق النساء في الدوار فلم يكمل له عقل ومثله في قلة العقل مؤدب الاطفال
فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال
قبول شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا آخر وجه المشتوم الشتم الى المؤدب
بقوله يقول لي الولد ده دم الحس فقال له يا سيدنا والولد الاخر يقول لي يا ابن القحبه
يا سيدنا ويقول لي دم احرق عينك يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ
وقد وجد عند مؤدب الاطفال طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال اجمعهم
بالطبلة وافرقهم بالزمارة واضربهم بالفرقلة * * *
ورايت في بعض الكتب ان مؤدب الاطفال كان يعلمهم القران في غرفة له فاتفق الاولاد
على ان يبنوا على باب الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا
ولما اصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل فانشد وسطه
وعدا في طلبها ومازال في البرية يمشي حتى قارب الليل فلم يجد شيا
فراى صومعة فيها راهب فساله هل رايت غرفة فيها الواح ودوى فقال
الراهب في نفسه انه احمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وانت لا تلحقها
ولكن بت عندي الى السحر وانت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد
هلك من الجوع والعطش واضره التعب فاحضر له الطعام فاكل وشرب
حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده من ثيابه التي كانت عليه

ولبسها الراهب والبسهم ثياب الرهبان وشد لهم زنارا وتركهم فيها الى وقت السحر
نبهه وقال له ويحك ان العرب يبعث الى البلد فقم وادخل البلد في دمشق الى المقام
ومضى الى البلد فرحا مسرورا فلما رآه الناس قالوا له انت صرت راهب قال
لا والله الا اني بت عند راهب وقلت له نبهني وقت السحر فايقظ نفسه وتركني
قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك يا راهب نبه
نفسي حتى اروح البلد وخذ نفيسك اجعلها مكانها عبدا عندك بحق المسيح قال
فصار الراهب يضحك عليه حتى ايس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله
(وكان ايضا بعض مؤدبي الاطفال) اذا وقف يصلي وركع اخرج راسه من بين
رجليه وقال اشغلك يا ابن القحبه رايتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يكمل
ويتم الصلاة (وقولـه حتى اتتني صبيه) اي الى ان نزل علي هذه الحالة السيئة والعيشة
الذليلة والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار في الليل والنهار
حتى مرت عليه هذه الصبيه وهي ضد العجوز وصبيه على وزن بليه او رزيه مشتقه
من الصبوة على وزن اللبوة او من الصابون او من مصيبه فشغلت بحبها وفتنته
بجمالها وسباه هواها لا سيما وهي من ملاح الريف وخصوصا اذا كانت في وقت
جمع الجلة وشيل الزبل وهي متضمخة بالنجاسه وتلك الروايح وهي بتعدي تبات
اي والحال انها مروحه من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين
انهم يسرحوا الى الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع ولقيط الجلة والنشق
والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم اخر النهار او في نصف على قدر ما اشتغلوا
ليجدوا العدس والبيسار والمدمس قد طاب وحسن طعمه فياكلوا ويتمتعوا
بلبنا تهم على الافران ومداود البقر واشوان التبن وعرف الجلة ونحو ذلك
(فقلت يا ام محيكة) اي انه لما اشتغل بحبها عندما اقبلت عليه وهي مروحه
من الغيط كما تقدم نظرها فاحبها والعين تورث القلب اشد
مايكون من الحب والغرام والوجد والهيام وهي تركت الدمع بالانسجام

قال القائل شعر

عيني نظرت وشكتي من عيني * ما يقتلني الا سواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين مني بل منياها
فآها كيف يجمعنا الليالي * وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج ان يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من انهم يتذللون
لمن يحبونه ويبذلون لهم الارواح فضلا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله
لان احداق الملاح تذيب اجساد العشاق وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق

دعاس

ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب ولله در معن ابن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على اننا نذيب الحديدا
وترانا عند الكريهة احرا * را وفي السلم للغواني عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بام او باب كما هو مقرر ومعيكه تصغير معكه وهي على وزن ركه اوحكه او دكه او لبكه وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علما عليها لكثرة ما كانت تمعك شعرها على جذور الشجر عند اشتداد اكلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليها ثم وزاد اكلانه فلا يبرده على النساء الا النتف خصوصا في زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس ايام الشتاء لان الشعرتين اذا التقيا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر اسود كالزنجي
فقلت لها ما ذا الذي قد رايته * فقالت طواشي كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فاسفق ايا هذا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك اي حكا فهو ماعك وممعوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء اهل الريف موالييا

توحي معكي يا عطيطه شعرتك بالخيط * لما الحبيب لك هد برطور تين محيط
واعطيكي وحيات راسي نعل من هو بيط * واجي لعندك وشيل رجليك حوا الغيط

ومقول القول ارحمي من مات اي تعطفي بالرحمة والشفقة على من اشرف من حبك وغرامك على ما لا تشعر بالموت او بالجنان في المستعمل وهذا على حد قولهم حزين وواعي لانه مع كونه في حالة تعب وارتكاب نصب من الحرق وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذي يفضي الى الموت فكانه يقول انا يا ام معيكه قد اشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقي لحالي وانظري ما انا فيه من معالجة اخواني الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وانت صبيه نضيفه وتكرهي الشعره المنتوفة فاسمحي لحب يسعبين فيما بيننا العلقين وازور الشيخ ابو قبه ولو اخذت البشت والجبه لاجل حصل من بعدك وغرامك على الموت فلما فهمت من حاله هذه القضية وابتليت بهذه البلية ورات الذي هو مثل الذي عليه وشبيه الشيخ منجذب اليه قال الشاعر

رايت مجذما في قاع قبر * وآخر برصا يخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

ابدت اليه العذر الذي اوجب لها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهي في تلك المشقة العظمى والداهية العميمة وهي حدوث الخرا عليها بلا انكار

ومكابدة دفع المشقة والاضرار لانه ثقيل في الصرم خفيف في الكرا اذا ادرك
الشخص بين ناسه تخرى في لباسه قالت له على سبيل الوفاء بالوصل ولم تدعه
يقاسي الم الحب والنكال انا ارايحه اخرا وفي رواية خاطرها اخرا والمعنى في الذوق
واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتاكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق
المستمع العبارة والقارئ لها ايضا والمعنى ان مرادي افرغ نفسي من هذه القضية
في نقرة اخرا فيها مثلا او فوق سطح او في جنب شجرة او في الغيط او نحو ذلك كما هو
عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المرأة منهن تجلس في قضاء الحاجة
وسط الزريبة او في وسط القوم خارج البلد واي نقرة وجدتها بالت وغوطت
فيها لان دودهم ليس لهم مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سالت بني الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمها اياه حالها وغرضها كانها
تقول له اني اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما انضايقت من هذا الامر المشروح
وراعحته عليك تفوح ولكن عند الزيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب
الكورة اوفي بالوعد والمرالشنات واجيك بتبات اي بامر ثابت محقق *
واجابرك فيه واصله بالثاء المثلثة غير ان هذا من الفاظ الارياف
فكما انهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة الفوقية ووقع في رواية
اخرى اجيك وابات لكن يكون فيه الابطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا
للمقام اذ هو شعر كلا شئ فعلى الرواية الاولى يكون المعنى انا قولي ثابت في
المجئ اليك والبيات عندك والبيات ماخوذ من بيات الفراخ لان نساء
اهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى
ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته
وبين بتبات وتبات الجناس المحرف او المصحف على اللغة الاصلية ويمكن ان
يكون قوله راجيك بتبات اي هذه الليلة وقولها اجي وابات اي الليلة الثانية
كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وان كان هو عينه في باطن
الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وتبات الثاني فان الاول منسوب
لقول الرجل والثاني لقول المرأة ولعلها ارادت بتاكيدها في البيات
عنه عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء
بالوصال ويكافي العاشق بلذة القرب والجمال وقالت هذه الصبية في نفسها
هذا المحب لا يرضيه مني الا ليلة على كما انها يتملى بتلك المفاتح ويشم الهوا

الروايح وهي اثار حلة الغيط وارقدا ناوا ياه في الفرن او في مدود الجماده
او على الجرن او فوق الجله الناشفه لان النهار كله في المحرات والتعب ولا
يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كد المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال
الشاعر

قالت نسافر يا فتى * ونفارق الوجه الحسن
فاجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن

وتاكيدها في البيات يفيد ايضا انها تريد من هذا العاشق انه يتهيأ لما
يناسب حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول والمدمس ونحوه
ومصدره بات يبيت بياتا وقولها السابق اخرى لفظة الحرافيها لغات ذكرها
صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه
الغائط والعذره ونحو ذلك انتهى ومن اشعارهم الغشروتيه

وقلت لها نولي على وشر شري * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الحزا الطويل الذي عرضه من الحسينية لبركة الفيل
وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلام الثقيل ولفظه الهبيل ان هذا القائل
لما تولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج ان يتذلل لجمالها
وان يتمتع بمحاسنها وان يتحمل منها المشاق والدواهي والبليات كما هو عادة
المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس
فهو في اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حك الجوع جسمي حك * وصمت عامين الما صمت يوم الشك
وحق من لو الجبال الراسيات تدك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور ان يكون اجرى من كلب واوزن من ضير في ولاد
من يهودي وعشق الفسقة على اقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حلقة
وعشق علقة فهي اربعة اقسام ونحن نوردها على اخواننا المناعلس على التمام
فاما عشق الشفقة فهو ان يميل العاشق الى الولد الجميل او المرأة الجميلة ويكون
معه او مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح في محبوبه والشفقة عليه
حتى يصير عليه احن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من اجله
البليات ويكون حريصا على امواله شفقا على حوايجه مسرعا في قضاء اوطاره
حتى يقضي منه المراد على اتم حالة قال الشاعر

لقد سرت فراشا لحبي وسائسا * زمانا الى ان نلت منه مراديا

واما عشق النفقة فهو ان يكون الشخص صاحب مليسرة واموال فهو لا يحتاج

الى تعب في جلب محبوبه بل كل محبوب اظهر الدراهم يحضر عنده على احسن حال
واتم منوال قال الشاعر

فرقة العشاق يا من عشقوا * ذهب ينثره او ورق
واذا باب الرضا قد اغلقوا * يفتح الدرهم ما قد اغلقوا
هكذا قد قال في تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا

واما عشق الحذقة فهو ان يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح
وليس له حيلة الا النظر الى الامر الجميل وطهره يشير اليه انه مسكين وعاشق وفقير
مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه
بالدعاء بقوله اطال الله بقاك ادام الله جمالك اسعد الله ايامك ونحو ذلك
فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له ان مراده الوصال لما يراه من دوام النظر
اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظر اللواحظ الا فراسة * وما تحت ميل العلوق الا منيم ثم

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

انا احد وعشقا مليحا * الق في الغضة خضر
واحد هذا وهذا * لم احد في الحي عرفه
اواحد ها تيك جمعا * الق في الحارة زفه
فلهذا طول عمري * تائب من غير عفه

واما عشق العلقة فهو ان يكون العاشق عديم الذوق سيء الخلق كثيف الطبع
والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضرب بالمقارع او حكم
بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه انواع البلاء والقاه في اشد المصائب لا ينفك
عنه ولا يخلص منه الا بمراده كرها لا برضا قال ابو نواس

اذا رقد الندامى حل عشقي * وممن كان يصلح للدبيب
الذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الجحد وخوف الرقيب

وليس للناظم عن هذا القسم بدليل قوله بولى على وشر بشرى ان محبوبته لما راته
عالقا بها كعلوق النار في الحطب والزنبور في الخشب علمت انه لا يفارقها الا ان
يقضي مراده منها لعدم ذوقه وصفاقة وجهه ولم تقدر ان تمنعه بصك ولا بشي
بخس فلاجل ان ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها
واوهمته انها تريد البول عليه او على لحيته حتى تماثلها ولكنها في طومنه وحيرة
فاكد عليها بالقول وامرها ان تفعل فقال (وقلت لها بولي على وشر بشرى) اى
انى لا ابالي بما تفعلينه معي من النجاسة ولا اتكدر من الخساسة لاني عاشق

مشوق وقليل الهندام والذوق وفي هذا المعنى يقول القائل

اجبكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق   بالله اعذروا العاشق الخراعديم الذوق

فلا ابالى بالبول على وعلى لحيتى لانى (عريض القفا) وتخينه ومن شانه عريض القفا وبليد الطبع ان يكون للنائبات صبورا وان لا يضجر ولا يقلق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر

يعرض قفاه للهموم جميعها   وذاك لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهى شيء يعمل من الخوص والحلفا يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الحلة والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف او المحل باسم الحال ومصدره بال يبول بولا ومبالا ومبولة ومبلة ايضا وهى ما يبل وينقع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاى شيء اكتفى الناظم بقوله بولى على ولم يصرفها فيقول بولى على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب الفشروى عن هذا الكلام وهذه الاشكالات المشكلة وهو ان كلمة بولى فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه من قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان في حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولى او يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف

قال الشاعر

بالت على مبالة ومبلة * حتى اكتفيت ببولها وانا ابول

اى وانا ابول عليها ايضا لينا سب بولها بولى لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت انا الاخر عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

مليكة الحسن جودى بالتفاكرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذا

افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

اى اذا دخلوا قرية افسدوها وقوله على اى بولى على ذاتى جميعها حتى يشمل البول شواربى ولحيتى وما جاورها بحيث لا يبقى فى منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا او باطنا وقوله وشرشرى معطوف على بولى وهى من لغة الارياف وقد وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وهى مشتقة من الشرا ومن الشرور او من اولاد ابى سرعه بشر وهم جماعة فلاحون او من الشرشرة وهى آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح فى حزامه اذا سرح فى الغيط يحش بها الزرع للبهائم وفى شرشرى جناس مذيل وهو مفعول شرو

واكد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب ان تقول له بل على وطرطري لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى ان بولها ينزل من فرجها مشرشرا لحكم اسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب انه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق في الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال ذكر فهو في الارض يخرق

وفي رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا ان عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف اهل قبيلته وهم بنو عبس من العدوان يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على اهبة سفر فاتفقوا ان يجعلوا ابنة عمه مكانه ويزيوها بزي رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت امام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأي وفراسة فقال لهم انا اكشف لكم الامر وهو اني اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهي عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجدها عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة في محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تخطر عليه ببالك

فصوره في وسط الكنيف بلحية * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صغير اللحا وعريض القفا مشتق من العرض او من العرضيه وهو ما يلف على الراس بلغة الريافة ويسمونه ايضا الكرة او من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصك وغيره كتعرض الغمام في افق السماء والقفا مشتق من القفوة اي قفوة الانكشارية التي يلبسها ملازموهم او من القفة او من القفقولة وهي بوشة صغيرة يطبخ فيها اهل الريافة طبيخ البيسار وقيل هو من تقوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للراس ولا يفارقه ابدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال الشاعر

الراس يتبعه في السير اربعة * وجه وذقن واذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليد الجنان الغليظ قال الشاعر ما دبابك يا بحر الوفا وقفا فما قرعنك نطع واقف وقفا وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهي ما ينوب

الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا اتتك مصيبه
فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات تلدن كل عجيبه

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبود على وزن عبود وقيل بمعنى صابر وعلى هذا ايضا يكون عبود بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر او من الصبارة التي تعلق على ابواب البيوت وقد تدنت في بعض المقابر فهي لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر تاتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر
واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمي من الشرر

الى آخرها هذا وقد اتى لفظ العبرانية بمعنى العبود في نظم الشيخ بركات وسبب قصته انه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق انه سافر الى بلاد الروم ووصل الى المدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له مارا في بعض شوارعها فسلم عليه وساله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد اجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لا بد ان امدحه انا الآخر واثني عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان انهم لا يمنعون احدا عن ابوابهم فخرجت اليه امراة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سياتي في نظمه وقالت له ما تريد فقال اريد الملك فقالت له تاتي اليه في وقت غير هذا وان كان ولا بد فعرفني حالك نخبره به فاخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرانيه * جا يسلم ما قدر شي * من عجوز خلف دار * كالاسود الضاربات

وطواها واعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة في يد الملك وقرا البيتين امر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى خاثره وبلادته وثقل نظمه ورؤيته لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم اجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه البسه برذعة حمار وامران يجعلوا في فمه اللجام وعلى ظهره الثفر كعادة الحمير ثم امران ينادى عليه في المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه

الالفاظ ثم انعم عليه بعد ذلك وامر باخراجه من المدينة قلنا وهذا ذكروا
ان الشاعر لا يهدي قصيدة لملك او غيره حتى ينظر في الفاظها ثم يهديها
او يعرضها على ارباب الخبرة من اهل الذكاء والفطنة لئلا يقع في محظور مثل هذا
ولنرجع الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عبرايه)
جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر او من بركة الجمل وقوله
عبرايه اي يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله جا يسلم ما قدر شي
اي اتى يريد السلام ما قدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة
في منعه كالاسود اي السباع الضاريات العاديات التي تعدو على الانسان
وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها
وشاب رأسها فيصير قربها هم وجماعها هم لا على من يميل الى عشق العجائز
ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

ويقرب من هذا المعنى انه وصف لابي نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول
الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسال عليه فدلوه
على حانوته فوقف عليه وسلم فرد السلام فانشد ابو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله في رجل * امناه حب عجوز بنت تسعين

فاجابه الحداد بقوله

يبكي عليه فقد اوذي مهجته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له ابو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال له مالي
ولامير المؤمنين انا صنعتي تكفيني ولا حاجة لي اليه فتركه وانصرف
وقد تطلق العجوز على الخمرة العجوز اذا عتقت وطال زمنها وقال بعض
الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى
حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام في حق الهدهد لاعذبنه عذابا
شديدا قيل اراد ان يزوجه بعجوز وقال سيدنا علي كرم الله وجهه اياك ومجامعة
العجوز فانها تاخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة
والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا ان اصل حرب البسوس
من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها
كليب بسهم فقتلها فذهبت الجساس والفت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا
ووقع الحرب بينهم اربعين عاما وذكر بعضهم ان فتنة التتار التي لم يوجد
في الاسلام اعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوز ا

واما

اجيلهن في القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها اغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز الشوم لا يرحم صباها * ولا نغفر لها في يوم موت
تقود من السياسة الف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكي وتنوح فقلت لها ما الذي دهاك فقالت لي يا سيدي وقعت لي اسورة من ذهب في هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابي ونزلت البئر في طلب الاسورة فاخذت ثيابي وانصرفت وتركتني عريانا ففتشت في البئر فلم ار شيأ ثم خرجت من البئر فلم ارها فسرت الى المنزل عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغي التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهي والمصائب فان قيل لفظة قدرشي في نظم الشيخ بركات التي تقدم ذكرها بمعنى قدر فلاي شيء لم يكتف بها مع انها اقل حروفا من قدرشي فكان حقه ان يقول جا يسلم ما قدر وكان هذا اولى واحصر في اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشي ابلغ من لفظة قدر وايضا ربما اختل النظم فراعى في ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر واما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالب بها لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى ومن اشعارهم الغشرونية البيتان الاثنان وسببهما على ما قيل ان جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شيء من الحلوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم والحزن على وجهه قد لاح فلما رآهم وهذه الحالة انقض عليهم بلا محالة وقال لهم ذكرتموني زمان العشق الملاح وقولهم بلا مزاح واراد ان ياكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لابد ما ارمي عليكم النقاس اي الالغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

والله والله العظيم القادر * هو ما الما بسرايري وخبا يطلي
ان عاود القلب المشوم ذكركم * لا قطعوا من مهجتي بصوابعي

هذا الكلام من بحر المخلبط والمعاني المشرمطة وتفاعيله متخلبطة تخابطه وعرضه بيقين من زنجير لشربين وطوله باحتياط من السرو لدمياط واما شرح معانيه المسخمطة وحل مبانيه الملخبطة فقوله والله والله العظيم القادر يريد القسم غير انه لم يقع للوقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة امثاله من اهل الريف فاختل المعنى في ذكر الصفة وان كان الموصوف الذي هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هو ما الما بنصب الما مع انه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا ان لسانه لم يساعده على ذلك لان السنة اهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من بابه مجرة الكلام المناسبة لهولاء الاقوام وقوله بسرايري وخبا يطلي السراير جمع سريرة وهو ما يسر الانسان

من خير او شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عسيطة فخبايط على وزن عبايط ويشتم
من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا القاه على الارض او من الخباط على وزن الضراط
ولفظة الضراط انسب بالمقام بل هي اولى قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لاقطعوا من مهجتي بصوابعي

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشي وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه والقلب
مشتق من التقلب قال الشاعر وما سمي الانسان الا لنسيه ولا القلب الا انه يتقلب
والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة ايضا واسماؤها الخنصر
والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهي خمسة بيقين ولا شك فيها ومعنى الكلام ان
هذا البليد اقسم بالله العظيم القادر على كل شي العالم بسرائره وخبايطه اي ما اسره من
الافعال القبيحة والنيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والنط
في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة وموالسته على زرع شريكه واخذه بالليل ونحو ذلك
من الخبايط التي يفعلها هو وغيره من اراذل اهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم
اي ان رجع الى محبتكم بعد ما قاسى من همومكم وتركم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح
لكم في الغيظ في الحر ويسرح لكم بالزبل ويسرق لكم الجله وترسلوا له الغنم علاقها
خبزا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان
الناس ومن زرعكم وبطيخكم وانتم تشتغلوا بغيره وتتركوه ولا تعرفوا الجميل الذي يفعله
فهو الاخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بانه مشوم لانه واقعه على محبة قليلين الخير
ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم
اي حركة بذكركم بعد هذا كله لاقطعوا من مهجتي اي انزعه منها بصوابعي وفي رواية
بضوافري والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور
قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه
ولا قطعه بجارحته كما زعم الناظم قلنا الجواب ان هذا قطع معنوي لا حسي
بمعنى انه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وبالغ في القطع بصوابعه
او بضوافره كما تقدم ومن هذا قول العارف بالله سيدي محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

يا قلب لا كويك بالنار وان كنت عاشق لا زيدك * يا قلب علمتني العار تريد من لا يريدك

وقوله من مهجتي فيه شي فان القلب ليس في المهجة وانما هو في الصدر مما يلي الشق الايسر
فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له ادنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام
ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول ينفعني يطي والثاني صوابعي
وضوافري وهو غير الوضع العروضي ولا يساوي قشرة بيضة وناظمه التقل

من مجاورة المبيضة غير ان قائله من ارباب الحروف المقلوبة وللمناسبة مطلوبة
(مسئلة هائلة) لاى شئ ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين او الموسى
اذ من شان القطع ان يكون بآلة محددة وكون القلب مما لا يتجه قطعه
بالصوابع ولا بالصوا فرقلنا الجواب الفشروى ان يقال انما ذكر القطع بالصوابع
لكونه اخف فى الالم من السكين اولان الحركة والعمل لا يتاتى الا بالاصابع اذ
لا يمكن ان يقطع الشئ الا باليد واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع
فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعوا من محبتى بسكينة قابضين عليها بصوابعي
ومن هذا المعنى قوله تعالى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اى حكاه
الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك اولان السكين اذا قطع بها قلبه يمكن ان يقال فلان جرح نفسه بسكين
او قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفى عن نفسه الريبة او انه من باب خلطبطة
النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعوا من محبتى بصوابعى وسكينى لكان
اولى بالجمع بينهما اى الصوابع والسكين الا ان الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا
المعنى الثقيل فاتضح الجواب وبان الصواب ومن اشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك وجبل طور ابن خالى كيف مدلاتك
يا من بحبتى قليبى فى وحيلاتك يا ريتنى قرموطه بين اديالاتك

هذا القول الحكيس والنظم الخسيس والمعانى الغلسية والالفاظ الهبالية من خرافات
الاسرائيليه والتشابير التى خرجت عن الاوضاع ومجتها النفوس والطباع وهو
ان ثبتت اوزانه واختلطت اركانه فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط
خبط وطوله باتفاق من الخانكه لبولاق ومرضه يسقاتين من باب زويلة للسوق
السباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك
يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه
فكانه يشبه الوزيه وهذا من اعجب العجاب ان هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته
بالهباب لكن هو الانسب لها ولعشقه اياها وشبيه الشئ منجذب اليه والطيور
على اجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لا يكون فى بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا
وان غالب سنة الكفر يحترق فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة
تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا اوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمى
ولم يقل غيرى لكونه كان فقيرا لا قرن له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزل
الفشروى لانه لما عشق هذه المليحة ورأى الكحل فى عينيها اراد ان يتغزل فيه
بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية متصل ببلادة طبعه
فلم ير شيا اسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا التفت الا ما يرى

كلما فيه حسنا وكذلك اذا الف شخصا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنده في قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال آخر

يقولون في البستان للعين نزهة ... وماء نمير صفوه غير آسن
اذا شئت ان تلق المحاسن كلها ... ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وعادة نساء الارياف انها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبخ فشبه خلاخيلها به لكونه دائما في هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام هباب ثم انه لما شبه خلاخيلها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها انها تفهم من ذلك انه يحبها ومصر على عشقها اراد ان يشبه مدلاتها ايضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وان يكون التشبيه من ماهية ما سبق من تشبيه خلاخيلها فقال (وحبل طور ابن خالي كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره ان مدلاتك في الطول تشبه حبل طور ابن خالي والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل في آخرها جلاجل من فضة وورق ونحو ذلك وتسمى ايضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل هذه) نحو من ذراع او اقل منه وحبل الثور ربما يكون اكثر من ذراع او ذراعين غيرها يكون ملتفا على اذنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو في الشئ والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرخاة على ظهرها وصدرها ولم يعرف بلده احسن من ثور ابن خاله ولا اطول من حبله شبه مدلاتها به واتى بهذه الاستعارة الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظم التجليس ولما كونه حرم نفسه من ان يقبل كلامه عند محبوبته التي خاطبها باستعارة ثور ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيئا يدل على المال حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله انه عاشق مفلس فليس له دونه غير الصك بالنعال كما قالوا في هذا المعنى مواليا

الى معشوقة لو طلب الثريا نالك ... والى بلا مال يصكوه الملاح بنعال
وان كان معك مال هات تبلغ الامال ... ما كان معك مال اطرد وك الملاح في الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالي بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة في الثور بالطاء وبالطاء المثناة فيقولون طور وتور (يا من يحنى قلبي في وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبته قلبه يحن الوصل والطين عقب المطر

يعنى انها تلم وتدوس برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر فى الزريبة
واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلونه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة
والوحل ببقاين ويسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد
عند اهل الريف ثم انهم يجعلونه جواليس ويلبسوا به بيوتهم وافرانهم وربما جعلوا
منه مداود للبقر وغير ذلك مما يحتاجون اليه فلما رآها فى هذه الحالة اخذت قلبه
وعجنته برجليها فى هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على انه لا يجوز من المحبوب
ان يتملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه فى الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به
ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سؤالا كان قائلا قال له المحب ليس له تصرف فى
نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلوانها الفتك وزقك وقلبتك فى الخرا فضلا
فضلا عن الوحل لا تلمها فتمنى ان يكون قرصا من الجلة بين يديها واضاف الوحل اليها لانها
مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة انها كانت تعجن الوحل فى محلها حتى يكون
ملكها وان الوحل كان فى زريبتها ببقين كما ان الجلة والزبل فيها ايضا وقوله وحيلاتك
تصغير وحلاتك (وقوله ياستى قرص جله بين اديانك) حينئذ تاكيد وبيان ان
المعجنة التى كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل ببقين وقوله
يادستى قرص جله الى آخره بابدال اللام راء فى دستى من لغة الريافة واصلها ياليتنى
وقد وجدته فى القاموس الازرق والناموس الابلق والمعنى انى اتمنى ان اكون بين يديها
قرص جله من هذا الوحل الذى تعجنه واكون وحل ان وحلاء وحلا بطريق التمنى وان وحل
بطريق التشبيه فاتجه الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جله
وهو شئ خسيس اشارة الى ان العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا
التشبيه الحقير المتشابه للحمير النعسة وتمنى ان يكون قرص جله بين يديها وهذا
هو الانسب لمحبوبته لانها دائما فى عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهى دائما فى هذا الامر
فاتى لها بما يناسب حالها وما تحبه واعز ما يكون عندها الجلة والوحل فما اشبه هذا العاشق
بما ارذل هذه المحبوبة وقوله بين اديانك هذه لغة اهل الريف والمعنى انى اتمنى ان اكون
قرص جله تقلبيتى بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلى فى قرص الجلة حتى انى
اتلذ بكونى مرفوع فى يديك وتمس ذاتى اصابعك فنصل الى الراحة ويزول عنى
الم المشقة ولو انه صورتى انقلبت قرص جله فانى لا ابالى من النجاسة ولا اسام من
الخساسة لما فيهما من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك ويقرب من هذا المعنى قولى

وهيفاء للجتها حين حطبها تمنيت انى مرطها وثيابها

لكن هذا تمن ظريف فى محبوبة لطيفة (مسئلة هبالية) لاى شئ اقتصر فى
العبارة على الوحل وكان حقه ان يضيف اليها ايضا الجلة والزبل حتى يصير فيها
مجموع الثلاثة (قلنا) الجواب المشروى انه اذا كان الوحل تاما ببقين

فيكون الزبل والجله فيهما من بابه اولى فلا اعتراض على الكلام واتجه الجواب بلا محال وقوله هباب على وزن تراب اوكلاب اوسراب مشتق من هبوب الريح اومن هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتني كلابها ... فقلت مجيبا قد علا لى هبابها

(وهبهب) واد فى جهنم (وفى الاحياء) للغزالى فى كتاب ذم الكبر والعجب عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثنى عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم واديقال له هبهب حق على الله ان لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه ومصدره الهباب يقال هب يهب هبابا وسمى بذلك لكونه يهب من الافران (وقوله ابن عمى) العم اخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ اب وهو مشتق من العمى اومن العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا وجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذى هو ضد البياض وهو اقبح الالوان (كما اتفق) ان بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به وهى عبد اسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته وجد فكتب اليه اما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا اقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد مأخوذ من السودد وهو العلو والرفعة ونصر يقال ساد يسود سودا وسوددا (وقوله) كحيلا كالكحل مشتق من الكحلة اومن الكحال اومن تذكرة الكحالين قال الشاعر

اجبال الكحل تفنيها المراود ٭ وكنز المال تفنيه السنين

وفى الحديث اكتحلوا بالاثمد الطيب فانه يحد البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وخل طور ابن خالى الخل مشتق من الخلى اومن الخالين والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور اومن الطارة التى يصيدوا بها السمك واما بالثاء المثلثة وهى اللغة الفصيحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث فانه معد لذلك والساقية ايضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون مواليا

٭ الثور والبقرة ذى العلم من قبله ... فى مصر والشام مع غزة مع الرمله
فذى يحلب وتولد عجل اوعجله ... والثور فى الساقيه ياكل بغير قمله

وقوله ابن خالى الخال اخو الام وعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخيلاء اومن الخيل اومن الخلخال اوخيال الظل ومصدره التخيل يقال خال يخيل خيلا ويطلق على الخال الذى يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال ابو نواس ... يكون الخال فى خد قبيح ... فيكسوها الملاحة والجمالا

وقوله

وقوله كيف مدلاتك المدلات واحدتها المدلة على وزن مبلة او المدلة مشتقة
من الدل والدلال قال الشاعر

له دلال ودل زائد غنج * سبحان من خصه بالحسن في الناس

او هي من التدلية لكونها تدلت على الصدر او على الحوران او الاكتاف ونحو ذلك
ومصدرها التدلى يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة وقوله بجنتي العجن
مشتق من العجنة او من العجان قال الشاعر

والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف الفلك واشتقاقه (وقوله
في وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل ايضا وهو مشتق من التوحل ومصدره
الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل وحلا اى من طبعه
وخصا له كتشبه الوحل بخسة خبيثة (وقوله) يادستي قرص جلة القرص هو
الشئ المدور مشتق من التقريص او من القراصة ومصدرها القرص يقال قرص
يقرص قرصا والجلة فيها ايضا وهى مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين اديالك
جمع يد وقد ورد هذا اللفظ في القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا باديات تشير لنا * تمشى اليها سعيا بالرجيلات

(وفى نسخة اخرى) يادستي قرص جلة بين رجيلاتك والمعنى واحد في النجاسة وعلى
القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهى من الترجيل او من الرجلة قال الشاعر

اذا اشتغلت الرجلان فهي كرجلة * والا فرجل كالترجيل اذ ورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي الابيات من انواع
البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بهباب
الفرن وحبل النور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من فرح كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن اشعارهم ايضا موالــيــا)

سالت على حب قالوا اشت ملتايه مسحت دمعي بكرسايه ونيلايه
وشلت وجهى لربي قلت مولايه جاب لي رغيف وعجوه وقثايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس
النظام وهو من بحر زبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه
بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن
ثاقلن ومعناه الذميم لايهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد
من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سالت على حب قالوا اشت ملتايه) يريد
به انه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر مما ذكره

وما دائما لا يفارقه طرفة عين فان من احب شيا اكثر من ذكره ولو انه في اعظم المشقات واصعب البليات كما قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يلتذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج اعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) ان رجلا زاد به العشق فمرض فاتوه بطبيب فاخذ يجس نبضه ثم قال الطبيب لغلامه غن الفرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب انت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجية فقال له نعم يا سيدي فقيل له من اين عرفت ذلك فقال امسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة انه عاشق ومحبوبته اسمها فرجية ومن هذا المعنى ما ذكرته في بعض القصائد من قولي

شكوت ما بي فقال الصحب اجمعهم * انظر طبيبا لقد امسيت في وجل
فرحت نحو طبيب كنت اعرفه * يدري رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يا رعاك الله خذ بيدي * وانظر لحالي وداو القلب من علل
فجس نبضي وقال الحب فاربكك * فراشني وفؤادي صار في خجل
وقال انت سقيم في هوى قمر * بديع حسن رنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا اراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وان يعلم محله ومنزله ويسال عن حاله وفي اي مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فقال عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذي تسال عنه شت اي ذهب وراح من التايه وهي محل يجعله الجماسة على شكل دائرة او نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ووضعوا فيه اواني اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسمونه التايه فيقال تاية الجماسه وتاية الغنامه ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله في زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة والوحل ايضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوي هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة او الغنامة الذين هم رعيان الجاموس والغنم بدليل انه سال عنه الجماعة القاطنين بهذه التاية فلما علم انه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وادركه البكا والنواح عليه بدليل قوله (سحت دمعي بكوسايه وجلايه) اي حين علم ان محبوبه فز وشت من التاية ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التاية لاحد امور اما انه انكسر على ابيه مال السلطان فهرب لئلا ياخذوه عنه رهينة او انه راح في طلب عجلة او بقرة او ثور فنت في البراري لينظر ما ذهب منه فلما لهذا العاشق الطفش عن هذا المحبوب الفلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هي عادة العشاق

واسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه ايضا (كما اتفق)
ان بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

* اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي *
* وليتك عندي اذا ما غبت * يكون لسانك في نقرتي *
* نسيمك عطل ماء السما * واورثني الكسر في ركبتي *

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعي بكسر الدال المهملة جريا على اللغة الريفية اي لما حصل لي هذا الامر مسحت دمعي السائل مع المخاط الذي هو من لوازمه بكرشايه فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه ايضا بجلايه اي انه استعار له مسحتين عوضا عن محرمتين وهذا انما ناسب عشقه لهذا المحبوب وفي ايضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما في قطع الكرش وشيل الجلة وعجنها ولونهما وكذلك المحبوب فالجنسية علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذ لو قال مسحت دمعي بمنديل او بمحرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور ان يكون له محرمة او منديل الا نادرا لان الظريف من اهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده في كمه او في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلم ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لانه سائل عن اهل الناية وهم دائما في حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو ايضا في حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم في النجاسة ورئيسهم في النجاسة ولا يتصور ان يكون مع احدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة في الغيط ذقونهم وعمارا اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة او في القلقيل او في الحشيش او نحو ذلك فان قيل لك لاي شيء مسح دمعه بكرشا وجلايه وكان الاولى ان يمسحه بكمه او بطرف كره او بشيء كان عليه من ملبوسه قلنا لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط او كان عريانا كما هو دأب الفلاحين في غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لا غير فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر او قناة او شيل زبل او جلة او نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل او انه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتنفر من ان الكرشا والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بهما او انه من الخضوع المشروع والتذلل لمحبوبه او انه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به انه مسح بعينه ووجهه ودموعه بكرشا او بجلايه ليتحقق انه يحب له وانه تعاطى لاجله اخس الاشياء والاولى ان يقال هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص منا اولاد الفلاحين ينشأ من حين ولادته الى ان يموت في الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على

النجاسة وربما اكل وشرب على الزبل والجله ونحو ذلك فهم خرا ولا دخرا فكان مسحه بالجلا
والكرشا فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب النايات واحوال
الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وافاق لنفسه لما تيقن
ان محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره و
ليأتيه بشئ ياكله من خبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة
الفلاحين في اغلب ماكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا
الفلاح لاسيما اذا كان في حالة حفر البير او شيل الطين او نحت قناة او شيل
الوحل وتراكمت عليه الدواهي والتعب من عقب حفر البير او شيل الطين او
العشق الذي هو فيه وزياده على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه
وقد ابطا عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت عليه نفسه لانهم يقولون الجوع
كافر (دعت) بعض الفقها ولما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا فقالت
انت انت وانا انا فسلط عليها الجوع وقال من انا فقالت انت الله الذي لا اله الا انت
فكان الجوع على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصيح
جسمه وينشط للعبادة «وقال بعضهم» كل كثير تنام كثير يفوتك خير
كثير كما قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى سعيدا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذ اقل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر اخبر عن نفسه وقال في مناجاته لربه *
«وشلت وجهى لربي قلت مولايه» اى لما طال على الزمن في حالة بكائي وفي مسيح
الدموع واشرفت نفسي على الهلاك من الم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربي
اى رفعته وهذه لغة ريفية وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال
عندهم فلان بشال وجهه اى رفعه وقوله لربي اى لخالقي ومربيني ثم دعوته وقلت مولايه
وحذفت ياء النداء لضرورة النظم واما الهاء في مولايه فلاجل الرويّ ثم كان من ضمن
دعائه انه قال اطلب منك ياربي ومولاي ان تيسر لي ما آكله والتهي به عن الانتظار
لهذا المحبوب الذي اذهل عقلي واجاع نفسي واسال مخاطي ودمعي فعند ذلك
استجاب الله دعاءه كما اشار بقوله * (جاب لي رغيف وعجوه وقتايه) *
اى سخر لي انسانا اعطاني مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتي وحصل لي
غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم فان قيل استجابة الدعاء لها شروط
ان ياكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح في وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهي
مسح وجهه بالكرشا والجلة ووقوفه ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب الجدار
او الجرن وايضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو

الرغيف وما معه قلنا انما عجل لهم الله هذا من باب الاستدراج او من باب ما ورد ان الرجل
الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه
اليه وقد قيل في قوله تعالى في حق سيدنا موسى وهارون عليهما السلام قد اجيبت
دعوتكما اي بعد اربعين عاما * (مسئلة هباليه) ما الحكمة في ذكره في الابيات الكرس والجلة
والرغيف والعجوة والقناية وهذا لا يناسب ذلك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن ان
ياكل القناية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره فما يناسب فما فائدة ذكر
ذلك مع ان فيه انواع المجانسة *(قلنا)* لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه
نوعا من البديع فالكرساية واحدة الكرس والجلة واحدة الجلة والقناية والعجورة
كذلك وذكر القناية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى
الجناس للتصحيف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبالك واما حل هذه
الابيات واشتقاقها فقوله سالت عن الحب السؤال هو ان يسأل الشخص عن شئ
وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السيل او من السولية او من السالة
ومصدره السؤال يقال سأل يسأل سؤالا والحب مشتق من الحبة او من الحبوب
وهو بكسر الحاء اسم لمن بر الماء وسمعنا اني وانا صغير تقول يا شئ من شي يطوى على بطنه
والمعلى يعل شغله ولم افهمه الا بعد مراجعة اي مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب
يقال حب يحب حبا وقوله شت مشتق من الشتات او من الشتيته التي تستعملها النساء
لحمو الكتان والتايه مشتق من التوهان او من وادي التيه وقوله مسحت من المسحه على
وزن المروحه او من المسيحة على وجه دبغة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلا
كذلك من معناها والكرشا من التكريس او من كرس الزريبة وقوله شلت مشتق من
الشالية وهو من وجهى الشيل والشالية التي يوضع فيها اللبن او من الشلفا الذي
يشالك فيها التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجوز
من العجز او من العجيرة وهي حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر
يعجر عجرا * والقناية مشتقة من القت الذي يربطوه الحصادين من الفلاحين
ايام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفي البيت من انواع البديع المقابلة لانه
قابل وجهته بالكرساية وقابل لحيته بالجلاية وقابل بطنه بالرغيف والعجوزة
والقناية وهذا يدل على انه كان مشغولا ببطنه اشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه
الطباق المعنوي ايضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على
ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم القشروي من غموم وهموم ومعاني
عليها الخرا طشوم لا يعرف الا بالسذوق ولا يدركه الا بالشرق
ومن اشعارهم مواليا

رقاص طحونتنا يتشبه لخيالك * و رحينا في الزريبه قالت اشعالك

الا وكلاوف يقول لى يا صبى ما لك * طور ابن شيخ البلد حالم كاحوالك
والعجاجيل فى الغيط بترعى لك * المشيشى والدريس الاخضر الحالك

هذا المواليا من بحر القبيط وهو على اربعة اضرب من التخابيط وتفاعيله مستفعلن لاهطن مستلطن لاهطن وطوله من غير حصر من مشترى لمصر وعرضه مع المصيبه * من باب النصر للصليبه ومعنى الفاظه للمويطم رحل معانيه العبيطه ان قوله * (رقاص طحونتنا يشبه خلخالك) اى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقزدير كما تفعله نساء الارياف او من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبه به صورة خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا اعرفوه بانه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الاعلى تقدير مضاف اى صوت رقاص طاحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا انها كانت تلبس فى كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله فرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطحانون لاجل معرفة الناس ان هذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه او لاجل دوران الثور والفرس فانه ما دام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فاين المناسبة بينه وبين الخلخال المن الفضة فان الشئ انما يشبه به ما كان مثله فالجواب ان هذا المنطع لم ير الخلخال اصلا ولا ملكه طول عمره وانما عرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه ان صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا احسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته لا سيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس او الحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف والطف ما سمعته فى طحان هذان البيتان

طحانكم قد زهى جمالا * فما يطاق السلو عنه
ورق خصر افليس عندى * بكم يباع الدقيق منه

واحسن ما سمعت فى محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوة
كفلي اضعف خصري * فاعينوني بقوة

اقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان افعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر ان هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فدهم فانقضى للجواب وبان الصواب ثم انه اضاف الطاحونة الى نفسه لكونها كانت ملازمة له وقاطنا فيها ويحتمل انها كانت ملكه او ان هذا من باب بنى الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذي لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الخرا ما ذكره من النظم الركيك والمعنى الدكيك حتى خيل له ان الرحا تخاطبه بالمقال وانها تفهمه عن شرح الحال فاخبرها وقال (لا ورحينا في الزريبه فاكتا شها لك) يشعر بهذا الكلام بان الرحا خاطبته وانها سالته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يا مسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له واما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ما هي فيه في هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التي قبل حرف الروي مفتوحة كان الخطاب له وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتي ان نصب اللام وخفضها لا يضر في الشعر ويفهم من قرائن المقام ان محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا في الزريبه فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا اي لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من اهله ثم انه لما علم من حالها انها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبته بالحجارة وانه يريد منها ما يريد الراهب من الحمارة اراد ان يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض اصحابه واخوانه من الانوار من نحول جسمهم من ضرب العرقلة وتعب السواقي والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتأسى به ويتسلى بحاله فاتى باداة الاستثناء فقال الا وكلاف يقول لها يا صيبي ما للك) وفي نسخة بدل ما للك والك بالواو (طوراين شيخ البلد حاله كاحوالك) اي ان هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار ايضا وهو الذي يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها مثل ما رأى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من اجل محبوبته وقد صار في حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار واذ بله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى في فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وايضا رآه في حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله

وشاهده ماهو فيه من النحول وشدة النحول قال له يا صبى مالك او والك على الرواية الثانية لغة عند اهل الريف والمعنى واحد اى ما حالك هذا الذى انت فيه وما سبب مقاساتك الخطب وانما خاطبه بلفظ يا صبى لكونه اعترته الصبوة اى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها اوانه كان من صبيان البلد اى من شجعانها وقد اذله الحب واخمله الغرام والمعنى انك لست مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك واصابه ما اصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو اعظم الاثوار واكبرها فان الحال بتاعه مثل حالك فقد انتحل جسمه واصفرت ذاته مما قاساه من التعب وما كابده من النصب وما اكله من الضرب على اضلاعه وما حصل له من شدة او جاعه وهذا من باب التسلية والتأسى بالغير كما سبق واراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح فى الغالب لا يضرب الامثال الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر الات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك واتى بهذا التشبيه للخسيس المبنى على غير تحسيس لينا سب عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانا لسلاوة يخرج تشبيهه عن ماهية ما هو فيه لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار وكذلك محبوبته فاتحد الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول الرجال وقائله اثقل من الجبال واما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طحوتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود من الخشب او من الحديد فاذا ادار الحجر وقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص على وزن القمص او من قرية فى البحر الغربى يقال لها مرقص ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص والطاحون على وزن المأبون والمجنون مشتقة من طحن القمح او من الطحين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن طحنا فهو طاحن وطحين ومطحون والخلخال مشتقة من الخلخلة او من الخلاء او من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة والرحى جمع رحى وهى حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الاعلى يدور وعلى الاسفل وفى وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثانى يقال له القطب قال ابن دريد رحمه الله تعالى فى مقصورته

* وان سمعت برحا منصوبة *

* للحرب فاعلم اننى قطب الرحا *

والارحا بضم الراء واحدتها رحى كما تقدم وهى مشتقة من الراحة او من الرحا بلد بارض الحجاز او من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحى يرحو رحا

قال الشاعر

* له راحة مشتقة من رجائهم * تروحني لما اروح الى ارضي

والزريبة مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويعملوا فيها وربما بالوا فيها ايضا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا والكلاف مشتق من الكلفة او من الكلف وهو النمش الذى يظهر فى وجه الامرد او الجارية بعد بلوغها ودليله ان هارون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها وانشدت الجارية لقوله

ماسلم الظبى على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف

البدر فيه خلس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف او بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدر العلف يقال علف يعلف علفا وقوله ياصبى مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد فى شعر العرب وتقدم فى غير هذا المحل اشتقاق الصبى من الصبوة او من الصابون او من قاطر الصابون وتقدم تعريف التور لغة واصطلاحا (مسئلة هبالية) لاى شئ اتى فى النظم بالتور فقط وكان من حقه ان يأتى بالعجلة ايضا او بالبقرة حتى يكون الناظم فى مقام التور والمحبوبة فى مقام العجلة او البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التى هى ابلغ فى النظم (قلنا للجواب) الفشروى انه يفهم من ذكر التورة ذكر العجلة او البقرة كما ان ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم فى غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس ابن فلطس الذى قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاى شئ خص الناظم الرجى فى الزريبة مع انها ليست معدة لذلك وانما هى معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم انهم يبولوا فيها بيقين فان البول فيها لا يدوم وربما كان نتحوانبها سائلة من البول فيعملوا فيها الرجى لاجل الطحين او يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن اثوابها دائما متضمخة بالجلة وغيرها فى غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال

ومن اشعارهم مواليا

* رايت جربيعى بفرقلة يسوق تيران *

* لوكر اصفر على راسه كما اللبسان

* يا ربيتنى كنت له عدوه من الجدوان *

* اوكان لى شلق فوق راسى من الكتان

هذا المواليا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من سحنود لابي صيم واما معناه للخارج عن الادراكات للجارح لقلوب ذوي المروءات الذي يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رايت حريفي بفرقله بسوق تيران) هذه الرؤية بصرية اي شاهدت ببصري لا بيدي ورجلي حريفي اي محبوبي وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفي اي صديقي اوصاحبي اومحبوبي ويقول له فلان تعال يا حريفي اولاقشني يا ابو وسعه اوهارشني يا ابو عريضه اوحارفيني يا مليحه اويا بوكاره اويا بوكره ونحو ذلك من هذه الالفاظ وسنأتي كيفية لقشهم على المرد والنساء في الارجوزة الاتية في اخر الجزء ان شاء الله تعالى وقوله بفرقله بسوق تيران * يريد به النكتة في وصف المحبوب حيث جعله سوقا بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التي هو فيها من لبس اوصنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له كما اتفق ان بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضربه فانشد يقول

* * رايته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبي ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس اي الضرب يعجبك * ضرب النواقيس ام ضرب النواقيس

فانظر لحدقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا لحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغنى الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقلة ايضا والفلاح عنده التيران في مقام الاولاد كما ان السواق عنده الفرقلة اعز من اخيه وولده ولهذا تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا العاشق البابخ والهم الراسخ ما وصف به للحبيب من امر تعاطيه الفرقلة واشتغاله بسوق التيران وانه عنده من اكابر الرعيان ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف ما على راسه فقال (لو كر اصفر على راسه كما اللبسان هذا على حذف مضاف تقديره ان هذا المحبوب له كر وهو الشد الذي يلفه على راسه يشبه في لونه نوار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بان له كرا اصفر على راسه يشبه نوار اللبسان وانه ممتيز عن غيره من السواقين والرعيان بهذا الكر فقل ان يلبسه احد من جنسه واذا فرض ان احدا يلبسه لا يكون كله اصفر كنوار اللبسان بل ربما تكون اطرافه فقط من عجرة او معصفرة كما يفعله اهل الرياف لاولادهم فان قيل لاي شيء شبه كر محبوبه بنوار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران او العصفر او نحو ذلك (قلنا الجواب واضح) وهو

انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات وانما يعرف
ما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف
الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بفرقلة فكان الانسب ان يشبه كرة
بما يعرفه والا لو فرض انه شبه الكرلبشي لطيف او وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية
الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال من
وجه هذا الاشكال * ثم لما علم ان محبوبه دائما يمشي بجدوة في رجله اذا احتاج
الى حرث الارض او حصاد الزرع او الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى ان
يكون حدوة في رجليه من الحدوان فقال (يا ريتني كنت له حدوة من الحدوان)
اي يا ليتني فابدل اللام راء على لغة اهل الريف اكون دائما حدوه في رجليه ولو كان
بها النجاسة حتى اتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة
عقله وصناعته بحيث جعل نفسه حدوة من الحدوان بل هو حدي من الجديان
واردل من هذا التمني في هذه الابيات قول بعضهم في المدرجات

يا ليتني كنت له سنداسا * او كنت في اقدامه مداسا

فتمنيه في الشطر اشنع من تمني هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحدوة لانه
محل الشيء المستقذر نعم الشطر الثاني من قبيل ما نحن فيه ثم ان هذا الفلاح لم يقبل
ولم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى ان يكون محبوبه
مرفوعا على راسه فقال (او كان لي فوق راسي شلق من الكتان) الشلق يطلق
على قطعة حبل من الليف او الكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا
وهذا من باب التذلل للمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من
الحدوان في رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب راسه
به اذا اشتد وجعها من الم الصداع او الضارب او الدواهي والمصائب وهذا من
عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله فان قيل اذا كان هذا العاشق قصده ان
يكون محبوبه في صورة شلق من الكتان يربط به راسه يكون على هذا التقدير محبوبه
دائما في تعب منه مع ان العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب
التواضع العشروي لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق راسه مرفوعا
لان الراس ما دا اس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شيء ولاد ون هذا العاشق احد من
العشاق في التواضع او انه من قبيل الاشتغال به بربطه على راسه على الاحتمال
الاول حصلت هنا المقابلة لراسه وللحدوة التي في رجل محبوبه فكان هذا من
باب التذلل وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمني ما لا طمع فيه
على حد قول بعضهم (الا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب)
(مسئلة تهبالية) لاي شيء تمنى هذا العاشق ان يكون حدوة ولم يتمن ان يكون

وطامع انه المناسب وربما كان الطف واظرف من الحدوة واغلى ثمنا والحدوة فيها
يبس ومجرفة اكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصا فى ايام الاعياد
ونحوها والمحبوب لا يليق به الا الشئ النفيس فما الجواب قلنا الجواب عن هذا
البحث الفشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحراث لا يليق به المشى
فى حالة الحرث الا بالحدوة وايضا هى اكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض
المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر
والقذارة اوفى واوفر فتكون بمقام انسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا
هى المعهودة والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح انه لا يسرح ويروح الا
والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا
العاشق ان يتمنى ان يكون له حدوة لانها عند المحبوب اعلا وقعة فهى احسن من الوطا
وايضا العاشق من شانه انه يحب ما يلازم محبوبه ويهواه ومن شانه التذلل
للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جارية
وكان مغرما بها ومشغوفا بحبها

ايا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال انت لابد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال هارون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيان
ما ذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطانى

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم
ان يقول (او كان شلق فى وسطى محزمبه) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان
او الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام او لربط شئ ونحوه واما وضعه على الراس
فنادر فما الحكمة فى ذلك قلنا الجواب عن ذلك ان الشلق وان كان معدا
لما ذكر الا ان الغرض للناظم خلاف ذلك وهو انه يريد رفع محبوبه على راسه حتى
يصير فى اعلا مكان واشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وايضا يمكن
الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلفوا على رؤسهم الحبال اذا كانوا
فى شغل دق الكتان او قلع الحلفة فيجعلونها مقام الكروبس يلفون بها رؤسهم
ويحفظون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم ولما اذا جعلنا الشلق
بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسى
من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب *
(شرح لغة الابيات) قوله جزيني مشتق من الجزفة او من الجزافة

اى هرون الرشيد كما فى تزيين الاسواق ع

او من حروف الهجاء او من حرف الماجور قال الشاعر

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح فى القاموس الازرق انه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة او من الفرقال على وزن المثقال او عبيد الزبال ورايت فى القاموس الازرق والناموس الابلق ان الاصل فى وضعها الطراشة التى تلعب بها الخلابيص فى السامر وحملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها فى الاصل فرقيعة واذا الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل واضافوا اللام وهاء الضمير الى تقفيته واقاموا الضمير المذكور مقام هاء التانيث وجعلوا مجموع ذلك علما على هذه الحالة المقولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك فى بعلبك ومعدى كرب ونحوهما من المركبات المزجية فان قيل اذا كان اصل الفرقلة الطراشة فلاى شئ ترك الناظم الاصل واتى بالفرع والاصل اشرف من الفرع الا فى بعض مسائل ذكرها العلماء قلنا انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوسه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسب الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب الفرقلة كما تقدم ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة وقوله يسوق على وزن فسوق مشتق من السواق او من الساقية او من السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة قال الشاعر

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وقس لعدده

والكر ما يلف على الرأس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة او من الكراويا او من الكروب او من كر الشئ اذا حله يقال حل مضية فلانة اذا حلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكر كرا وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض ياخذه اهل الريف وينزعوا ورقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويسقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسمون مجموع ذلك كبرا باللبن وسياتى ذكره فى كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه اصفر وزهر الكتان ازرق قال ابن سودون

زهر الكتان مع اللبسان نهما لونان ولا كذب
كيهود فى دير خلطوا نصارى حركهم طرب

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نوارة بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة

وبتشديد الميم وربما اشتبه ايضا بنبات يسمى فساء الكلاب ورقه ايضا يشبه ورق اللبنا وفساء الكلاب فيه بيقين منافع مذكورة في منافع النباتات او من بئر اللبسان وهي بئر مشهورة في ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل في علم الصنعة الالهية ويقال ان هذا البئر هي من باب الكنز الذى تأتي اليه الحبشة وتاخذه في اخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبيسانا والحدوان على وزن الجروان واحده الحدوة وهي جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقات واذهاب الحفا والعيا عن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحدو يقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهي طائر معروف من الفواسق الخمس التي جوز الشارع قتلهن (فان قيل ان الحداية من شانها الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها قلنا هناك ادنى مناسبة وهو ان الحدوة اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا وطيرته اذا اسرع صاحبها في المشى فكان هناك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه (فائدة) ذكر صاحب القول المعاب في وصف الغراب واقعة عجيبة وهي ان بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيئا فعبس في وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فمرغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحداة القت عليه شيأ فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوي جملة من المال فاخذه واتجر فيه وصار في يسر الى ان مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه ورايت في القاموس الازرق والناموس الابلق ان الحدوة مشتقة من الحدادى ع واستشهد على ذلك بشاهد فشروى فقال

والحدوة اشتقاقها صححوا * من الحدادى فاستمع ما رجحوا

والحدادى على وزن الجبادى جمع حداية والشلوق مشتق من الشلوق او من الشلقة او من الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال شلق يشلق شلقا والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل لاى شئ تمنى ان يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص او حلفة او نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى من شلق الخوص والحلفة او لعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فيها لا يعرفان غيره فاتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب ان ياتي بشلق الحلفة لكون الصعيدى يالفها ولهذا يقال صعيدى مصاص حلفة او كان خواص لناسب ان ياتي بشلق الخوص فاتضح الجواب

وزال الاشكال وتم المقال وقد انهينا ما اوردناه من شرح بعض كلامهم ودفع شبهم وفتنا رهم وحل الغاتهم بلا مرا وكشف معناها الذى يشبه الخزا الذى لا يعرف الا بالذوق ولا بدان ناتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (فمن ذلك) ما اتفق ان هارون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المامون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا عارفا فى النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى اشعر من اخيه واقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى فى غد اقول له ينظم الشعر ويعرضه على ابى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى لنسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين واخبرته بالقصة التى وقعت بينها وبين ابيه والزمته بنظم الشعر وان يعمل ابياتا ويعرضها على ابى نواس فاجابها لذلك واعتزل فى محل خال من الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته البارده حتى عمل ابياتا ياتى ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه اتى الى امه واخبرها ففرحت وارسلت الى ابى نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا فى النظم فقال له ابو نواس اسمعنى ما قلت فانشد يقول

نحن بنوا العباس * نجلس على الكراسى

فقال له ابو نواس نعم وانتم لذلك اهل ومحل وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد تقول

نقاتل الاعادى * بالسيف والمزراق

فقال له ابو نواس تلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وامر بسجنه فسجنا ياما فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فاحضره واحضر الامين وساله عن السبب فاخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انه راى فى شعرك خللا ما عابه فقال انظم غيره واقوله قدامك حتى تنظر نظمى وتباهى فيه النظم فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق احدا عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل ابياتا واتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك ابو نواس فقال لهم اسمعوا شعرى فقال ابو نواس تكلم بما قلت فانشد يقول

يا قاعدا فى الابرج * ما مثلك فى الابلد
شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل

والسمن فوقك سابح * مثل الحصان الابلق

فلما سمع ابو نواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى اين فقال الى السجن يا سيدى ولا اسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدتر زبيله بلا دبر وسكت (واسمع من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشى وكان اميرا بثغر سكندريه وقد عارض بهذا النظم الثلج والكلام الوضيح همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه ايضا وها انا اسرد لك هذا النظم الخمسيس مصحوبا بالتخميس وهو

يا رسول الله قل من الناس المعروف
اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعد ما كنت مثل الخروف آ لمعلوف
يا رسول الله اغثنا اغاثة الملهوف لقد اضرت به اشعار من الكماء

يا رسول الله ما عاد فى حد خير
يا رسول الله ما بقوا يوقروا صغير مع كبير
يا رسول الله كن لى منهم نصير
يا رسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير وهم يسوقونا بالعصاء

يا رسول الله احنا من رعيتك
يا رسول الله احنا من جملة امتك
يا رسول الله احنا فى حيرتك
يا رسول الله بحق صحابتك اجرنا من النار لها شعراء

وانا امدح نبى ربه اسختاره وعزه
يا ما غزا الكفار بعسكره وغزه
ومن صلى عليه ربه لم يخزه
وقد عرج به ربنا وعزه وقد رأى من آيات ربه الكبراء

ضاهيت بها همزية الابوصيرى
والفرق بينهما يلوح للنحرير
وانظر الى الصقر هو مثل البورى
والا جبل مصر مثل الطور والا الصقر الصايد مثل البوماء

انا انتخب الفاظها من القاموسا
ومن عارض نظمى فى نكيته يلقى موسا
ومن له فى الادب رتبة او ناموسا
لابد ان يميز بين الجاموسا والناموسا والاولاد الحلال ما هى مثل اولاد الزناء

نظمى

نظمي هذا ما هو مثل نظم الناس
نظمي هذا مثل درة في الكاس
ومن يستمع نظمي يقول دهاس
قد فقت في النظم ابو النواس   انا مرجان والحبش لي اباء
انا مرجان والي اسكندرية
وادري بجور النظم بالكلية
ومن عارض نظمي يلقى بلية
انا اصبحت مثل الشمس المضية   ونظمي مثل نظم ابو العلاء
نظمي مثل درة في حق
لهفي على فتى عارف مزحق
هو ابن الخاض مثل بنت الحق
ولا النمل السباعي مثل البق   وانا اصبحت مثل القط اصطاد الغلاء
انا اصبحت مالي في نظمي نظير
ولا منا هي قولي لا كبير ولا صغير
وانا اعطاني ربي الخير
انا مرجان الحبشي الامير   استخرج الدر من البحر
واختم قولي بمدح طه الزين
يا سعادة من زاره في حنين
وقبل حجرته وشاف بالعين
وقال له يا جد الحسن والحسين   اشفع لمرجان ينجو من النار

فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله تعالى به وظن هذا الغبي البليد ان نظمه في غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع انه اجهل من الحمار واجمد من الاحجار ورايت له ايضا نظما اثقل من الحجارة وانجس من ماء الخرارة قد حكى في ترتيبه القليل في الرمل وفي ركيته ذق العرص عارض به لقلة عقله وسود جهله خمرية القطب الرباني والهيكل الصمداني سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته في الدارين (سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها) (كميت من الكرم ختامها مسك) ودارت علينا سقاة في يدها كوثر * كل ساق منهم يحكي لبحر الفلك وياما شفنا من خمرتنا ورانا من سكرتنا * امور محتكات ومرتبكات ربك وشا هدنا العجائب وراينا الغرائب * وادركت حيالنا من اطوارنا ذلك مدامتنا هذه تعلو على مدامة الفارض * وابن الثريا من الثرا لحد بعيد من الدلك

مدامتنا ما مثلها فى الكون مثل * ولا عند الرهبان والقسوس وابناء الترك
مدامتنا هذه من ذاقها فى كاسها * قال من طعمها هذه مثل المسك
ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر * لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكوا
ومن اوصافها كان ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يعد قط يشكو
ومن اوصافها ان مريض كوم على ديرها * وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك
ومن اوصافها ان صب فى قارورة صبا * لتشاكل الام وراح الطرف من جنبها يحكو
ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم * لترجم بكل لسان مثل سنا الملك
وقد شرب منها مرجان شربة * فاضحى بها هائم فى الكون بلا شك
فدونك مدامتنا لا تحول عن شربها * ففى شربها يا خالى البال الجد والدك
وفى شربها فى حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
واختم خمريتى هذه بصلاتى وسلامى * على نبى عربى جاه الجمل يشكو
وعلى آله واصحابه كلما خطوا الحجاج * عند سيرهم الحمول وفكو

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرضها لكون ناظمها قليل طولها فى فرضها وقد اتفق ان بعض القضاة من الاروام قال لنائبه نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب اسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره * وتقطع مثل المنشاره

ما تقول ايها النائب فى هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد ان ضحك عليه واشار بكلام اليه وانا الاخر نظمت محاضرة عروض كلامك وتشبيه قولك و نظامك فقال القاضى تكلم ايها النائب وصاحب الراى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره * ويحب طبخ البيساره

قال فهام القاضى طربا من كلامه ومن شدة ما اعجبه من نظامه واعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى ان عزل وادوا سفره قد حضرت وودعه النائب بقوله فلا رجعت وكتب بعض البلاد ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلى مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما لان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا ياكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير انه كان تغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فارسل اليه يقول

بعد ازكى السلام منى نهاضة * لحبيب يحب دون بغاضه

اسمه السليلي والشيخ محمد * زادك الله في الانام رياضه
انت في ذا الزمان فصيح غزير * وسواك الانام مثل المقاضه
انت ارسلت في الكتاب بتسماك * من غريب فانها من بياضه
وهنيد زادت من الكحل عجبا * بسواد العيون لا بالعلاضه
من بحب الملاح سيلي الدوام * وغيدنا ما تملكتني قراضه
وانا اسمي رازق الشيخ محمد * الضم القول المرزه بالقضاضه

فلما قرأ الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها لفقيه يقرأها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه وتقرب من هذا النظم المرثية التي قالها بعض الشعراء البلداء في رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فاحببت ان اثبتها لما فيها من الابيات المجرفه والمعاني المقلفه وهي هذه

الحمد لله لطيف اللطفا * في ابتدائي نمدح صنفا
وعلى ازكى البرايا كلها * صلوات الله جادت بالوفا
وعلى الال جميعا كلهم * وعلى اصحابه والخلفا
بعد هذا ابتدي مرثية * في امير موته قد حتفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرائيل عكفا
بعد ما مات بلغني موته * عند ها دمعي بعيني زلفا
ودموعي من عيوني قد جرت * مثل ما تجري سواقي مرصفا
قلت لما موته قد جاءني * صائحا يا اسفا يا اسفا
مات من في الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم ماتا لارض كادت ان تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * ونبات الارض حقا قد طفا
لم لم يوسط المدينة سمعة * كالصناجق بل واعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حتى تنظره العدا تتحففا
قد تولى وانقضت ايامه * يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * اخذوها اهل الطمع بالجزفا
لما ذا الامير اتاني نعيه * خفق القلب لم يزل يتحففا
والاعادي فرحوا في موته * لاجل مال ينهبوه جزفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز اخرجوها قفقفا
ورثوها بعده اعداؤه * فرقوها اليوم يفرد العلفا
من جواهر لا تضاهي كثرة * لامعات نورها قد رصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلامس باتت رعفا

قدرت في بيت مال قدرها * الف الفي الف الفي مقطفا
وعلى الكاشف منها اخذا * بعدما اسرف فيها مجحفا
اودعوها بيت مال بعدها * اخذ الكاشف منها واكتفى
كم اتى في بيته من مرأة * مع بنات لابنات الغذفا
ثم قد نحن عليه حزنا * وعليه الناس صلت صففا
كم امير جاء في تربته * ووقع فوق التراب اسقفا
كم فقيه جاء في موتته * وتلا ياسين ثم الزخرفا
ما ترى قدمات بالبطن اذى * اروبا او بالرعاف ارتعفا
ليتني شاهدته في كفن * ذي بياض حين فيه لففا
ليته لو عاش قرنا كاملا * لكن الموت عليه زحفا
يا ترى من عاد يخلف بعده * في مكارم قل فيها من وفى
نفسي باتي حسين بعده * ينفع الميت ويبقى منصفا
ليت شعري لو تخلف بعده * وبمكرم مثله كي يخلفا
حيث اخلى داره من حسنه * زائدا الموت عليه عطفا
هكذا الدنيا دواما طبعها * تقهر الناس وتاتي بالجفا
كلما فيها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل الجرفا
ليس يعجبني الامارة كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطايا زائدات بالوفا
كيف لا ابكي على من جادلي * بعطايا ما عطاها خسرفا
رب فارحمه وخلي بعده * امره البست واسر يوسفا
قد توفي في جماد الاول * سادس الشهر خميسا شرفا
عام ارخ من ثلاثين مضت * بعد الف من سنين تعرفا
بعد هجرة من اتانا رحمة * بالهدى ازكى البرايا اشرفا
يا الهي اغفر لناظمها اسمه * عابد الرحمن واسر يوسفا
جاء يسمى محمد معتوري * فارض عنه يا لطيف اللطفا
وارحم الوالد واجدادا له * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي دائما * للنبي والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض الظرفاء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له اطال الله بقاء الملك انا فلان بن فلان بن فلان عاش ابي من العمر ستين سنة وعاشت امي اربعين سنة وانا في سن الخمسين سنة وقد عملت لك ابياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التي ملكتها ثم اخرج له رقعة

مكتوبا فيها (قد فتح السلطان بلدة * واتى بسعد البلدة * فلما فتحها ارختها *
ما كما في شهر ذا القعدة) فقال له الملك لم ار ابرد من كلامك الا شعرك ومن نثرك
الا كسبك قال فخجل الرجل ومضى الى سبيله (اقول) قد سبق لك ان هذا كله من
عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم
لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر ان يعرض قصيدته حتى
يهذب الفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب
وقد قال بعضهم في ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذي بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فاراد ان يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه
طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد
وارض بعيدة واماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص بصره الى السما
فيقول الحاضرون شي لله ويقول لهم انظروا يا محجوبين الاوليا وهم طائرين
فوق العجائب وقد اقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه
ويلتمسون منه الدعاء فلما راه الغلام على هذه الحالة اعتقد انه ولي
وقال في نفسه انا لي مدة اخدم شيخي ما رايت شيا في نبي ولا ولي ولا اخبرني
بشي من هذا الا يقول لي صلي وصوم وما اشبه ذلك والاولى ان اخدم هذا
الولي الفقير لعله ان يطلعني على الاولياء والعجائب الطيارين دائما في
الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه واقبل على هذا الشقي وقال له
يا شيخ جئتك طائعا ولامرك سامعا واعلم انني تعبت مع شيخي وهو يقول لي صوم
وصلي واعبد ربك الذي لا اله الا هو ولم ار منه بركة ومرادي ان انظر
الاولياء الراكبين العجائب الخضر فقال له هذا الشقي اعلم يا ولدي ان الطريق
ليست بصوم ولا بعبادة فانت تريح نفسك من هذا التعب وانا اصب لك
عمود النور في بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على العجائب
الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوي والسفلي فقال له الغلام فمتى تصب لي
عمود النور هذا فقال له يا سيدي شي لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له
شي ابيض يجري في قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ
قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيا من هذه الامور الذميمة فقال
له ذلك الشقي الممقوت قم بنا الى الخلوة فاخذه ومضى الى ان صار في خلوة
التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدي
على بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه

وصار هذا الشقي يترجم ويبرجم ويهمهم ويرغي ويزبد ويظهر الزور والبهتان
والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام
وقد اشتعلت في قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار فخطر على باله تلك
القبة المشيدة الاركان المزخرفة الالوان ودكه فيه فلم تمنعه الا الخصيتان
فعند ها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه
عقله الخسيس فعند ها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنا ان لا نجاة عندكم * ولا للاوليا الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وامسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى
ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح
قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله من عامل عمل قوم لوط (ويحكى) عن الامير
مقلد رحمه الله تعالى انه كان سائرا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلا
مقتولا بجنب حائط والدم يجري على اوراكه فوقف ساعة ينتظر احدا فلم ير
احدا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلا فقيرا قائما يصلي وقداما ابريق
وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى اتم صلاته
وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد
يا شقي تلبس على الله وعلى الناس ما هذه الخونبشة وتقتل النفس التي حرم الله قتلها
فلاي شي قتلت هذا الرجل الذي مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع
الى الله تعالى ويدعو على الذي قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا
معه السكين الذي ذبح به الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى
ذلك الامير مقلد قال له ما انت فقير بل انت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم
اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخواني الى هؤلاء الفقراء المتزندقين واعمالهم الخبيثة
التي لا تحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسال الله تعالى السلامة في الدين
والعبادة على اليقين وان يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق
وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات في موت
الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول
اللهم احشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم امين يارب العالمين (وسمعت)
بعض الملحدين من الدراويش المخلفين كلامهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة
وهو ان البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وان الشخص جنته وناره
وحسابه في نفسه وان الدنيا لا تفنى ولا تزول وانما هي شمس تطلع وقمر يزيد
ويغيب وينشد قول ابي العلاء المعري

الى حين تنسخ شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس

وقالوا لا نبي بعد هذا * فضل القوم بين غد وأمس

ومهما عشت في دنياك هذي * فما تخليك من قمر وشمس

فان قلت المحال رفعت صوتي * وان قلت الصحيح دخلت رمسي

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت في جسد من الاجساد في آدمي او في حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التي كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يا اخواني الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى ويحكي ان رجلا صالحا اضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى ان تكلموا في القرآن فقالوا لهذا الصالح اتزعم ان القرآن كلام الله تعالى قال نعم ومن شك في هذا كفر فقالوا والله ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم واخرجهم من منزله على اقبح حال نسأل الله تعالى السلامة في الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت اعتقده فجلست معه يوما فتكلم في فضل العبادة فقال لي يا سيدي انا لي عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدي احمد البدوي نفعنا الله به وقال يا كن لي يا ابا الفرجات وتقبل عبادتي ويسر لي رزقي فقلت له ما هذا الكلام لا تقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدي احمد البدوي رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد اشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له في ملكه فقال لي يا سيدي انما افعل ذلك عن شيخي الذي كان يقول لي قبل موته اقصد بعبادتك سيدي احمد البدوي فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها في هذه المدة فاسدة باطلة ثم ان ادركته العناية فتاب على يدي وانقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى واخلص في عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قدامي في الجمع ويغني ويقول

يا ما تأخذ من خراطيز كلبتي * والمخنكات والحاضرين ورا الزر

وعشق بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتسبب الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقي منه وعرض عليه حاله وتشبثه بهذا الغلام فقال له ذلك الشقي خذ مصران غنم واملاه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف في وسط الجمع ودردش باللسان واخبر عن الشام وعن الزيتون وادخل يدك بلطافة وانت بجانب الغلام وحل المصران وخذ في يدك شيئا من الزيت

وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فاخرجها بلطافة وارها للغلام وللناس فيعتقد وناتك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضى منه المراد قال ففعل ما امره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان واظهر من الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده واظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا اشى لله وهللوا به فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له يا سيدى اكون معك واطلعنى على الكرامات والولايات فقال له يا ولدى الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له يا سيدى ومتى تفعل ذلك فقال له يا غلام هذا الامر لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة احد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فاخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما منعه الا الخصيتان فصاح الغلام الامان ما هذه الولاية زرقاء ثم قام من عليه بعد ان قضى مراده وتحقق الغلام ان هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معا حتى لقيا جمع فقراء فى مولد فقام هذا الشقى بجانبه فى الجمع وترجم وهمهم وقال

صلونا على قبة مليحة مرججة * وصبينا فيها من النور سحائب

فاجابه الغلام بقوله

ما عدت تنظرها من اليوم يا قبيح * وما عاد لك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا ان الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقى عليها وان الغلام فات مرتبته وتخبر عنها وفاق على شيخه فى الولاية والحال انه مارقى الا على هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب فى تلك القبة الدمعة الحارة الحارة الدافقة وقبل الخديد ودفع فيها العمود فهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله انى يؤفكون وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجر والده وانه * تدرويش قام انا نكون وراءه

اى يحتوى عليه جماعة من الفقراء او من طائفة الملحدين المحلقين اللحا وغيرهم من خواسر الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدته ويشغلوه عن الدنيا والدين ودا ربعهم فى النجاسة والخزى و الخباسة حتى تطلع لحيته فيتركوه خرا بلا ذوق لامن النيك يشبع ولا من المال يحجم ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد ولو التحى وشاب ويتمثلون ويظنون انه الصواب بقول من قال

اهواه طفلا فى القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطي يدعي عاشق المرد في الورى * ويدعي بان من يحب الغوانيا
فلت لاصحاب اللحاء تحففا * فلا انا لوطيا ولا انا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا في المحبة وسلوكنا في العشق فان الامرد اذا جاوز ثمانى عشر سنة مجته النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القتل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغيرت حاله وغمز النمم ونغي الخال الذي في خده وصار وجهه مثل قفاه وتلي عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل في المعنى

التحي الامرد الذي كان في السنة مسرفا حسنا كان وجهه وسر بها تصحفا
سر والله ناظري منذ رأى ذلك اشتفى شكر الله لحية صيرت وجهه قفا

وقال آخر

سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه ورابت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ولو الدي عفا الله عنه في المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع في الخد ذقن * اثرت طمة ميلى البنات
كانتشار الظلام في الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال آخر

ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه * ما يفعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من ابناء العشر وذوي اللطافة في الطي والنشر فاذا بلغ خمسة عشر سنة صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولو اخطر لعذاله ما سنه وهذا هو الغرض والمرام عند اهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان جبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بادية وضلالتهم بادية واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة ومن فعل هؤلاء الطوائف الذي ابتدعوه والامر القبيح الذي اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال انه اذا مات بينهم انسان وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة اباليسة كانهم من جنس القساقسة او من دير الرهبان او من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة انفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقيمون به في بعض المحال يقرون فواتح وتصنيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم في غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما ساروا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم في خباط وعياط وشياط وصياح واضطراب وجبان ويقولون شي لله يا شيخ فلان

وربما غلط النسوان ورمين به الطرح بقدر الامكان * واخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الاعيان انهم مكثوا دائرين ببيت من اول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التي ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هي اثم عليه واذية للاموات فعلى العاقل ان يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وان لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع المحدثين بل يكون على حذر منهم ويعتزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من اعجبك حاله ودلك على الله مقاله ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ما ذكرناه في هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر *	الحمد لله دائما وشكري
ثم الصلاة والسلام ابدا *	على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه *	ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد انى ناظم ارجوزة *	لطيفة مفيدة وجيزة
تخبر عن حال ذوي الرذاله *	كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما اقول *	في نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف اهل الريف *	اهل الشقاء وذوي التحريف
وغيرهم من فقهاء الجهل *	كذا قضاتهم عديمي العقل
والعلماء منهم والخطبا *	وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصواب *	لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه تعرفه *	ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل *	اذ ليس للامر الشديد يحصل
وليس يرتجى لقضاء حاجة *	بل دابه الالحاح في الحاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا *	تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها *	او تتخذه سيدا او جاها
تصير في خدمته والنفع *	في الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما اردت منه تخلص *	ترميك في هم له تنغص
فاسمع لقولي ان ترد فلاحا *	لحاجة فما ترى نجاحا

ولاتؤمنه على معامله … فليس يعطيك سوى المماطله
وان ترد معه سريعا يختصم … يقول لك حتى اسد الملتزم
وان بقي شيء من الزرع قالك … خذه والا لانطول املاك
وان اطلت معه المخاصمة … اتاك بالشر مع الملاكمة
ويسحب البنوت والحزاما … ويلزمك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم … هذا يريد ان يزيل نعمي
ويأخذ الزرع بتلك الحيلة … والمال يبقى يا امير بلدتي
واخرب سريعا وتبور الارض … من حي فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين … عنه ويمسي حائرا في شين
فليس فيهم ابدا نجاح … وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعة … وحالهم حال الوحوش الرائعه
ونطهم في الوحل ثم الحيله … وضربهم للثور ثم العجله
تسبيحهم وردح بنا المساقيه … واحسب مال البلد في الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه … شعرته من طولها ملفوفه
وان لحمل البئر يوما قصدا … ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه مايستر … بل ابوه ممطط مطرطر
وفلسه للحر والبرد برز … وطينه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف … مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم في الطر … في حالة البرد ووقت الحر
ونطهم في الحر بالغيطان … كمثل نط الوحش في الوديان
ونمهم للزرع وقت الغيط … مثل عفاريت اتت في الغيط
وان يريدوا المزح والملاعبه … مثل كباش قد اتت محاربه
تلق لهم حينئذ زعيقا … تحسبه يا صاحبي نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد … في عفرة وعنترة وطرد
وان تجمعوا اللعب الكوده … تراهم في غارة وعفوره
من كثرة الصياح والزعيق … والجري في الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره … او جلسوا للرقص والزماره
او سرحوا بقصد جمع الجله … او التقاط سهل او رجله
مثل عفاريت اتت في زوبعه … او فرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فانج … كانهم بها يريسوا زح
وان هم في حاجة تعللوا … فعلل الصبيان تلك العلل

وان انت مواسم كالعيد ... تراهم في النط كالقرود
وبردهم ترقص والنساء ... فعبيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر ... وان نشأ فمثل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع نقلت ... مثل قرود في الفيافي اقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه ... ان قال شخص بالضلاله
شخص منهم لسعد ... للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام اخر يميل ... يصيح في اغرائهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه ... ثم اقتلوه واخمدوا انفاسه
فذا يصيح بالسعد اسعدوا ... واخر بالحرام اخمدوا
فذلك اللفظ دون لبس ... عندهم امر بقتل النفس
فيخربون الارض بالغارات ... ويرصدون القتل في الطرقات
وان اتتهم للقتال عسكر ... فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد ... عادوا الى الشر والفساد
فما جزاهم غير قطع الرأس ... وشنقهم وضربهم والحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه ... وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم في الحر من غير وطا ... ونومهم في القيظ من غير غطا
وطرهم في ظلم الليالي ... في الحزن يا صاح او التلال
قد يبست جلودهم في الحر ... كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم في الطين ثم الوحل ... وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم في البئر والسواقي ... ومشيهم ايضا بلا طواقي
ومنهم من لا يزيل شعرا ... والرأس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا او لحيه ... ولا ينظف فلسه من خريه
وشدة فيهم على الخناق ... منها بطول الشر باتفاق
وضربهم للاب ثم الام ... وصبرهم للجسر ثم اللطم
واكلهم في العدس والبسله ... كمثل اكل كلبة او عجله
ومن تراه منهم يصلي ... تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يزل طاهرا من نجس ... ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جئت يوما على الفسقيه ... تجد له طينا كما النهر منه
كذاك من تجيه واخر ... وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل ... فهو حقير عندهم في ذل
ولن يطيعوا الشرع الا عصيا ... او يوجعوا لاجل ذاك ضربا

وهم عبيد قابض الاموال | فعندهم كالعم او كالخال *
ويجلسون عندهم في ادب | او يقف الواحد منهم كالصبي
وليس فيهم رحمة لعالم | لكن لاهل الشر والخطا لم
فالشر والعدوان فيهم شائع | والخير والاحسان منهم ضائع
اخلاقهم تروى عن ابن حجر | طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مروية | عن ابن شلتوت له معزية
ذقونهم تروى عن ابن وحل | والضرط الفساء وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا | لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه | اذا اتى كانه نعامه
والعلم عند الله ليس يعرف | سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان يجئنا يوما على الجفان | كانه الناطور في الغيطان
يفترس الاكل من يسار | ويبلعه عن مضغ ذاك عازي
يقول اروى لكم رواية | تنبي عن الضمير بالدراية
وفي غد اروى لكم قصيدة | لعنتر في عبلة الفريده
كذلكم دلهمة البطال | وسيرة الزاهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيخه | وام جابر بنت ابو فريحه م
واروى لكم ما قد اتاني عن ابي | وابي قد قال ايضا عن ابي
وقال جدي ذاك ابو غداف | صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره | كما روى عن جدتي شراره
قاضيهم اذا اتى لشغل | مثل رئيس قد اتى بالطبل
ينزل عن البغلة او الحماره | كانه الراهب ابو زراره
وعندما يجلس في انتفاخ | تفرش له قطعة من الاجاخ
وبعد ذا ياتي اليه المشتكي | ثم يقف على عصاه مستكي
وبعضهم على العصا يلتف | رجلا له وهو ثقيل خف
يساله يا قاضي الهموم | هات لعندك ابن ابي عموم
وحياة دقنك حلتي سرقها | واربع قفقف من زبلنا حرقها
وقد اخذ وحياة راسك خدي | وعمتي السرمطه ولبدتي
احكم بحكم الله يا قاضي البلد | والا ضربناه الف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد | حيث سرق ومنه تقطع يد
دح يا فقيه يا عرص يا ابن الزبله | ادفع له قيمة هذي العمله
(١) وصالح الخصم وهات لي وزنه | والا على [illegible] شرشحنه

ان عقد النكاح ليس يدري … منه سوى زوجته بنت عمرو
وليس يدري شاهد ولا ولي … ولا يعرف صحة من علل
اذا قضى قضية وبتها … يجري سريعا عندها باليتها
فقيرهم شعاره الابريق … والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدي وذا مريد جدي … وذا الولد با ابني وعبدي
يسير طول الليل خلف ظهري … غير مصلي مغربا وظهر
الا باذني او بدا تشويشه … ومن راه قال ذا درويشه
وعند ما ياتي به الوالدا … من خلفه تلقاه حقا لابدا
ويدخل الجمع به يدروش … وباللسان بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا … ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا اخبر الشيخ الولي … عن اولياء جات من ارض الموصل
هذا يجي بين السما والارض … على النجائب ما عليه من فرض
ولا بقى عاوز الى عباده … هذا بقى في نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره … هذا ولي فسية الحماره
وان تسله حال الطريق … يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسطي ثم طرق يدي … وميلان لبدني وشدي
ان قدم الماجور احط كفي … واطلع بلقمة مثل دور الخف
وبالدرا وليس بجنب الشط … امشي وابريقي تحت ابطي
وانزل على من لي عليه سياده … واقول له البيته وهات العاده
وهات لي الفرخه مع العليقه … وليس يعرف غير ذي الطريقه
ومذهبي يا سعدنا بحرام … ولا اقل بان ذا حرام
اخذت عن شيخي بهذا الفعل … فهو حقيق مشيه بالعجل
ومنهم طوائف خوامس … وكلهم بجمعهم اباليس
لا يعرفون الصوم والصلاة … ولا يرون الحج والزكاة
تراهم جميعهم انعاما … لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات … وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر … وقتله فحمل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل … وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل او لذي كمال … بل كلهم في رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا … فشعره يشبه طعم العذرا
او فتح قول جا بلا درايه … او رص قلقيل بلا درايه

٦٤

ان لم تكن ذقت الخرا في العمر   فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا ابدا ردزيته   لكن له ما بينهم مزيته
لكونهم احلاف مع اوباش   مثل عبيد الجون والكباش
اسماؤهم تخبرك عن اوصافهم   القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم حنيجل وجليجل وقطا   والحاج عنطوز بن ابي قرية وطا
وعفر مع دعموص مع زعيط   كذا اخو الحس وابو معيط
ثم قليطه وسلاطه قد ورد   كذا الماطه وزعاطه في العدد
شقليط مع مقاليط مع خبيط   صغار مع بهوار مع صرميط
برابوز مع عموز مع قروش   سمعوت مع برغوث مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا   كذا احنين بن بنين عنهم شهروا
كذا سمعنا انهم يكنوا   ابو شوالي ومنا دذ يعنوا
كذا ابو عفر ابو دعموم   وابو الدواهي مع ابو المشوم
ابو شادوف ابو حيازن ابو نطاح   مشكاح ابو رماح ابو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا   والحاء ايضا عندهم قد يكسر
محمدين قد سمعت منهم   كذا بهام وعقيوب فيهم
والقلط والضراط قد روينا   ويبدلون الصاد ايضا سينا
فهذه اسماء مثل الوحل   اوانها شبه ضراط النمل
وان ترى الاسما لا تعلل   فانها والله بئس العلل
وان ينادي الشخص منهم اخرا   يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادي للمرا يا داهيه   تجيبه لبا يشيخ عجليه
وعندهم من افصح اللغات   كقولهم في الارث ذا ميراتي
وضيع البوشه وهات   ماضال آتي ما زال هذا الوادي
يعنون بالجواد مركوبا حضر   كذاك هاتوا لي الكرام من السحر
جعبوبتي دلحت من المرجو   سيري اسكني جوا حد الطاحونه
قومي افحتي لي في الزريبه نقره   لاجل اقوم بالليل وفيها اخره
غدا ترى الجدعان نطوا في المراح   يوم المرهبه في الزريبه بانشراح
جمعا راسها محمص مسمط بصله   اليوم الوعزبيا وعنده مجبله
والحج عنطوز قد حضر في كرشه   اليوم وراح هربيط ونبا الكرشه
وشقها في الدست يطبخها بفرحه   بفرتها خدها ابن راس المسمحه
البو بلدنا شيخها ابو عوكل   وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل
والحج قلوط الكبير في هودج   والحج جماص بن خرق النودج

وانما اسماؤهم مناسبه ذواتهم وافعالهم معًا ربه
نساؤهم ايضا لهن اسما فخذ هديه بعدها ونجما
زعره وبعره ميكله خطيطه بلوه وعلوه شايعه حويطه
شيخه زراده مع شبراره سموا كذا امعيكه ودكيله ضمنوا
سقسا قد ايضا كذا اشليانه وخربوه وفسيوه وعطايه
كذا اغسيله ثم غاسوله وددا حمله ولبدم وعطيه في العدد
وطالبه وهاربه خطيبه كذا فريحه بنت ابو غريبه
وقد سمعت رجلا ينادي حجه خدبوه اغسلي الزبادي
واحلبي البقرم وهاتي النخله روحي حد الجدعان وشوفي النخله
قومي وحطي العدس في الفصوله انتي ويا بنت ابو بعشو له
يا داهيه يا داهيه تعالى جنكي من الحيط بنت ابو شوالي
قومي تعا اتعشي بنا في الموضع ابنك بيجري هي تقل كل واشبع
هاتي لنا قطعة وسخ من ابنكي الطخ بها الحله وشوفي بنتكي
يا داهيه روحي وهاتي البقره انتي وبنت الحسر قفا كي خضره
يا داهيه روحي وشوفي النقره في وسطها جله طريه خضره
وحولها شوفي الحمار والعجله ولى بعرها اعمليه جله
فهذه اسما النساء فخرا شبهه بالوحل عند الحمرا
ولقبهم يا ابن الوطا يا حلوم يا خرا الحسن وابن بنت القسوه
يا حلق ما تجي عندي يا بو كاره يللي بتجري كل يوم في الحاره
١٠٦٢ وانت بتقعد للمسا في التسونه وكم ينيكوك في الدده بالعونه

تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثاني من تجزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمه البارده والفكره الكاسده تحركت اياما قلايل لتاليف كتاب صار في الاوراق حاصل في احوال اهل الريف باتفاق وما لهم من نظم ونثر وحب واشتياق وصار جزءا لا يرى في الكثافة له شبيه ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه وكان كالمقدم للقصيده وقد حوى معاني تشبيه تحوقا الجريده وختم بالارجوزه الحاويه لما فيه من النثر والاشعار وغايته انه اغتراف من بنات الافكار اردت اتصال بهذا الجزء الثاني وحل معاني القصيد التي عليه

مدارتلك المباني فحركت فكرتي الخامله واطلقت عنان اليراع لبيان تلك
الامور الحاصله لحل معاني القصيد متسكبا عليه انسكاب الوابل على
الصعيد بالفاظ يفوح معناها كريح المسك في تنسيه في الوضع
خابط عشوى فساعدتني الفكره لما الذي قصدت وتحركت معي لما اليه
اردت وهذا اوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فاقول
ذكر نسب الناظم وما حواه وذكر الموضع الذي ضمه وآواه وسبب سعادته
وحصولها وصفة لحيته هل كانت طويلة او قل طولها وكيف مال عليه
الدهر في اخر الزمان حتى انشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان فنقول
اما نسبه فعلى اقوال فمنهم من صرح انه ابو شادوف بن ابو جاروف بن شقادف بن
لقالق بن بحلق بن عفلق بن عفر بن دعموم بن فلحس بن خرا الجس فاذا ذقت الكلام
بمعقول عرفت انها نسبه على هذا القول (وقيل) ابو شادوف بن ابو جاروف
ابن بردع بن ذويع بن بحلق بن عفلق بن بهدل بن عوكل بن عمره بن كل خرا فانتهى
نسبه على القول الاول لابن خرا الجس وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الاصح لان
اكل الخرا ابلغ من جسه (واما قريته) ففيها خلاف قيل انه من تل فندروك وقيل
من كفر شمرطاطي وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض اشعاره يخبر عن نسبه
فقال

ايا ناس في قولي دلايل ونظمي حق ما هو شي هبايل
ابو شادوف انا قال لي ابويه عليه وجدتي ديك ام نايل
باني قد تربيت بجماعه بكفر يعرفوه ناس اوايل
يسمي كفر شمرلي وطاطي فكن صاحب فهامه يا فشاقل
وذا قولي وابو شادوف اسمي وشعري حق من جاني يسايل

وسمعت شعر البعض اهل الريف يدل على انه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد كلاما ما كنا شبه الحديد
ابو شادوف عنه خبرونا بقول حق جانا بالوكيد
بتل فندروك وفيه تربى وعاش يا قوم وانشا القصيد
وذا قولي وعندي اف اسمي وكم من نظم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد في كفر شمرطاطي وتربى في تل فندروك
(واما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويله جدا وقال اخر كانت معتدله
في الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان في ابتداء عمره في سعاده
كامله ونعمة وافره كما سياتي كانت طويله لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ
والزيت الحار والتمشيط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه

الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من اكل الطبوع والصبيان ونحو
ذلك اى انها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا
تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر (دقن طالت فأفسدت عند ما ضر طولها)
(قصروها فاصلحت عند ما قل طولها) * وقيل من الدليل على قلة عقل الرجل
صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفي المثل)
طويل الذقن قليل العقل كما اتفق ان بعضهم كان له صاحب طويل اللحية يؤدب
الاطفال ففقده اياما فسال عنه فقيل هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه
انه مات له ولد او احد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح
فقال له عظم الله اجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت
فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات
يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر
يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به فكيف يلعب بالانسان انسانا
فقلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه من احسن الناس واجلهم ما قيل فيها هذا الشعر
فشغفت بحبها اياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا
يقول (اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار) فعلمت لولا ان
ام عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق
صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم فى يوم شديد البرد فرأى رجلا
صغير الراس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت
ابطه حراما ابيض من الصوف مطوى فقال له لاى شئ لا تضع هذا الحرام عليك
يقيك البرد فقال اخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حزنه وتزول بهجته
قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى واجود اللحا ما كانت معتدلة متساوية
الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله
شبرا او شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا * قلنا الجواب ان
الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث ايات منها طول لحيته وانها كانت خضرة
اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع
رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط او يقال انه وان كان على غاية من المعرفة
فهو فى حكم مسلوب العقل لادعائه الالوهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو
ذلك على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) احذر الناس واشطهم الاجاددة
فينبغى لمن صاحبهم ان يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم
للامور كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من اشطن الناس واحذرهم قال

الاجرود قال اريد ان تطلعني على حقيقه ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقه ثلاثة اذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تامرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان الرجل منهم لا يمسك الملعقه الا من طرفها وياكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا امرهم أن لا ياكلوا الا بالملاعق وان لا احد منهم يتجاوز بالمسك طرف الملعقه كما مر قال فارادوا الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وامرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد ان يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في امرهم فبينما هم على هذه الحاله اذ دخل عليهم رجل اجرود فقال لهم ما بالكم لا تاكلون من الطعام فاخبروه بالقضيه فقال هذا امر سهل انا ادلكم على حيلة تاكلون بها ولا تخالفوا امر الملك كل رجل منكم يطعم الذي قباله وجهه وكذلك الاخر يمد ملعقته يطعم من اطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والاخر يفعل مع الاخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وامر له بصلة واخلع على الوزير * ووقف رجل اجرود بين يدي بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك اني متعجب من شكواك يعني انك اجرود ولا يغلبك احد فقال العفو يا ملك انكان في وجهي بعض شعرات فان خصمي جلس املس لا شعر في وجهه قال فضحك الملك وانصفه من خصمه وامر له بصلة (واما سبب سعادته في ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى اقوال احدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان في قوة وشهامه ومعرفه في رعي الغنم والنط في الغيط والمشي في الحرحا فيا عريانا وكان يسيل الحله الخضراء على راسه من الغيط الى داره في اسرع زمن حتى ان الرطوبه التي تخللت منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجل او بقره وهو سارح الى الغيط او مروح فيمعكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافه القشرويه لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكوره حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الداره والطبله والزماره والعياط والغاره وضرب الكلاب بالسيام والهياب حتى انه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما فيه شاعر القريتين شعر

ابو شادوف من يومه محمص ... شبيه الجرو ينطط بقوة
ويسرح غيط ابويعرم ويجمع ... من الحله الطريه في العروه
وهو عريان وسايل فوق راسه ... ووجهه صار كيف وجه البعو

وماقد سال من الجله الطريه　　يسيل عليه وماعنده مروه
ويقعد شهور مايغسل لو شبو　　ولاشهرين وجسمه فيه قوه
ويسرح للضحى في الجرن يكنس　　ويطرد مثل كلبتنا امرجروه
وياذ بنوا ابوشادوف لسما　　يجي الجاموس يقطع وسط ديوه
وينزل يفرد فيها وداهم　　ويتنطط كما عفريت خلوه
ابوشادوف من صغره مدلل　　تربا عندنا كلب بن جروه
ابوشادوف عطاه الله نعمه　　لبس لبده وعنده اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد　　في حدا الصرا وراسه جنب حدوه
يقول سيدى يقول له يا معرص　　تحط المال او نخليك دعوه
وهو من مثل ابوشادوف يقيص　　وابوه وعمته بنت ام فسيه
ونختم قولنا بمديح محمد　　رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنا صل وسلم　　واصحابه الكرام اهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشده معرفته في نقر الطبله وصوت الزماره وكان ابوه قد ملك في حال الحياة حمارا اعرج وعنزتين وحصه في نورا الساقيه ونصف بقره وعشره فرخات وديكهم واربع كيلات نخال من شعير وملك بجوار بعمايه فرص جله ومطموره يخزن فيها الزبل بايام الشتا وكان عنده قله مكسوره وزير اثلم وجروانه يكنس بها الجرن وكليب يحرس الدار فلما تمت الحاله والسعاده توفى الى رحمة الله تعالى كما في الغالب ان الفقير يوم يسعد يموت ＊ وما احسن ماقال الشاعر

اذا تم شيء بدا نقصه　　ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابوشادوف في رداء من محر الكتان ودفنه في تربة تعرف بشربة ابن جاروف شط بكفر شمرطاطي وقيل بتل فندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات بكفر شمرطاطي ودفن في تل فندروك وقبره الان يعرف بقبر ابو جاروف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكوده وربما تبول وتزبل عليه بعض البهايم في بعض الاوقات ＊ وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال

الا كونوا اسعفوني يا جماعه　　وابكوا بامشاه في كل ساعه
ابو جادوف [illegible] اليوم عنا　　وخلى العنز والبقره بتاعه
وخلى [illegible]　　عليه اليوم تبكي وسط قاعه
وابوشادوف يعيط وسط راسه　　ابويا مات وعدنا في مشاعه
[illegible] شيخ الكفر [illegible]　　على الجبعان ودولك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره　　على كلبه ويدلع دلاعه

ويلبس لبدته من فوق راسه　　ودقنه بارده فيها سقاعه
وحوله جرو بن خراى فلحس　　واهل الكفر مامنهم نجاعه
تقول ريس على جوف المغانى　　او الخلبوص جا يشفع سفاعه
وحسر راح رب ارحم عصامه　　ولبنيس طوبته فى كل ساعه
وابو شادوف يا الله ابقى شبابه　　ويصبح شيخنا صاحب فقاعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحوله　　جماعه فى جماعه فى جماعه
ويتعنطز ويسرح فى السهارى　　ويجعص ويقعد فى السراعه
ويختم قولنا والدايم الله　　ودا الكاس حتى مافيه اندفاعه
وياشاطر وشاعر طول عمرى　　والضم لضربتلع لماعه
جعلته فيه يحزن من يشوقه　　وودعته يقولى اليوم وداعه
وضال على الزين اصلى طول عمرى　　بنى الله واطلب لى الشفاعه
وابو شادوف انا لاحد غيرى　　وضربة دم تكثر دى الجماعه

قال ولما فرغ العزا وراق الزمان واخذوا خاطر ابو شادوف والمشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير المعمول بالنخالة والشعير ولطخ قبره بالوحل والجله وعمل بجانبه مدود للعجله سحب النوت وتمشى كالنعوت واتمشيخ على الكفر واطاعه زيد وعمرو وجلس على ركبه ونصف مربط وعبط وانتطط وقال وافتخر بهذا المقال وانشد وجعل يقول شعر

ابو شادوف عمرى ياسلامه　　اقول القول ويا صاحب فهامه
ولولا ان ابو يه فى ترابه　　انا فى الكفر شيخ بلا ملامه
ولنحكم على النساه واسرح وروح　　والخوض البحر الى حد الحزامه
واشد على الحمار اركب وحولى　　جماعه شبه شمعه فى ضلامه
ابو عنطوط وابو يزبوز وعفلق　　ودم الحس فقاك وابو عمامه
وانا ماعاد يبقى اليوم واحد　　وضال الى يجعص فى شهامه
واطحن قرن من خالف كلامى　　بنبوتى واكسر به عضامه
ابويه كان قبلى شيخ عليكم　　فخلونى وروحوا بالسلامه
ويختم قولنا بمديح محمد　　واصحابه الملاح اهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التى حصلت له بعد وفاة ابيه على التركه فاغروا عليه الحكام فارسلوا اليه وعاقبوه فى جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا المطورة الزبل التى ادخرها وهى التى كانت سببا لسعادته بعد موت ابوه على ماقيل نرصاريدارى الناس ويتملق لهم بالكلام الى ان تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطمورة ليلا

وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضه فاخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزياده عن ثمنه فكان هذا سببا للسعادة وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل والبيض فلا تعارض فى ذلك وكان يعطى ويتكرم فقصدته الشعرا والادبا من اطراف الكفور حتى انه اجاز شاعرا بخمسين بيضه وكيلة شعير واعطى لاخر مايه قرص حلبه وجاه اخر بغراره فملاها زبلا من اولها الى اخرها ودفعها له وكان قد اقبل عليه الرزق زياده عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخه بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت اعوج ولبده وخلقه زرقه وقفه سلالته غمال وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحاله ببا ركة المولى فى الرزق فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) ان بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه الف دينار فقال افيها بركة قال لا قال اذهب عنى فاتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلانى وخذ منه خمسماية دينار فقال افيها بركه قال لا فقال اذهب عنى ولم يزل ياتيه مرة بعد اخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال افيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب واخذ الدينار وبورك له فيه وصار فى نعمة وسعاده زايده فالشبع اذ اقنع شبع وبورك له فى قليله قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين امين

(استقنع بقليلك * ياتيك الله بكثيره) وقال (كم عارض بعد رشاش ينهل من المزن)
(انا مالى غياس * ايش على منى) اقلق من رزقى لاش * والخالق يرزق فتى)
وقال رضى الله عنه (يا ابن ادم قل طمعك * دا السعاده وعد سيدك)
(لا تقل دايا لشطاره * او تحصلها بايدك) (لو تكن تبع زمانك * غير رزقك ما يجى لك)
(ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشى قبالك * (من له فى الغيب شي * لم يمت حتى يناله)
وقال الامام الشافعى رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة مثواه (وجدت القناعة كنز الغنى
* فصرت باذيالها ممتسك) (فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى عليه منهمك)
(وصرت غنيا بلا درهم * امر على الناس كانى ملك) حتى مال عليه الزمان وجفته الاهل والخلان ونفذ جميع ماكان معه من المال وصار فى اكبر الهم واشد الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو عادة الدهر فى رفع الاسافل وخفض السادة الاماثل فهو كالميزان فى ثقله او المنخل فى حاله ونقله كما قال الشاعر

رايت الدهر يرفع كل وغد ... ويخفض كل ذى شيم شريفه

كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك يعلى كل جيفه
وقال آخر (الدهر كالمنخل في فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل)
(يحط اللب من تحته * وترفع القشرة والفشول)
(فحوادث الدهر تاتي على غرر ويذهب الشخص على خطر * وقد قلت في مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تاتي على خطر فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الدهر سابغة تقيك شدتها اذ ترم بالشرر
كانت ليالي بها اللذات مثمرة فعلقت منها ثمار العز في الصغر

الى اخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل ومن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان ما حكى ان بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقله الذي انفرد في زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك في بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقا والمحبون ولم ياته احد الى نصف النهار فتبين للملك ان الكلام عليه باطل فامر بقتل الذي وشى به واعاد ابن مقله الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما راى اخوانه ان نعمته عادت اليه عادوا اليه يهنوه واقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك انشد يقول (تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا) (عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا) (يا ايها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان) قيل مكث بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات (ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة) ما اتفق ان رجلا كتب رقعة والقاها اليه بحضرة الملك ليقراها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقله لا يقدر ان ينطق بهذا الحرف (وصورتها) امر امير الامراء ان يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما ان تاملها غير الالفاظ واتى بالمعنى * وقال حكم حاكم الحكام ان يجعل جب على شاطئ الوادي * ليستقي منه الغادي والبادي * وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى (وقيل) اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت في الفصاحه ولقمان في الحكمة وابن ادهم في الزهد وابن مقلة في حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس تنادى عليه لا يباع بدرهم

واما ضد هذه الاربعه فلله در من قال فيها *

سماحة اطروش ونقل ابن قينة وغفلة قريان وعكس ابن ايهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرء موسر لكان فصيح القوم عند التكلم

وبما دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا * وبعد الغنى فقيرا ما اتفق ان رجلا ركبته الديون فترك عياله وخرج هايما على وجهه الى ان اقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو فى حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر فى بعض شوارعها فراى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى ان انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى ان انتهوا الى رجل جالس فى هيئة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كانه من ابناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم واكرمهم فاخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رآى من البنيان والخدم والحشم فتاخر الى ورائه وهو فى حيرة وكرب وخايف على نفسه حتى جلس فى محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه احد فبينما هو جالس اذ اقبل عليه رجل ومعه اربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها انواع الحرير والديباج وفى اعناقها اطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها فى محل معد له ثم غاب واتى باربعة اصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحن على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد ان يتقدم الى كلب لياكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف حاله فامتنع عن الاكل واشار اليه فدنا منه فاشار اليه ثانيا ان كل من هذا الصحن وتاخر الكلب فاكل الرجل حتى اكتفى واراد ان يذهب فاشار اليه الكلب ان خذ الصحن بقية ما فيه من الطعام والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يأت احد يسال عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن واخذ بثمنه بضايع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار فى نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد ان تسافر الى مدينة صاحب هذا الصحن وتاخذ له هدية سنية تكافئه بها وتدفع له ثمنه وان كان انعم به عليك كلب من كلابه فاخذ هدية تليق بمقام الرجل واخذ معه ثمن الصحن وسافر ايام وليالى حتى اقبل على المدينة وطلع اليها يريد الاجتماع به فاقبل على محله فلم ير الا اطلالا باليا وغرابا ناعيا ودارا قد اقفرت واحوالا قد تغيرت وبالا للقلوب قد ارجف ومحلا تركه الدهر قاعا صفصف كما قال بعضهم

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى سحيرا وصحبى بالديار رقود *
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى ارى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ما صنع الدهر بها علانية اعترته الحيرة

على يقين والتفت فرأى رجلا مسكين في حالة تقشعر منها الجلود ودوية
يحن اليها الجلمود فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان
واين بدوره السافره ونجومه الزاهره وما هذا الحادث الذي حدث على بنيانه وما
الامر الذي لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتأوه من قلب حزين
اما في كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله ان لا يرفع شيأ في هذه الدار
الا وضعه وان كان سؤالك عن امر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجيب انا
صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافره واموالها
الفاخره وتحفه الزاهيه وجواره الباهية ولكن الزمان قد مال فاذهب الخدم
والمال وصيرني في هذه الحالة الراهنه ودهمني بحوادث كانت عنه كامنه وسؤالك
هذا عن امر وسبب فاخبرني عنه واترك العجب قال فاخبره بالقصه وهو في تألم
وغصته وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته
من الذهب فانه كان سبب لغناي بعد الفقر ولزوال ما كان عندي من الهم
والحصر قال فهز الرجل رأسه وبكى وآن واشتكى وقال يا هذا اظنك مجنون
فان هذا امر لا يكون كلب من كلابنا يتكرم عليك بصحن من الذهب فارجع فيه
ولو كنت في اشد المر والوصب والله لا يأتيني منك شيء يساوي قلامه فامض
من حيث جئت بالسلامه قال فقبل الرجل اقدامه ويديه وانصرف راجعا
يثني بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت الذي يلتذ بسماعه
فقال (ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام)
وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالي بسهام الهموم
من قسي المصائب فاصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم
ويساور الهموم يسكب على فراق الاحبة الدموع ويرجو عود الدهر وهيهات
الرجوع (شعر)

فليت شعري والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة وهل تعود لنا ايامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به لكنت بادرت شكرا صاحب النعم
واعلم بانك ان لم تصطبر كرما صبرت قهرا على ما خط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من منطوق حوادث دهره
والمفهوم وهو الذي كان سببا لانشا هذا القصيد وشكواه هذا الامر الوافر
المديد فقال *
ص (يقول ابو شادوف من عظم ما شكى * من القل جسمه ما يمنال نحيف

ش (هذا الكلام له بحر وقد ونقاطيع ومد فبحره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل متهابل ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الخلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من معنى هلهله بهلهله ومن شابهه ببقية البحور قال في تمثيله انتحادا وتود واما قده المعهود فعلى وزن بروه تحلي الماضغين جلود واما تقاطيعه المذكوره فهي هي الكلمات المنثوره

يقول ابوشا دوف من عظم ما شكى تبول

عليها في الضحى مع غزو بها ومجموع هذا الكلام

من هذا النظام (تبول عليها في الضحى مع غزوبها) فاذا عرفت العد والبحر والتقاطيع فلنشرع لك الان في شرح الكلام على حسب النواقع او على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول) اى يريد ان ينشئ قولا في الخارج فيه شرح حاله وعلى ما نابه من حوادث الزمان وما اصابه من دواعي الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاقات فصدره قال يقول قولا ومقالة وربما يزاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة او من القلل او من الاقوال او من قالوا او قلنا وانما ذكرت هذه المصادر لتفسرويه وهذه الاشتقاقات الهباليه لابني عليه ما ساذكره لك مما اتفق لي مع بعض من يدعي العلم وهو جاهل وما ذاك الا اني لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين والف وبلغت بندر القصير انتظر السفن للسفر فجلست اياما في زاوية على البحر المالح اعظ الناس فبينما انا ذات يوم في هذا المكان اقرا فيه وابين للناس الكلام ومعنا وانا في هيئة تشين النظر وفي اهبة ذهاب وسفر وبهالة وهبال وهلفطة ومقال اذ اقبل علي بلا محاله رجل يشبه دائرة الهلاله طويل هبيل فط ثقيل له عمة كالهيولي في العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم ثم جلس يريد الضرر ونظر الي شذر فظهر لي منه الشر والجدال ومنتظر مني متى قلت قال وكان الامر كما ذكرت وما اليه بهذا المعنى اشرت فابتدأت في الكلام وقلت قال النبي عليه السلام فعند ذلك قال لي بلفظ كثيف ما معنى قال في التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت انه خالي من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف منه اسما وافعال وهي قال يقول قولا وقلة وقيلوله ومقالة على الكمال وان اردت جعلت لك بيقين تصريف هذه السنة ستا وثلاثين فقال لي وهذا التصريف في اي متن من المتون فقلت له في ديوان ابن سودون فركن الى قولي على جهل منه وعمى فعرفت انه لا يدري الاسم ولا المسمى ثم انقاد الى بعد الدعوى والهبيس

انقياد الغنم للتيس وامتثل الأمر في رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله
(فان قيل) لاى شئ خلطت على هذا السائل في هذه المضحكات والاشتقاقات
ووسعت عليه في هذه الامور الهبالبات كنت تقتصر على ما قالوه في كتب التصريف
ولا تحرف الكلام حرف قلنا الجواب نعم كان ينبغي هذا الكلام ولكن مع من
يدرى العلم واما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله
من دش الكلام والحرفرة فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب
وحاله مناسب لسؤاله وهباله فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال *
(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الناظم ابتدا كلامه بصيغة المضارع ولم يأت
بصيغة الماضي كما قال صاحب الالفية النحوي رحمه الله (قال محمد هو ابن مالك الخ
الجواب القشوري ان هذا الفعل الماضي الذي هو قال يتولد منه المضارع وهو
يقول ويقول يأتي منه قولا كما سبق في تاصيل الافعال والاسما فاكتفى بالفرع عن
الاصل او انه اراد تعداد الامور التي حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن
اخبر عنها سابقا بلفظ الماضي فاراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذي هو يقول
وان كان في معنى الماضي صورة وفي معنى المضارع حقيقة قال الشاعر
* فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضي له في الحقيقة *
* وقال ابو الطيب المتنبي عفا الله عنه *
* اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم *
اى اذا نوى شيا مستقبلا امضى فعله قبل ان يدخل عليه ما يجزمه اى يمنعه
عنه ويسكنه عن الحركة عن فعله انتهى وايضا لو اتى بالماضي لاختل الوزن
وان كان المعنى باقيا على حاله فاتضح الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف)
هذه كنيته ودخلت عليه فصارت علما كما قالوا في معدى كرب وبعلبك وبرق نحره
ونحو ذلك واما اسمه الحقيقي عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه ان امه لما ولدته القته
في مولد البقرة فجاء العجل ولحسه فسمي بذلك اياما حتى اشتهر بهذه الكنية *
وسبب اشتهاره بها اقوال احدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم صار يجر نفسه
لسقي الزرع بالالة التي يعملوها اهل الريف تسمى ابو شادوف وصورة فعلها انهم
يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير
ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها ايضا خشبة بالعرض
حكم قصبة الميزان ويضعوا في طرفها الذي من جهة البر شيا ثقيلا او الذي
من جهة البحر الدلو او القطوة التي ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر
ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو او القطوة في البحر ويغرف الماء ثم يتركه
فيثقل طرفها الثاني ويصعد الدلو او القطوة فيفرغ في النقرة مع مساعدة

الرجل له ويجري الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة ويسمى
مجموع الالة والناطورين ابوشادوف وهو مشتق من الشدف وهو الغرف
قال في القاموس الازرق والناموس الابلق شدف بمعنى يشدف شدفا
بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر *

اذا ما رايت الماء فاشدف براحة   فذلك للظمآن اهنى واطيب

فالناظر لما لازم هذه الالة وصار لايفارقها غالب الاوقات سمى باسمها
من باب تسمية الحال باسم المحل * وقيل ان امه ولدته عند ابوشادوف
فسمى باسمه لكن يرده ما تقدم من ان اسمه الاصلي عجيل وقد يجمع بين الاقوال
فيقال ان امه لما ولدته عند ابوشادوف اخذته ووضعته في المدود وحسه
العجل على ما تقدم فسمى عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل
سمى بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الالة فصار كل من سال عنه يقال له عند الشدف
اى الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا اشادوف ولكثرة تكرارها
جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا ابوشادوف ووضعوها
على ذات الناظر لكثرة مجاورته لتلك الالة وعرفوه بها فصار علما عليه يخاطبونه بها
كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الدلو والقطوة لايفارق الخشبة
التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هي حكم الاب له كما سبق من ان النواطير
في حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة
لما ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاورها في وقت الحاجة لاغير الجواب
ان الخشبه لاتستغني عن الدلو والقطوه وهما لايستغنيان عنها فكان كلاهما
في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو والقطوة
مرتبط بالخشبة فانتجه المقال عن وجه هذا الهبال (فائدة) الاب مشتق من آب
اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله في قصيدة له

ما آب من سفر الا وازعجه   رأى الى سفر بالعزم يزمعه

اى ما رجع من سفر الا وازعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة
يرجع الى ولده ويتفقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوه كما ان الاخ مشتق
من الاخوه قال الشاعر *

ابو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * واخو المرء ايضا قد اتى من اخوة

ومصدره آب يؤوب اوبا فهو آيب وقال ابن سودون ان ابو هذا فعل ماض
ناقص واصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان ابداه قلت ابو

اى ابوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول [illegible] اذ هو

اللائق بهذا عند الأدباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثانى حذف السين لانها فى الجمل بستين والستين فى البوس اسراف عند البعض هذا كلامه المصرح به فى ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذى نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا اظفر بمحبوبه لايشتفى فؤاده بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات حسن الصفات مطيعا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بقده المأنوس وانضم لعاشقه انضمام العروس وتملى المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشى والرقيب هنالك لايحصر البوس بعد ولا يكون له غاية ولاحد قال الشاعر

سالت بدر التم فى قبلة * اجاب ان توفى ومنشى السما
لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت فى العد وضاع الحسا

وقلت فى المعنى

رايت له شرطا على الخد قد حوى جمالا وقد زان الملاحة بالقرط
فقلت مرادى اللثم قال بخلوة فقبلته القا على ذلك الشرط

اللهم الا ان يكون المحل غير قابل للمحب والحبيب بان يكون تخوف من واش اورقيب فيكون الضم فى تلك الحالة والتقبيل بحسب امن العاشق فى الكثرة والتقليل ومنهم من لايعتريه فى ذلك وهم ولا الباس ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو تفرهنه وفر وبما مال نحوه ومر قال الشاعر

لو ترانى وحبيبى عند ما فر مثل الظبى من بين يدى
وغدا يعدو واغدو خلفه وترانا قد طوينا الارض طى
قال ما ترجع عنى قلت لا قال ما تطلب منى قلت شى
فنأى عنى وولى خجلا وانثنى بالتيه عنى ًالى
كدت بين الناس ان الثمه آه لو افعل ما كان على

ومن اللطائف ان ابا نواس مر يوما فى شوارع بغداد فراى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضى يحيى بن اكثم وادعى عليه بما وقع قال فاطرق القاضى ساعة وانشد يقول

اذا كنت للتجليس والبوس مانعا فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا ترخى الاهداب من فوق طرة ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتحرج عاشقا وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فاطرق الغلام ساعة وانشد يقول

وكنا اذا نرجوك للعدل بيننا فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ما اشكي) اي من عظيم امر بل من امور يشكو منها وصرح بشكواه
راجيا بان الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من ايام النعيم التي كان فيها
فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل في الهموم كدمل عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر النائبات على الفتى وتزول حتى لا تحول بفكره

والشكوى على اقسام شكوى لله وهي محموده وشكوى للمخلوق وهي مذمومه
اللهم الا ان يكون في حال شكواه معتمدا على الله متكلا عليه مستعينا
في دفع ما نابه من الشدائد فلا باس بذلك واذا اصبر واحتسب كان
اولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا
ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله به

* اذا ضاقت بك الاحوال * فكر في الم نشرح *
* فعسر بين يسرين * اذا املته تفرح *

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التي ترادفت عليه مبتديا باعظمها واهمها
فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام اي ان اهم شكواي واعظمها
اولا من القل وهي قلة المأكل والمشرب حذفت تاء الكلمة لضرورة النظم وايضا
عدم الميسرة في الملبس وشدة التعب في كد المعيشة (وفي الحديث) كاد
الفقر ان يكون كفرا اي قارب ان توقع في الكفر لانه يحمل على عدم الرضا
بالقضا وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر وفي الفقر قال ابن
دقيق العيد رحمه الله تعالى شعر

لعمري لقد قاسيت في الفقر شدة * وقعت بها في حيرة وشتات
* فان بحت بالشكوى هتكت مروءتي * وان لم ابح بالفقر خفت مماتي

وقيل وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهي
العدل ان دام عمر * والظلم ان دام دمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * والفقر
هو الموت الاحمر * وهي الكلمة التي يعاير بها اهل الريف الرجل الفقير فيقولون
فلان في قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو في قل وعترة اي في حالة
كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال مكربة وهي من الفاظ اهل الريف
قال بعض شعرائهم * (ابو جاموس صبح ما لوا * يبكي الناس وهو شهده) *
(يبجري ما يلقاشي * وفي قلة وفي عترة) * والقل على وزن الغل او الظل مشتق
من القلقلة او من القلة بضم القاف او القول وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء
في اخرها على وزن زبره فخذ زبره وزنها على عتره لا تختلف ابدا ومعناها ارتكاب
المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر اي مرتكب

هذه الأمور واما بالثاء المثلثة فهي واحدة العثرات وهي اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ لقل في كلام العرب (وهو ما حكي) ان رجلا حضريا اضافه رجل بدوي فاخرج له صحنا من الطعام وشيا يسيرا من الخبز فصار البدوي كلما اخذ لقمة يقول الحضري قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوي ولم يزل يكرر عليه التسمية حتى استحى البدوي وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوي من منزله فرأى صاحبه الحضري فاخذه واجلسه في داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضري وسف ما في القلة بركه اي ما في قلة الطعام مع الشر بركه ودعك تسمي الله او تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت ذنوبك في البرايا * وسرك ان يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفي الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة في اشتقاق القل من القولق او من القلة او من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القفشوري) ان القولق اسم لشيء من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط في الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشة وعدم البشرة فتناسب المعنى في ذلك واما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدم اوان المناسبة في ذلك لضيقها في حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خروم ضيقة وانها اذا وضعت في الماء بقبقت وصارت حكم الذي يشكو الى الماء * قال الشاعر *

ما يقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان في ذلك مشقة وشدة من التعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثاني انه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور اي سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

قلقل ركابك في الفلا * ودع الغواني في القصود
القاطنين بارضهم * عندي كسكان القبود

اي حرك ركابك في الفلا وهو الفضا المتسع والمعنى سر شرقا ومغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك

المودع الغواني جمع غانية وهي ذات الجمال اي اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على ازمراد واحسن حال وان كان لا يفيدك من السعي والسفر الا اليسير فهو اولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

(وفي بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدي خلقتك من حركة تحرك رزقك (وفي المثل) الحركة فيها بركة * وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

تغرب عن الاوطان في طلب العلا * وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فموت الفتى خير من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق (وقوله) جسمه الضمير راجع للناظر اي جسمه وهو ذاته مشتق من التجسم او من الجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى ومن جسم العاشق اذا نحل ببعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيب (وقوله) ما يضاك كلمة ريفية ومعناها ما يزال كما تقدم في الجزء الاول اي لم يزل جسمه من القل والتعب وعدم المعيشة نخيف) على وزن رغيف واصله نحيفا بالالف المقصوره وحذفت لضرورة النظم والمعنى ان جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الاذى والكد في تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر ان اصحاب المال والرفاهية في الغالب ان اجسامهم في نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ونظافة الملابس ورقتها فلا يرون بذلك للهم تأثيرا * وقال الامام الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه * قل همه * وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع ما دام صاحبه يتعهده بالسقي والاصلاح وتنظيف الغلة عنه دام في نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال * واما رقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال لصاحبه اهيف قال الشاعر

* * * *

واهيفا

(واهيفا ن لعبا * بالمردانثى وذكر) (قالت انا قمرية * قلت اسكتي انتى قمر)
وأبلغ من هذا قول بعضهم
هيفاء لو خطرت في جفن ذى رمد * لما احس لها من وطئها المها
خفيفة الروح لودامت لخفتها * رقصا على الماء مابلت لها قدما
(مسئلة هبالية) لاى شئ قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب فى المعنى وافصح فى العباده وقد ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم اى من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروى) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التى على وزنها وهى قطيم والقطيم بلغة الريافه هو صاحب الابنه وبلغة اخرى وهو الخالى من الزواج فلو فرض انه اتى بها فى النظم لربما تسوه انه كان بها ابنة فيحصل من ذلك الضرر او يقال انه داعى فى ذلك قوا فى الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلى بها ايضا نشأت من الفقر والعترة وعدم ما فى اليد كما تقدم فقال * * *
ص (انا القمل والصيبان من طوق جبتى * شبه النمال بحبر فوه جربف)
ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف اخبر كم ايضا معاشر الاصحاب واشكو اليكم وهو ان القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد فى القرآن العظيم فانه نوع من السوس والقراد كما ذكره بعضهم (فائدة) ذكر الدميرى فى حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنه وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن وساخ الجسد واشتقاقه من التقمل او من تقميل الغزل اذا اصبغ وبوش ووضع فى شدة حرارة الشمس فيبيس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة واما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر * * * *
وما قامل فى الثوب الا رايته * يدب دبيبا العقربان اذا مشا
(والعقربان) على لغة الثعليان اسم للثعلب قال الشاعر
أرب يبول الثعليان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
وخوطب بلفظ المثنى كما ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار القيا فى جهنم وقول الحجاج يا غلام اضربا عنقه واما قوله فى البيت الاول يدب دبيب العقربان اى لانهم شبهوا القمل بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا انهما تلدغ والبرغوث تعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلاى شئ لم تكن كبيرة مثلها ولدتها

كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله
(الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشؤه من جسد الانسان
وانه لا بد له لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهي مص الدم الفاسد
وان كان يتحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى ان يكون
صغيرا ولدغته قليلة الألم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم ان يكون
الادمي قدر الجبل ويكون دائما في خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغتها
والله تعالى كرم بني ادم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن
مخارس الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان
قدر الفيل لزم ان يكون الآدمي مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث
والانثى منه برغوثه وهو مشتق من البر والغوث * قال الجلال
السيوطي رحمه الله تعالى شعر

لا يكره البرغوث ان اسمه * بر وغوث لا به تدري
فبره مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة في ان
البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت
من العروق وروائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى
والانثى عاجزة عن الذكر واما البرغوث لما كان منشؤه من التراب
كانت طينته قويه ولهذا تشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات ذاتا فكانت
القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم
ان اذى البرغوث اقوى من اذى القمل قال الشاعر

اشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسا من الغصص
اصيد هذا يجي هذا بقوا المسنى * فتنقضي ليلتي في الصيد والقنص

وما احسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمنني * حسان ذي خمر افطاب لها الخمر
فيرقص برغوثا الزمر بعوضة * وبقهم يسكت ليسمعه الزمر

وافادني بعض اخواننا الحشاشين ادام الله باكل الحشيش انسهم واخمد
بدخول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا استعمل ما تيسر من
الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يحس بأذى البراغيث
ولا غيرها خصوصا ان استعمل الحاوي بعد اكله فانه يفعل افعالا اعجبيه
ويظهر مظاهر عجيبه ولا يضره الاكل الحامض كما قال بعضهم متضمنا
كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه *

الشطا

امنسطل بالزبد من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك ان اصبحت في سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من اخي عفا الله عنها لغزا في البرغوث ولم افهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحا وهو هذا يا شي من شي احمر حمير ورق الجمير جرواوداه خمسه مسكوه اثنين وتفسيره يا شيء يا حرف ندا اي يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شيء مبهم وهو احمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير احمر بمعنى شديد الحمرة ورق الجمير اي كورق الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف جرواوداه خمسه وهي الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين جمير وجمير الاجناس المصحف انتهى (ومما يمنع اذى البراغيث) البخور بقشور الرادنج النارنج عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزيبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق في العنق فعل ذلك (واما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقرا ان صاحب الشقيقه اذا اخذ قملة من راس سالم من الوجع ووضعها في باقلا مشويه وسد عليها لئلا تشم وعلقها على موضع الشقيقه برئت باذن الله تعالى وقوله (والصئبان) معطوفه على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لوازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة اجسادهم فيعالج بالادهان والحنا المعتاده وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان في الجسد بسهوله فهو اشد ضررا من القمل لكونه اضعف منه والطف جسما واصله صئبانا بتقديم الموحده على الياء المثناة من تحت جمع صئبي ثم انهم ارادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الادميين فقدموا اليا المثناة من تحت على الموحدة وقالوا اصئبيا وهو مشتق من الصابون لبياضه او من الصيبه او من قاطر الصابوني ومصدر صبن يصبن صيبانا وسكت الناظم عن نوع اخر من اولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه ايضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النميمة او النمام نوع من المشموم واما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل امر فكانه يامره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريري عفا الله عنه

(سم سمه تحمد اثارها * واشكر لمن اعطى ولو سمسمه)

وهذا يقرب من فن الاحاجي كقولهم طاجن وطاقيه والياسمين وقول بعضهم

انى رأيت عجيبا في دياركم * شيخا وجاريه في بطن عصفور

(واحمر الخذ قاني * يعزى اليه الخضاب) * (بغير عين وناب * وفيه عين وناب)
ويطلق لفظ نمنم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهي الاكل فيقول نم او نف

بضم الموحدة وسكون الهاء لانه ينطق بالفاظ تخالف الفاظ الكبير كما هو مشاهد
(واما لغته) قبل نطقه فقيل انها بالسريانيه واذا اشتهى الماء يقول امبوه
بضم الهمزه وسكون النون ورفع الموحده وجزم الهاء واذا مد يده لنجاسة
يتنا ولها زجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا لاحد شيء يؤذيه يزجر ايضا
بلفظ اخ بالالف والخاء المهمله واذا احدث شيئا اعجبه ولعب به يقال له او يقول هو
عليه دح بالدال والحاء المهملتين ويقال له او يقول هو على الماكول اذا فرغ منه
بح بالموحدة والحاء المهملة واذا ارادت امه ان تخوفه او تسكته عن الصياح
تقول له اسكت لايا كلك البعبع بكسر الموحدتين ورفعهما وجزم العينين المهملتين
والبعبع مشتق من البعبعه وهي صوت الجمل وبين اح ودح وبح الجناس التغير
الاول ويخاطب امه بلفظ ماما واباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزل
بعضهم في صغير بيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال *
(يامن سلب الحشى والقلب والروح واواح * غيري تواصل وانا لي من وصالك بح)
انا اطعم البف والنمنم وقولة بح * * بعبع انا كخ بابنا وغيري دح
وقال ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك
لموت امي ادى الاحزان تحنيني * فطال ما الحسن لحس تحنين
وطال ما دلعتي حال تربيتي * حتى طلعت كما كانت تربليني
اقول نمنم تجي بالاكل تطعمني * اقول انبوه تجي بالماء تسقيني
قوله تحنيني وتحنين فيه الجناس التام الاول من الانحاء والثاني من التحنن والشفقة
كما لا يخفى ويقال عذار منمنم اي يشبه نبته بدبيب النمنم او نبات النمام وقد قلت
في تشبيهه بدبيب النمنم شعر *
دب العذار على خديه خيل لي * بانه نمنم يمشي على مهل *
وبعضهم زاد نوعا رابعا وسماه تحليس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن
تعبيص او تقليس مأخوذ من البعبصة وهي ادخال الاصبع في دبر الغير ولعلّه
من اللغاسه يقال لحس الكلب الاناء اي لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه بالتجنيس
او يكون على قياس قطيس واللحاسة والنجاسه على وزن واحد يقال فلان يلحس اي
مرتكب شيا يشبه النجاسة او كثير الكلام بلا فائدة فيكون اللحاسة والنجاسه بمعنى
واحد قال في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة
فيها بالاشك فهذا اصوب ويقال انت تحليس لحس اي انت تشبه لحس الكلب للاناء
او انك تلحس الحرا بلسانك او تلحس بالكلام ولا تدري منطوقه من مفهومه والتقليس
من معنى ذلك ايضا فكلها الفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا التحليس
مزيد ضرر * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق *

ولي من اذى اللحيس في الرأس كربة * ونملي واكل في الثياب وفي الجسد

ومصدره لحس يلحس لحيسا فان قيل ان هذا اللحيس الذي زاده هذا البعض
شيء نافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فما الجواب
قلنا نعم وان سلمنا انه لا وجود له الا بعشر لد قد ففي الجملة له محض اذية وضرر
فصار من اتباع القمل بل من اولاده كالصئبان والنمنم كما تقدم او يكون هذا قياسا
على من زاد في اقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى به اسم الفعل وهو صه
بمعنى اسكت فاتضح الحال من وجه هذا الهبال وقوله (في طوق جبتي) اي
كائن اي مستقر في طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة
وجوق المغاني ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره كالحديد
والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيامة اي المال الذي كنزوه في الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه في
وجوه الخير يجعل في عنقهم كالطوق ويعذبون به في النار والطوق مشتق من
الطاقة او من الطواقي لتدويرها او من خان ابو طاقية بمصر ومصدره طوق
تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم ضامن ايضا وهو
احسن الحلي عندهم * واما ما يوضع في اعناق الرجال في السجن فانه يسمى عندهم
ضامنة يقال فلان في ضامنة اي يعني ان هذه الحالة الحديد التي في عنقه ضامنة
له لا يقدر ان ينفك منها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه احضره
(وقوله) جبتي على وزن شختي ولحيتي هذا اذ النسبتها لنفسك واما اذا كانت
لغيرك فتقول جبتك على وزن شختك ولحيتك مثلا * واذا وصفتها وقلت
جبتك حمره فتكون بالتصحيف شختك حمزه اي ان ذلك رجل يسمى حمزة والجبة واحدة
الجبب مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها اي يقطعها ويفصلها يقال
جاب الفيافي بمعنى قطعها وقد قلت في المعنى شعر *

اجوب الفيافي طامعا في وصالها * واقطع ارضا لست منها بجابر

ومصدرها جب يجب جبا وجبة * وهي على قسمين ريفيه وحضريه فالريفيه من
من صوف ثخين غليظ مشدودة حكم الثوب ويجعلون اكمامها متسعة
خصوصا شعراؤهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم مخصوص
ركبتيه ونساؤهم على شكل الشعراء في وسع الاكمام وزيادة فان كم المرأة منهن تدخل
الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثاني ومن يجامع الرجل زوجته من كمها ولا
يحتاج لبقية رفع الثوب كما وقع لي في ذلك فاني تزوجت منهن وكنت اجامع زوجتي
في بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام حتى في الثياب والاكمام
فهي امور لديهم محبوبة * والمناسبة مطلوبة (وفي المثل) راوا قردا يسكر على بزازه

فقالوا اما للمدام الرائق الا لهذا الشاب العايق ورأوا ايضا مومسة منقبة بكيب
فقالوا اما للصيبة القصيفة الا النقاب الرفيع قال الشاعر

رايت مجذوما فى قاع بيئر * واخر ابرصا يجرا عليه *
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه *

واما الحضرية وهو الذى يستعملها اهل المدن خصوصا العلما والظرفاء وهى
من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها مخصوصة الاباط مفتوحة ويقال لها مفرجة
بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقلم الشخص وبان ما تحتها ويصنعون لها
السجاف الحرير وغيره حتى تصير اعجوبة للناظرين وبهجة للابسين فسبحان
من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قدما نوس وجعل نساهم زينة
للنفوس كما فى المثل الاساس يحسب بانيه وكل شئ يشبه قاينه فالانسان
ينشأ على الطبع الذى جبل عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قلت فى المعنى

رايت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

ثم ان الناظم لما علم ان القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن
حصره لكثرته اراد ان يشبهه بشئ يناسبه فى الكثرة واللون فقال (اشبه النخالة
وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند التخيل وسيأتى تعريفها واشتقاقها
وهذا التشبيه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول ان القمل ابيض والنخالة
كذلك الثانى انه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة
فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل او المنخل او المنخال قال
فى القاموس الازرق والناموس الابلق

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير اقوى نفعا لانها اذا نقعت فى الماء وسخنت بالنار وشربها
من يشتكى الصدر ابرأته باذن الله تعالى (وقوله) يجرفوه اى القمل والصيبان
وتوابعهما المتقدم (جريف) اصله جرفا لانه مصدر حذفت الفه وزيد فيه
اليا لاجل الضروره او انها لغة ريفيه فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من
الجرفة او الجرافة فان قيل كان يحق الناظم ان يرجع الضمير لاقرب مذكور وهى
النخالة وكان هذا هو الانسب قلت لعله عدل عن تانيث الضمير لضرورة النظم
اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن او يكون من باب الترخيم كقوله *

افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان انت قد أزمعت صرمى فاجملى

او انه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف
فلا اعتراض عليه فان قيل ايضا ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان

قد انحصر في طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منها شيء واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منها (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله في طوق جبتي اي غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة في الجرف ولا يلزم من هذه العبارة ان بقية جسده سالم منه بل اذا كان في طوق جبته بهذا المقدار فيكون شيء منه في الجسد من باب اولى لان الجسد محل معاشه وغذائه من مص دم وشرب اوساخه وانما القمل من شانه ان يسرح اولا في الثياب ثم ينتشر على البدن يمص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى اعلا الثوب او الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهوا ويرتاح كما ان الادمي اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دابه كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاي شيء لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيئا منها مع ان كلا منها اذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما في المثل ان الله لو الهمية ويقول يا قلة الدرية فانه في الغالب لا يهوى الا البلاد المذن لعلو اماكنها وكثرة اخشابها وطليها بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شيء من البنا العالي المكلف وان وجد في القرية فيكون دار الشاد بها او دار الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما بيوتهم غالبها من الكرس والوحل وان كان فيها الجملة ايضا فلهذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى اماكنهم (واما النمل) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف فانه لا يهوى الا المحل الذي فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكر فياتي اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حيوة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقي الما كما قال الشاعر *

لا تجعلوني ككمون بمزرعة * ان فاته السقي اغنته المواعيد

والناظم لم ير النمل اثرا في بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمها بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا في ثوب ولا موضع بل كان منعه عنه بهذا السبب (واما البعوض) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه ياتي اياما ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان اذاهما دائم مستمر في الثياب وغيرها كما تقدم والشيء اذا كان يؤذي قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا لتركه الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا انقع الحنظل في معة الغزل بعد اشتوائه ورش بها في المحل وهي حارة قتلة البق ولم يبق منه شيء واذا طهر النمل في محل فيه البق اكله قال الشاعر * (اكل البق المني * جسمي ما حمل بقه) * دحيت النمل ساعدني * فما خلي ولا بقه) * (واما النمل فيمنعه رائحة القطران) ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هيالية) ما الحكمة في ان الشيء اذا كلمه

قملة او قرصه برغوث او شيئ مما يؤذى يسرى ذلك الاذى فى سائر جسده
ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل والبرغوث
ونحوها لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله
نادرا ان بما مات فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل البرغوث
فى اذنه فيمكث قليلا فى حركة واذية فيخرج بسرعة او يموت فما وجه ذلك (الجواب)
الفشوى ان يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سواء لان الروح سارية
فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى
الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وامثل لك مثلا فيشروبا وهو ان الشخص اذا
حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه
فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهرا وباطنا خصوصا
اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها او ضرط فيها ايضا فتصعد تلك الروائح
الى العلو فلا يجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتضر ضررا بليغا خصوصا صاحب
اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها اضر طولها فيخفف الضرر او قل طولها فكذلك
على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال * ثم ان الناظم شرع فى ذكر
مصيبة اخرى ابتلى بها وهى فى الجملة اشد ضررا من القمل والصئبان لكونها من جهة الاقارب
فقال مر *(ولا ضرنى الا ابن عمى محلبة * يوم تجى الوجيه على بحيف) *
ش (قوله) ولا ضرنى اى ضررا زائدا اى ضررا زائدا على ما تقدم (الا ابن عمى)
اخو والدى وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد اخيه لانه فى حكم الاب
لهم اذا فقد والدهم ولهذا تسميه العرب ابا قال بعض المفسرين فى قوله تعالى
واذ قال ابراهيم لابيه آزر ان المراد به عمه ومن العمامه لعلوها ووضعها فوق الرأس
حكم التاج كما فى الحديث العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد اخيه
لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبه وهى اناء يعمل من فخار احمر
مجوف البطن محصور الرقبة لها اذن واحدة وتعمل باذنين ايضا اذا كانت كبيرة وسميت
بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف والحاصل ان الاوانى
المعدة للحلب على اقسام محلبه ومحالاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط
والمحلاب اطول من المحلبة واوسع منها فما واضيق بطنا فتعرف لشبهه بقعر القادوس
وهو صغير جدا وربع وهو اناء صغير يأخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقررقه بفتح
القاف وتشديد الراء المهملة وكسر القاف وسكون الهاء فى آخرها وهى تشبه المحلاب
فى صغر القعر الا انها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها اذنان
او اذن واحده واكبر اوانى اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهناك اناء آخر يقال

له الكوز يباع به اللبن في بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل في الجرم قليل في
البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قيط
سمي بذلك لكونه مقسطا بالوزن او الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن
بوز لانه يشبه بوز البقرة او العجلة في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض
يقال كزت الارض على الحران اذا عضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه
هكذا رايته في القاموس الازرق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن
او الماء يفبق ونا المرشكو ماناله من الم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا
قال الشاعر

مايفبق الكوز الامن تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس القطليسي من هذا القسل فهذه الاواني معروفة عند اهل الريف
وغيرها ومنها الزير والتمند وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمحلاب
ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم معرفة اسمائها واشتقاق بعضها
فما معنى القروقة واصل وضع هذا الاسم الغريب على هذا الاناء وما مناسبة
ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاول) ان هذا الاناء عمل في زمن القر
بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد لانهم وقوا حرقة في زمن الصيف
فصار يقال قروقة اي هذا الاناء وقي حرقة ولم امره ثم انهم حركوا الراء من قر وضموها
مشدده وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروقة فصار مركبا من اسم
وفعل الثاني انه لما اتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه وحلب فيه
اللبن فصار يفور ويحل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج
الاناء فصار ينادي اللبن قر فيه قر فيه اي سكن فيه واستقر ثم زادوا في هذا
اللفظ واوا بين فعل الامر والجار والمجرور وحذفوا اليا المثناه من تحت لثقلها
في اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروقة فسمي بذلك الثالث ان طينته في الاصل
اخذت من محل قريب من قرافة مصر فصاروا يقولون اناء قرافي ثم انهم اشتقوا له
هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروقة الرابع انه مشتق من القرفة بكسر القاف
وهو نوع من ابها زركي الطعم والرائحة يدخل في الاطعمة الفاخرة والماكل النفيسة
وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا
خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه الخامس ان الاسما
لاتعلل فلا يحتاج الى هذه الابيات الغشروية وهذه الخرافات الهالية فاتضح
الجواب وبان الصواب (واما سبب) تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى اقوال
احدها ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لاخوهات الحليه فسمته بذلك
تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا الثاني ان امه اتت بولدها له

وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت ان تسميه باسم اخيه فانثت اللفظ
وصغرته وقالت محيليه واشتهر بذلك الثالث ان امه لما ولدته زارها النساء
بحلية جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيليه فهذا ما ظهر لي
من هذه المباحث الفشرويه والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض
الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضيء المشرق بسبب اضاءة الشمس
الذي يصام شرعا كما لا يخفى (وقوله) يجي من المجيء وهو الحضور (الوجبه) ووقت
مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد او الملتزم او النصراني الى الكفر او البلد
فتوزع على الفلاحين بحسب ما يخصهم في الارض من القراريط والفدادين ونحو
ذلك فمنهم من يكون عليه في الشهر يوم ومنهم من يفعلها في كل جمعة مرة ومنهم من
يفعلها في كل ثلاثة ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة
الارض ونقصها فلابد منها في كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد
والنصراني ان كانا حاضرين وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم باكلهم وشربهم
وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يمونونه عليه من المآكل من اللحم والدجاج
ولو كان فقيرا الزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد وضربه ضربا موجعا
وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى اولاده وزوجته ويهددهم ويطلب
منهم ذلك فربما رهنت المراة شيئا من مصاغها او ملبوسها على دراهم واخذت
بها الدجاج او اللحم واطعمتهم واحرمت اولادها من الاكل منه خوفا على نفسها
من انه لا يكفيهم مثلا وقد يربي الفلاحين الدجاج فلا ياكل منه شيئا ويحرم نفسه
وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه
لاجل هذه البليه ويطبخ بالشيرج وياكل الخبز الشعير ويوضع لهم القمح الزريع وياكل
الجبن القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك
خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبه لكونها صارت على الفلاحين
حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلابد من فعلها للمشد بالقرية او النصراني
او الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا اسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها
شيئا معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية ثم توخذ
منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب
نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء من الارض او غيرها في مقابلة
ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيئا لا للمشد ولا لغيره الا
اذا تبرعوا بشيء من عند انفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل
الوجبه غرامة البطالين واستخدامهم بغير اجرة ما لم يكن عن رضا منهم في مقابل
السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام *

قال الشاعر *

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من بأس
الا اثنتان فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار للناس

فان قيل ان الامير او غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من انواع الظلم فيجعل ذلك على اهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه او على من احدث هذا قبله او عليهما معا الجواب ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي من اتى بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد اي مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين ان يكون احدثه بنفسه او سبقه غيره فالاثم على كل من فعله وامر بفعله اذ كل فعل لم يكن على امر الشارع ففاعله آثم لقول النبي صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما ذكرنا ولو الحديث رد على ذوي العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب * وبان الصواب * وفي قوله (تجي الوجبه) نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو ان يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء في كل كلمة من الفاظ البيت او غالبه كقول الصفي الحلي رحمه الله في بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم في كلمتين فقط ويقرب من هذا المعنى ما اتفق ان رجلا قلاء سمك كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها لتاتي الى محله فذهب الغلام حتى اتى محلها واخبرها ان معلمه يريدها فامتثلت الامر وارادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به احد حتى اتى الى معلمه فرآه يقلي السمك على جاري عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلي فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمي فيه على الحاضرين فقال له يا معلمي فق لي من ذا السمك فاقلي جات تجي فجا لو انها تجي كانت جت ولكن تتجي لما يروح تجي وتفسير هذا الكلام ان قوله يا معلمي فق لي اي تنبه لقولي واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلي اي بهذا الكلام لتوهم للحاضرين انه يريد شيئا من السمك وانه يطلبه منه بسرعة قليه وبين قوله فق لي وفاقلي الجناس المحرف المزيد وقوله جات تجي اي ارادت المجيء وامتثلت الامر فجا اي زوجها في وقت ما ارادت الذهاب ثم قال لو انها تجي اي زوجها لجت اصله لجاءت سهله للضرورة اي لحضرت اليك فلم تخالف

امرك ثم اشتد ذلك الكلام بقوله ولكن تر تجى اى حضورها من الرجا وهو حصول
الشيء على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجى اليك ويحصل
المطلوب والشاهد فى قوله جاءت تجى فجا الخ فانه كرر حرف الجيم فى كل كلمة كما لا يخفى
فان قيل ان النصرانى اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه
ويرسلون له الوجبه ويتذللون بين يديه ويطيعون امره ونهيه بل يكون غالبهم
فى خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك ام كيف
الحال قلت الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع
له والتذلل بين يديه ويكون الفاعل آثما بذلك ما لم يخف منه ضررا او اذية بان
يكون متحكما عليه ومتوليا امره واضطر اليه فى امر كقباض المال من النصارى فى بلاد
الارياف وغيرهم فانهم مالكون هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولى النصرانى
امر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح الا وهو يرتعد
من شدة الخوف كما اتفق فى مدة الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقى الدين بن دقيق
العيد نفعنا الله به ان السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر
كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم فى موكب عظيم من الخدم والحشم ويمر على البلاد
يقبض اموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل او المبيت من شدة
اذيته وقوته وكان لفرسه ركاب من الفولاذ مطلى بالذهب وقد جعل فيه سفودين
من الحديد خارجين الى الخلاء قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا
وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام
القبيح ويقول له ادفع ما عليك من المال فى هذه السنة فاذا اجاب واحضر المال
فى وقته كان والا ضربه بتلك السفودين فيجرحه او يخرق اجنابه فيموت وكان
هذا دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد
رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض
يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل امهلنى بقية هذا اليوم
فاغلظ عليه واراد ان يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيد يقتله فولى هاربا
والنصرانى يتبعه على الاثر الى ان القى بنفسه بين يدى الشيخ وهو يحرق فى ثمنين
جبن لانها كانت صنعة الشيخ فى ابتداء امره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يشعر
الا والنصرانى واقف على راسه فقال له الشيخ امهله بقية اليوم فاغلظ على الشيخ
بالكلام فاخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام اليه وجذبه من طوقه فبقى
فى يده كالعصفور وقال له يا ملعون الا بعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين
ضررك والان قد زال اسبك وانمحى رسمك ثم اتكا عليه حتى قصف ظهره
والقاه فى تنور الثمين فاحترق ثم نظر الى الجماعة نظرة الغضب فالقى الله الرعب

فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقصة فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فسار اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وانت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد ان يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند بالاغواث فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ على حاله ثم اشار الى الملك فصاح من غشوته فلما افاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على ما تريد قال له انا لا اريد منك شيأ غير انك لا تولى احدا من النصارى على المسلمين ولا على امورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى احد من النصارى امر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى ان احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الامال
جعلوا اطباء وحساب لكى * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه او عياله ضررا منهم فى امر دينى او دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا باس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى بلد ترفقا

يلومونى فى عشرة القبط خلتى * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى
ولكننى صياد دنيا فى بارضهم * ولابد للصياد من صحبة الكلب

واما اذا خالطهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف ضرر منهم فربما دخل فى ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفى ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من احب قوما حشر معهم وقوله على بتشديد اليا يريد نفسه لا يضيم (يحيف) اى يميل على ويظلمنى ويكلفنى ما لا اطيق فكان عليه هذا الضرر اشد من غيره الذى هو اذية القمل والصئبان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر *

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم اتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خالى

فانظر الى هذا الشاعر اللبيب كيف اتى بالعم والخال وصحف الاول بالغم واستخدم لفظ الثاني في كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوي القرابة * كالنار يوم الريح وسط غابه

وقال علي كرم الله وجهه العداوة في الاهل والحسد في الجيران والمودة في الاخوان واصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل اخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود وفي الحديث لا حسد الا في اثنين رجلا آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك ما يكمدُ

ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسدُ

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه جليه الى شكواه من ابن اخيه سخافر لكونه اشأم منه وأضر عليه من ابن عمه فقال *

* (واشأم منه ابن اخوه سخافر * يقرط على بيضي بخلية ليف) *

قوله واشأم من الشؤم او من التشأم واصلها شأم على وزن ابلم او افطم وفي المثل أشأم من طويس ويقال فلان مشؤوم وذو شأمة اي عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمي الخشب شوما لشدته وصلابته والعرب تتحاشى الشوم واللوم قيل بنى جعفر البرمكي قصرا بديعا وزخرفه بانواع الجواهر وغير ذلك وجلس فيه اياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى اعرابي يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما *

يا قصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش في اركانك البوم

اذا يعشش ذاك البوم من فرحي * اكون اول من ينعاك مرغوم

فقال علي بهذا الاعرابي فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملني على ذلك الفقر والفاقة وصبية خرجتها كافراخ القطا يتضاغون من الجوع وجئت لاستمطر احسانك وارجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا امكن من الدخول اليك فلما آيست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامرا لا يحصل لي منه شيء فاذا خرب ربما امر به فآخذ منه خشبة او شيا من رخامه فانتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد اطال وقوفك وامر

بعيالك اعطوه الف دينار لقصده ايانا والف دينار لطول مكثه على باب دارنا والف دينار لصبية خلفها كافراخ القطا والف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب والف دينار لحلمنا عليه فاخذ الاعرابي الخمسة الف دينار وعاد شاكرا وقوله (منّه) بتشديد النون لضرورة النظم اى اشد واقوى منه فى الضرر على الظلم لى (ابن اخوه) اى اخو محيلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده الشاعر على هذا الوضع لكونه من اهل الريف وايضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله خنافر مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة او البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه رقد النفس فى حلقه واخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عالية بخنفرة وبربرة قال الشاعر

*(وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا)*

وسمى بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عباير واحدتها عبوده واما اخوه فاسمه قادوس على وزن يعبوص وقادوس هذا اخلف ولدين محيلبه وقافل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن اخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناه من تحت على وزن يضرط ويضرط بهما لغتان قال الشاعر

(فيها ضرط الواشون جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح)

وهو ههنا بمعنى التقريط بالحبل بشده وقوه واما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو اخذ سنبله وابقاء اصله فى ارضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين او فضه تجعل فى اذن الصبى وهى تمد وجه خصوصا الولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال ابو نواس فى مطلع قصيدة له *

*

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء

اى ان هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط والقرطقة صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة فى لونها وهى فى كاس تشبه الدرة البيضاء من صفا جوهره ولطف ذاته وليسقيهم مما فى يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى اخر ما قال وقوله على بيضى اى بيض الناظم الابيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض او من ابو بيض حيوان يشبه العنكبوت او من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما فى الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك الجواب الفشرى هو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصى خصوان ولمد لها خصا فاذا اتخذت الخصا مثلا واضفت اليها خرضيرت آخذ الخصى بلا اختلاف

فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصوده وهو اسم للزب فاذا صدقت عليه فهمت لذة الكلام وهو في حكم الاب للخصيتين لانه لا ينفك عنهما وهما في حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان الخصيتين دائما في مقام الخضوع للذكر وهو في مقام الرفعة عليهما وهما في مقام التدلي وهو في مقام الترقي وهما ايضا في مقام الاضافه وهو في مقام الرفع والنصب وايضا له قوة في فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المسطحة وهما اقفال له على الباب تادبا معه وهذا من علامة البر بالوالد كما اتفق ان بعض الشعرا قصد ملكا يستمطر احسانا فرآه في البستان فوقف على الباب واراد الدخول فمنعه الحارث فنظر خلف حائط البستان فرأى جدول ما يجري وينتهي الى محل تحت الحائط ينصب في فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فاخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

ثم طواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بشمع والقاها في الجدول فاخذها الما حتى القاها بين يدي الملك فتناولها وفك ختامها واخرج الورقة فلما قرا البيت تبسم ونادا له ادخل يا خصا فقال الشاعر ادام الله الملك ما هذا الا عن وسع عظيم فاعجبه كلامه وانعم عليه وارتد شاكرا قلت وبذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغوري رحمه الله غضب على انسان واراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة الاف دينار ونزل من عند الملك ليأتي بها فلقيه رجل من اصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له بلغني ان الملك عمل عليك الف دينار فقال لا علي الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة الاف دينار وانعم عليه ومضى الى حال سبيله (وقد يطلق لفظ الخصا على الذكر ايضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والعزمول وغير ذلك لكن اشهر اسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما جرى بين الزب والكس وهي

لي عندهم اسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الاسما ادعى بالخصا * اذا غضبت خلتني كالعصا

ويلقب بالاعور والاقطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج ويكنى ابو الحملات وابو الصدمات وابو الهيازع وابو الزلازل ونحو ذلك واذا اطلق الانسان عنانه واطاع هواه القاه في اشد المصائب قال ابن عروس

من الناس من اذ تاهوا * والاجواد شاعت ثناها (اما ضرني غير بطني * والي مدحداها)

وقد تشبه الخصيتان بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

* رب زول غمنا يا ربا * يا رب اهلك شيخنا الادبا * كانما خصيناه اذكيا *
دجاجتنا بلقطان حبا) * فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين
وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره
وخصيتين على وزن ضرطتين او شختين فيكون فيها الضرطة والشخة بيقين واشتقاقها
من الخص بضم الخاء المعجمة ومن قرية تسمى الخصوص او من قولهم للكلب حص مثلا ومصدرها
خصا يخصو خصاء قال الشاعر *
خصا يخصو مصاد بخصيتين * حصا دصح فى نظم الطنين
انتهى الجواب عن هذه المباحث القشروية والاشكالات الهبالية (وقوله) بخلبة
ليف اى ربطه قويه دائرة على بعضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك
لكونه ملتفا على اصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشيء
فلا ينفك منها الا بعسر وفى اصطلاح الرعيان انهم اذا اراد واربط شيء بمكنة
يقولون اخلبه عليه خلبة الوتد اى لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك
منه وهى مشتقة من خلب الزرع او من مخلاب الطير ومن البرق الخلب بضم الخاء المعجمة
وتشديد اللام وهو الذى لا مطر فيه قال ابن العربى نفعنا الله به
كل الذى يرجوا نوالك امطروا * ماكان برقك خلبا الا معى
ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل له على تشبيه قبل او انه فقال
ص * (ومن نزلة الكشاف شابت عوارضى * وصار لقلبى لوعة ووجيف) *
(قوله) ومن نزلة النزلة واحدة النزولة وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا فى محل واقاموا
فيه زمنا كما يقال نزلة بنى فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى ومن هذا القرية
المعروفة بالنزلة واما النزول فمعناه نزل الشيء من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود
وهو الترقى من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى اعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض
قال امرؤ القيس يصف فرسا شيا عا *
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من على
(وقوله) الكشاف جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولى
عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد الهور ويمكن الجسور ويزيل اللصوص
وكان هذا عادة كل كاشف تولى فى قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على
البلاد واذا اقبل على قرية يقرع الطبل فيها فيفر منه اهل البدع وارباب المفاسد
ويرحلوا اهاربين خوفا منه وربما وقعوا فى يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل
او ضرب وحبس او اخذ دراهم ثم ينزله على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول
وتاتى اليه مشايخها ويقفون بين يديه فى اشد ما يكون من الرعب والخوف فيسئلهم
عن احوالهم ويسالهم عن ارباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم بالقبض

عليهم اذا لم يكونوا في القرية ثم بعد ذلك يسرعون له في الاكل والشرب
والتقادير على ما جرت به العادة واذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم او قتل او خروج
عن طاعة استاذهم او قايم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير واخرب القرية وقتل
منهم من يستحق القتل وازال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم
رحمة وسيره كشف غمة ما لم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على
الناس من نهب متاعهم واذيتهم وتكلفهم في المأكل والمشرب فوق طاقتهم
والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الا ان سمحت نفوسهم
بذلك فلا باس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره اي
ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لي منه من الرعب والخوف
من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب
من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصه وخوفي من هذا الامر انه بان الذي منه
ضرر شاب عوارضي لضعفي عن مقابلة الكشاف وعجزي عن شيء ياخذه
من داري من حلة للطبخ او غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوارح
وينبت الشيب في غير اوانه * والشيب كرامة من الله تعالى في اوانه لعبده
اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كشاب نصف
لحيته فقال يارب ما هذا فقال هذا وقار لك في الدنيا ونور لك في الاخرة
فقال يارب زدني من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الحديث
ان الله يستحي ان يعذب شيبة شابت في الاسلام وللشيب فضائل
كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير
الموت قال بعضهم *

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من امامه
وقارب عند المشي في خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

(وقال اخر واجاد)

تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وفي هذين البيتين الطباق اللفظي كما لا يخفى والشيب مذموم عند النساء
قال هرون الرشيد لزوجته ما تحبين من الرجال فقالت من خده كخدي وايره
كيدي قال فاذا التحا قالت يطوق الحلقة ويجعل بالنفقة قال فاذا شاب
فقالت يصبر على الخناق او بادربا الطلاق فهو عندهن مذموم وصاحبه
من انس الغانيات محروم خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم
سلوني عن حال النساء فانني * خبير باحوال النساء طبيب

اذا ابيض شعر المرء او قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضي الفاضل رحمه الله *

تعجبت مني راح سعدى * من بعد نصو الخضاب حالي

قالت اهذا الذي اراه * غبار طاحونة سد الي

فقلت لا تعجبي فهذا * غبار طاحونة الليالي

اى انها تكذبت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحون قد لاح على وجهه وعلى لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضي تكذيبها وطي بساط انسها فاجابها بقوله لا تعجبي من اسراع ظهوره فان عجائب الليالي واستباحها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحون قد اظهرت هذا الغبار الذي ترينه فلا تلومي واصبري على ما بليت به * وبعضهم شبه حدوث الشيب في لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها في السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رايت النسر حل ابن داية * وعشش في وكريه جاش له صدري

ومنهم من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في اول قصيدته

ياظبية اشبه شيء بالمها * راتعة بين العقيق واللوا

اما ترى راسي حاكي لونه * طرة صبح تحت اذيال الدجا

واشتعل المبيض في مسودة * مثل اشتعال النار في جزل الغضا

فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التي تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال رأوا في الشيبة نجاسة مثلا ومضى نحو شاب يشيب شيبا وذكره الشيب في العارضين قد لا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان اول ما يشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين وشيب اللئام من العنفقه

وشيب الرؤس بما في النفوس وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى في بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * واما الحاقه التاء التانيث في الفعل فهو جرى على لغة الرداف والناظم منهم وايضا لو قال شابا عارضي او شابوا عوارضي لاختل الوزن فراعى لفظه ووزن الكلام (مسئلة هيالين لاى شيء قال ومن تراه الكتائب

ولم يقل ومن نزولهم لئلا يسامع بليد الطبع انها النزلة التي تعتري الانسان من
حصول برد يحصل به فينزل برأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك
ودواها ان تدهن الجبهه ببياض البيض ممزوجا بالمصطكي فانه يخفف ذلك
وما الحكمة في انه اتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينهما وبينه
مناسبة وكان نسقه ان ياتي بالشاربين والعنفقه كقول الشاعر
* (سوالفك والعنفقه * في طيز كلبة مطلقه) * والحس خراها بافهم * ومزمزه بالملعقه
قلت الجواب القشري ان النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول
والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وايضا الانثى الطف من الذكر في الذات
والصفات وان كان الذكر اشرف وايضا الفلاح عنده العجلة او البقرة اكثر
نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا ان الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور
بخلاف مذهبنا نحن معاشر العشاق فاننا على حد قول ابي نواس
عجبت لمن يزني وفي الناس امرد * الدس بكوب الفيل في الحرب اجود
واما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تنابر في اللفظ والمعنى واحد من حيثية
ان الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ
الشيب منه فيكون على معنى ما قارب الشيء يعطى حكمه او على حد قولهم شاب القلب
فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فانفتح الاشكال عن وجه هذا اللهاك والعارض
مشتق من العرضية التي تلف على الرأس او من عارضة الباب او من العروض
الذي يعتري الانسان من لمس الجن او من العارض الذي ياتي بالمطر او من
عارض الجبل قال بعضهم *
قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض
اوانه سمي بذلك لتعرضه في الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله
(وصاد) على وزن فار من الصيد يصيده او من صاد المركب او من الصره التي تنغل
في كل عام الى الحرمين (القلبي) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب
العقل القشري وقوله (لوعه) وهي شدة حرارة القلب وتلهفه من الم العشق او الخوف
او بعد المحبوب ونحوه كما قلت في معنى ذلك *
اواه واحربا من لوعتي وكذا * اني كابد ذفرات باشجان
وقوله (ورجيف) على وزن رغيف اي رجفان لا يسكن المه ولا يهدأ تحركه
من شدة ما ناله من رعب نزول الكشاف وخوفه منهم كما تقدم ومصدره رجف
يرجف رجفا مثل عرف يعرف عرفا ثم ان الناظم شرع في ذكر مصيبة اخرى ابتلي
بها هو واخوانه الفلاحون وهي اشد عليهم من الامور المهمة فقال
ص * (ويوم يجي الديوان تبطل مفاصلي * واهرب على خوفي من التخويف

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجي) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية اى أهلها وهوان النصراني اذا حضر الى القرية او الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الخولي والعوائد التي جرت بها العادة وشرع في اخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على سداد المال فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة او يأخذ على زرعه الى أوان طلوعه بناقص عن بيعه في ذلك الزمن او يبيع بهيمته التي تحلب على عياله او يأخذ مصاغ زوجته يرهنه او يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصراني اوان هو متولي قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه وخشي الملتزم او المشد من خرابه من البلد اخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال او يأخذ اخاه ان لم يكن له ولد او احد من اقاربه او يوضع في الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه احكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليلة فلا يعود الى بلده قط ويترك اهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن

فأجبتها بتذللي * والقلب يعلوه الشجن

هم المعيشة فرق * بين الاحبة والوطن

فلا بد على كل حال من تغليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما في المثل الذي اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على الفلاح شيء من المال فهو في هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجح ناجب وقسم خائن خائب * فاما الاول فهو صاحب عقل وسياسة وحسن تصرف ورياسه وعقل ودين ملازم للصلاة والدين والزرع للغيط تارك للسند قد جب الحيط له على جماعته الحماية متجنب الرذائل والخنا يباشر الزرع ويقف عند الحصيد والقلع ولا يتكل على خولي ولا مزارع ولا يركن لمزاد ولا مزارع بل يباشر الامور كلها ويعرف مرضها وعللها ويلازم المشد والاستاد ولا يسعى في خراب ولا افساد فان اخذ من معامل فلوس لا يضرها في امر معكوس بل على مصالح الزرع والبهايم والامر الذى عليه لازم وينوي السداد لصاحب الدين ويشفق على الفقير والمسكين ويبقي لا نواره ويحفظ حق جاره وينوي سداد المال ويتكل على العلي المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب يبارك له الديان ويسدد مال السلطان وان جاء المعامل اوفاه وان طلب منه ثانيا في عرمه أعطاه ويرتاح اولاده ويرضى عنه استاده ويعيش في راحه ودين ويرضى عليه رب العالمين * واما القسم الثاني * لا عقل ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفة

فائق للشر والمقرفه بالنهار في لعب المنقله وبالليل ساحب العتله لايلازم العبط يحب اللطعه جنب الحيط نافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهذار سفلاني

فشاد ان دخل في يده فلوس فرقها على العنوزه والنيوس لايلازم مشد ولا استاد داير في العكس والفشا تيرانه جايعه ونحو صنايعه لايصرف الاشياط وعياط وذرعته مافيها الاضراط يصرف من غير قانون مشحوت منحوت مديون ممقوت مع استاده داير في عنيه وفساده لو ضرب بمقادع او كسارات لايخلي النط في الدود والحارات ان قال له استاده على الصواب ينوي على الرحيل والخراب دايما في مقت وكرب ولا يفيد فيه الجلس ولا الضرب قنف معكوس محراك شر حرب

الدبسوني لايقدر على وفاء دين مكسور عليه الالف والالفين فتنه في البلد طول عمره في هم ونكد لايوفي المعامل ولا له داي كامل المقت منسكب عليه وشيه الشي منجذب اليه فلاخير في حياته ولايبكي عليه بعد مماته لانه طويل الكم فشار قليل الفرح في الدار عنزا كالخره لادنيا ولا آخره كما قيل *

فهذا الذي ان عاش لايعتنى به * وان مات لم يحزن عليه اقارب ولا احبابه

واول من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واول ديوان عمل بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم ينضبط على وتيرة واحدة وكان الخراج في زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا او عنوة على ماقيل جمع منها اموالا كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمي ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط من كتم عني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وسأله فانكر فحبسه في السجن وجعل عمرو يسال عنه هل تسمعونه يسال عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب من الطور فارسل عمرو الى بطرس واخذ خاتمه وكتب بالقبطيه الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ماشاء ان يذكره وجهز الكتاب مع قبطيا واتى به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومه بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط التي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فاخذ المال وضرب راس بطرس عند باب المسجد انتهى * وحكي ان المرحوم السلطان سليم لما اخذ مصر من المرحوم السلطان الغوري في رجب سنة ٩٢٠ تسعماية وعشرين جعل له قانونا ودونه بمصر منه انه لايكتب شي من مال الديوان على احد من الجند وافق ذلك راى مولانا امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ارسل نائبه عمرو بن العاص رضي الله عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لايسكنون في بيت المال ومنها انه لا [illegible] سنه [illegible] في مصر اكثر من سنه وبعدها

يجهز الى مكان اخر ومنه ان الجندى لايجمع بين الجامكيه وجهات الاوقاف
والمراد بالجندى المثبت فى الديوان اصحاب الجوامك والعلوفات * واول من جبى
خراج مصر فى الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وكانت
جبايته اثنى عشر الف الف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم
جبى عبد الله بن سعيد بن ابى سرح خراج مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال ابن
عفان لعمرو بن العاص رضى الله عنهما يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها
الاول فقال سيدنا عمرو واضررتم بولدها * وهذا الذى جباه عمرو وعبد الله
انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج * وكان خراج مصر فى زمن المأمون والمعتصم
اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع اربعة الاف الف ومايتى الف
وسبعماية وخمسين دينارا والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن
عشرة انصاف * واعلم ان مصر كانت قبل الاسلام ماية وثلاثة وخمسين كورة
فى كل كورة مدينة وثلاثماية وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة
ثم نقصت فجاء الاسلام وفيها اربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شئ
ونقل الاستاذ السيوطى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى سيدنا عمرو
ابن العاص يقول له اياك ان تكتب شيا من مال الديوان على احد من الجند الحذر
الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان
لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشئ بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه
باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم او لحضور ما دون الملك فيه او لجمعه على
اجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصايد والتواشيح ومقاطيع الاشعار
اذا انشاه شخص ديوان فنزول الديوان فى البلد على كل حال امر مهول على الفلاحين
ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين المنكسرين فى
مال السلطان كما سيأتى فى قوله (ويا ذوب عمرى فى الخراج وهمو) وان الدهر
والزمان مال عليه وصيره فى هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر
الديوان او قرب حضوره يداخلنى الخوف واعترانى الفزع ودهمتنى الداهية الكبرى
ولحقتنى طربة عظيمة لعكس شئ من الدراهم اورده فى مال السلطان او لخوفى من العقوبة
والحبس فبسبب ذلك (تبطل) اى ترتخى وتسكن ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل
وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق
وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو * وقد ذكر لفظ المفصل فى قول ابى نواس
لما احتضر * (لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت) * (ومغرم تضرم احشاؤه *
بالنار الا انه ساكت) * (ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه الم ثابت) * (رثا له الشامت مما به *
يا ويح من يرثى له الشامت) * فنبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له لعزم

عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لم يمهله النصراني ولا يرثي لحاله ولما
كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطرب انطلاق البطن
كما يقع غالباً لبعض الناس قال (واهر على روحي) اي ذاتي لا الروح السارية
في الجسم (من) شدة الطربة وهو (التخويف) اي تخويف جماعة النصراني
او المشد او الخوف الذي يصيبني يعني ان الطبيعة تلين من تخصيص هذا الهم
وشدة تلك الطربة الحاصله فينزل الغائط لينا يشبه هرا الطين بعد ان كان اذا
ضربته في الحائط ارتد في وجهك من يبسه فيسيل على ذاتي وثيابي فلا اتمالك
دفعه لانه يندفق بسرعة من شدة الخوف * والهر واحد الهراد على وزن الجراد
واصله الهرع من قولهم عليك الجاد او هرت على الحبك الكلية اوهر على ذوقك
الكلية مثلا ويقال هو التراب وهو الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه
من الاعلى للأدنى فانك اذا نظرت الى اكوام الرمل نظرت فيها الهراد بيقين او هو
مشتق من الهرع التي تصيد الفار وتسمى بلغة اهل الحجاز البسه بضم الموحدة وبلغة
اهل مصر القطه ومصدره هرهرا هرادا ثم ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا
الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب مما دهمه
والاختفا منه فقال

ص * (واهرب حدا النسوان والتف بالعبا * ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف) *
ش قوله (واهرب) اي انا لا احد غيري (حدا) اصله بالمد والذال المعجمة واستعملت
بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشيء جانبه ومقابله
وقوله (النسوان) اي عندهن او محاذي لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من
التانس والانس والمؤانسه لان ادم صلوات الله وسلامه عليه لما راى حواء
آنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية
المطلوب ورياحين القلوب قيل مر بعضهم بامرأة جميلة فانشد * يقول *
ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين
فاجابته بقولها *
ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم تشتهي شم الرياحين
والنسوان على وزن الجردان والنسوة على وزن القهوه او الجبوه والنسا على وزن
الكساء وقد يأتي فيها النساء ايضا والمعنى اني اخشى على نفسي واخاف مما دهاني
فامضي بسرعة وانا في هذه الحالة واهرب اي انطلق بسرعة الى النسوان واختفي
بينهن او احلس بجانبهن او مقابلهن كما في المثل الهروب نصف الشطارة وقد هرب
عنترة مع قوته وشجاعته وقال اعاين جهدا ولا اقتل فالشخص اذا خاف من ظالم
او احد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله

تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * ومما نقل من الامثال جدع قصير انفه
وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذى
اول من اتخذ الشموع واوقدت بين يديه وكان له اخت جميلة زوجها لعدى
احد ندمائه حال سكره فلما افاق عدى هرب بعد ان حملت فاتت بعمرو عند خاله
جذيمة الابرش واحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة اغار على ابي الزباء فقتله واستولى
على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى
استخلصت منه بلاد ابيها ثم انه ارسل لها يخطبها فاجابته فاستشار خواصه فمنعه
قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فامرت عسكرها
بان يتلقوه ويحيطوا به حتى يعزلوه من عسكره ففعلوا فلما راى قصير ذلك
ركب فرس جذيمة الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وادخلوه
عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت اجهاز عروس ترى فقال بل
جهاز امة بظرا فامرت الجوارى ان يفرشن له نطعا واجلسوه عليه وفصدوه في
جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى في اخذ ثاره بحيلة فجدع انفه
واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لانه تولى المملكة
بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها ارادت غزو عمرو فقال لها عندى من
السلاح والاموال شيء كثير فجهزته لياتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد اصبت
الفرصة واعطاه الفي رجل بسيوفهم في صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فاخبرها
بذلك فجلست في محل عالى تنظر للجمال باحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت
تلك الابطال بسيوفهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدى لا بيدك
يا عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام فان قيل لاى
شيء اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع ان النسا لا يقدرن على دفع
الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك
قلنا الجواب من وجهين الاول لما دهمه هذا الامر واتاه الديوان على حين
غفلة وارتخت مفاصله وحصلت له حالة الهرع دوسه كما تقدم ولم يستطع النهوض
ولا المسير الى احد من الرجال يختفي عنده او الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة
خوفه وكثرة هرابه على نفسه وضراطه عليها ايضا اذ هو من لوازمه كما سياتي
وراى هولاء النسوة قريبا منه او من محله فتوارى بينهن * الثاني * يفهم منه انه كان
ضعيف القلب جبانا لا يعول على المخاصمة ولا المضاربة ولا شيء من امور الرجال
وخشي ان يمضي الى احد من الناس او من اقاربه فيدل عليه النصراني فياخذه
ويشوش عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم امان ولا عشرة حسنة
مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شيء له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شيء آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وايضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن احد قد اجتمعن في محل لا يشك ان بينهن رجل الا ان ظهرت له قراين تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضي الله عنه عند النساء في بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور في السير فافتضح الجواب * ثم انه لما كان هروبه عند النساء يحتاج لشيء يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف بالعباء) اى وقت جلوسي بين النساء او بجانبهن او قبالهن التف بالعباء او ارقد بعد لفي فيها لا طرد عني الوهم بالتغافي بها فان الخائف اي شيء رآه توارى فيه سواء كان عباء او ثوبا او شيأ يواريه عن الاعين بل ربما تزيا بزي النساء واختفى عن عدوه ونجاه الله منه * كما اتفق ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو في القرية الفلانية فارسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية واحاطوا بها فلما عرف الرجل انهم يريدون اخذه للملك تزيا بزي النساء وخرج في جمع منهن ينوح ويبكي ويصيح وهن يصحن معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فاقبل جماعة وسألوهن فقلن مات لنا ميت في القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلي سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى ان جاوز العسكر ومضى الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك * ومثل هذه الواقعة ما اتفق لي اني كنت في سفينة مسافرا من بلدي شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسيد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن في زي خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذني وبيدك الله وبيد اخل عليه ان يأخذه وهو في كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من اخذه وخشي ان يكون خلفه احد يفتش عليه او يأتي في اثره وكان في السفينة ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب بيسألك في اخذه فلم لم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وانا اصنع له حيلة تواريه عن من يطلبه واخفيه بين بناتي ولا يعرفه احد فسمع الرئيس كلامها واخذ الغلام فلما صار في السفينة اخبر انه كان في خدمة بعض الامراء وانه استعمله وهرب ولا بد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فاخذتها واخفتها في حوائجها والبسته لبس النساء واجلسته بجانبها فبينما نحن في هذه الحالة واذا بامير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال وجمال يركضون حتى صار قبالة السفينة وقال للرئيس ادخل البر حتى افتشك فانه هرب لي غلام في هذه الساعة ومعه الف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من في السفينة في خوف من هذا الحال فطلع الامير واعوانه وفتش

سفينة

السفينة والمراة تقول هذا شئ ما رايناه قط وانما راينا غلاما يجري من
بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحيا وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر
بشئ واما الغلام فانه مكث معنا فى المركب الى ان طلع مصر وذهب الى اهله
سالما والناظم لما راى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو
الاندراج فى الشئ واللف به مرادا ويطلق على الاكل بلغة اهل الريف يقال
فلان لف مترد عدس او مترد بيسارا بمعنى انه اكله ويقال داهيه تلفك مثلا
فالناظم اندرج فى العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك
ان داخلها احدا والعباءة كساء طويل عريض يعمل من الصوف له خطوط مختلفة
الالوان يجعلها اهل الريف فراشا فى الصيف وغطا فى الشتا فهى مناسبة
فى الفصلين وهى افخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباءة فى
قول سيدنا الحسين رضى الله عنه *

نحن اصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباءة مشتقة من عب الماء لانها تعبه اذا القيت فيه او من عبو البحر ايام النيل
او من ابو عبيه كنية لبعض الفراريج الصغار تكنيه نساء الارياف بها ومصدرها
عب يعب عبا قوله (ويبقى) اى عند هذه الحالة التى انا فيها وهى لبسها للطيف
وسيلان المراد على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وانا ملفوف فى العباءة
ومندرج فيها (ضراطى) اى صوت الريح المتلائم فى بطنى من اكل العدس والبيسار
عند خروجه من ضربات الاعضا ورجفان القلب فيه اى شبه صوت قرع (طبل)
وهو جلدة مركبة على خشب او نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوى شديد
ودعك ذلك وكله حلال الا الكوبه وهى طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى ايضا
بالدربكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهى وكذلك الزمر كله حرام الا النفير
وقوله (عنيف) اى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا بمعنى انه ضربه واذاه
والمعنى ان صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل
يضربه رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب او ان
مراده بالطبل الكبير العنيف مثل النقاره ونحوها لكونه لا يعرف غيرها
والحاصل من هذه العباره ان الضراط فيها على اربعة اقسام الاول
ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت ممتدا بصوت ضعيف * الثانى ضراط
يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت * الثالث ضراط يخرج ممتزجا
بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها * الرابع ضراط يخرج
بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذى نبه عليه الناظم وصرح به
ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ارياح

لطيفة تتولد في بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليين
بصوت رقيق بحسب لطفها ودقتها للطف المأكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من اصحاب الاجسام اللطيفة وارباب المأكل الخفيفة * والثاني
ضراط يجول في البطن بقرقرة وربما وقف في وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك
صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر
وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من المأكل الغليظ واذا انضج اسرع
في خروج وقيل نضاجه اذا اخرج منه شيئ يكون فساء وفي هذه الحالة يكون خروج
الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط في المأكول طول نهاره * وفي الليل تلقى بطنه يتقرقر

كما اتفق ان رجلا اتى الى طبيب فقال احس في بطني معمعة وقرقرة فقال له
اما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول
في البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له معض يعالج باكل شيئ من الشيح
او الصعتر المغلي فطورا وربما مكث يوما كاملا وليلة كاملة كما اتفق لابن
الراوندي عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى
يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على
عصاه فسمع رجلا يقول اللهم ارزقني الف دينار فقال له يا صفيع الذقن
انا طول ليلي اطلب منه فسوة فلم يعطها لي يعطيك الف دينار وتركه ومضى
ولهذا يقال معضة قليلة الفساء (قال المسعودي في مروج الذهب) في ذكر جمل
من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب
الملوك ونسوق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه
الى ان قال في اخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح
في اجوافهم لانه داء يؤذي ولا يحتشمون من اظهاره في سائر احوالهم وكذلك قال
حكماؤهم ان حبسه داء يؤذي وان ارساله شفاء يبقى وان في ذلك العلاج الاكبر
وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه داء للسقيم المطحول ولا يحتشمون
الضرط ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وذكر هذا الخبر عن الهياد
السعال عندهم اقبح من الضراط وان الجشاء على وزن الفساء اقبح منه واستشهد
هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول في ذلك بين كثير من الناس
حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار في ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي * مقالة يلتذ منها قصدي

لا تحبس الضرطة مهما حضرت * وخلها واقتح نهاما استغنيتني

فان انفعة الداء في امساكها * والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والمخاط * والسوء في الفساء لا الضراط
اما الجشاء فسعا صاعد * ونتنه عن الفساء ذا ثلم

وان الريح واحدة في الجوف وانما اختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى اسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفقة في مؤخر الراس والقفا واحدة وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وان الحيوان الناطق كثرت علله وتحدث اعراضه كالقولنج واوجاع المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما ذكرنا من الامراض والمعترضات من العلها لسرعة الريح مما يعرض من الادواء في اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كسقراطيس وفيثاغورث وبقراطوجالينوس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرواحبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك اناس من اصحاب الشرايع ومنعت منه الملوك ولم يجر ذلك في عاداتهم * وقال المسعودي في مروج الذهب كان المعتصم يانس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة لطيف الحديث فيه سلاسة اهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فاتاه فقال ان امير المؤمنين يامرك ان تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفا فقال علي بن الجنيد وكيف اتهيأ اهيئ راسا غير راسي ام اشتري لحية غير لحيتي ام انبذ في اقامتي انا متهيئ قال لست تدري بعد ماشرطوا المزاملة الخلفا ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد وما هي هات ما عندك يا من تدري فقال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والمناقلة وان لا تبصق ولا تمخط ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل وان تتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة وان لا ينام وان نام الرئيس بل ياخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر بنفسه فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد آه واحراه اذهب فقل لمن يزاملك الامين امه زانية فرجع ابن حماد وقال للمعتصم ما قال قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال يا علي ابعث اليك تزاملني ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءني بشروط حسنا الشاشي فقال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل

يمطمط في كلامه ويفرقع في حكاياته ويشير بيديه ولا اسعل ولا اتعطس
ولا اولا وهذا الايتم لي ولا اقدر عليه فان رضيت انا ازاملك فاذا اجاءني الفساء
فسوف عليك وضرطت ايضا واذا اجاءك انت فافس اوضرط علي والا ليس
بيني وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني
علي هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله علي بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر
فقال على يا امير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت
قال نحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له علي اقبل حتى اسارك
فلما قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل راسك في كمي فانظر ما هو فادخل
رأسه فشم رائحة الكنيف فقال لم ار شيأ ولكني لوا علم ان جوف ثيابك كنيف
ما قربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب
ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد قلت لي لا اسعل ولا ابصق ولا امخط
فلم افعل ولكني اخرا عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار يخرج راسه من العمارية
ثم قال للمعتصم قد صحيت قد راقبه خراء فقال المعتصم وقد رفع صوته حين كثر عليه
الضحك ويلك يا غلام الساعة اموت من الضحك ثم انه اجازه بجائزة سنيه
والثالث ضراط يخرج ممتزجا مع الغائط وسببه ان الارياح عند خروج
الخارج تمتزج به وتتلازم معه وتخرج هي واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين
الطبيعة فيظهر منها اصوات متقطعة غير متصلة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها
وهذا يحصل مع نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المآكل المهضمة وكثرة نزولها
بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * فلا بد للانسان ان يسمع تنحيته
فمن كان ذو عقل فيسير ضارطا * ومن كان ذا جهل فقي وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المردن ودندنة وقت غزل
النساء به وقد خرج من بعض الشعرا فلاموه فقال

ذي بنت بطني خرجت تعيط * تدندن كالمردن في بر مته
ومن يقل لي اكتم ضراطك * اجعل خراي على لحيته م

فجعل البطن مثل الام وجعل الضرطة فيها مثل البنت التي فارقت امها وصارت
تعيط وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم يعذره
يكون جاهلا بحاله ويكون خراه في لحيته * (ويحكى انه دخل ابو الاسود على
معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا امير المؤمنين لا يخبر بها احد
فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان من ابي الاسود
فلما رآه عمرو قال له يا ابا الاسود ضرطت بين يدي امير المؤمنين فلما دخل عا

معاوية قال له الراشا لك ان لا تخبر بها احدا فقال معاوية ما علم بها احد غير عمرو فقال اياه الذي كنت احذر ولكن انت لا تصلح للخلافة قال كيف فقال اذا لم تكن لك امانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين واموالهم فضحك معاوية ووصله * وقد يأتي الضراط على حين غفلة عند حمل شيء ثقيل او وثبة فلحشة او نهوض القيام بشدة ولكن لا يشتد له صوت مثل غيره وهذا الخف ضرا مما سبق * كما اتفق ان اعرابيا ضرط على حين غفلة فلاموه فانشد يقول

ضرطت فما احدثت في الناس بدعة * ولم يأت استي منكرا فاتوب

اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس علي في الضراط رقيب

واتى رجلان الى قاض فتقدم احدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما ان اتكلم انا او انت * وحكى نفطويه عن حكيم بن عياش الكلبي انه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك يحبه فسر عبد الملك وقال هذا يوم مسرور ولجلسه الى جانبه ودعا بقوس رمى عنها واعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحيا فقال عبد الملك دهينا في الاعرابي وكنا نطمع في انسه واني لاعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام فدعى بالمائدة وقال تقدم يا اعرابي لتضرط وانما اردنا كل فقال له الاعرابي قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لا جعلها مذكرة يا غلام ائتني بعشرة الاف دينار فجاء بها فاعطاها للاعرابي فلما صارت له تسلى وانبسط ونسي ما صدر منه فانشد حكيم بن عياش الكلبي يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا

فيا لك ضرطة جرت كثيرا * ويا لك ضرطة اغنت فقيرا

يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكانوا حبا لهم منها عشيرا

ايقبل ضارط الفا بالف * فاضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الملك واجاز حكيم بن عياش بمثلها * وقيل اقبل الصغيري على مجلس بعض الامراء واراد ان يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيري اذا ولى على عجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود

فانما هي ريح لست تملكها * اذ انت لست سليمان بن داود

وهذا كله من باب الحلم والتستر وابداء العذر عن الجالس في الحضرة اذا ضرط فيها فهزا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز في الضراط بقوله

ومولودة لم تعرف الطب امها * وليس لها روح ولا تتحرك

تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

واما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء
الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها ان يفعل ذلك
ولو اراد به المزح مثلا فذكر في كتاب نزهة الابصار في اخبار ملوك الامصار
انه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب
خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظروا اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل
عليه فقال له الفضل اين تريد ايها الشيخ قال حائطا لي فقال هل لك ان ادلك
على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما احوجني الى ذلك فقال له
الفضل خذ عيدان الهوا وغبار الما وورق الكماة فصره في قشر جوزه واكتحل به
فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوص سرجه وضرط ضرطة طويلة
مزعجة فقال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد
ان يسقط عن دابته * (ويحكى ان هارون الرشيد وجعفر مرا ببغداد فوجدا
رمالا بعينيه احمرار فقال الرشيد لجعفر ما هذا يا جعفر قال هذا رمال فقال
لا بد من اختباره فتوجه اليه جعفر فقال ما صنعتك فقال ما ترى من الاصطلابات
والادوية فقال لم لا تداوي عينيك فقال داويتهما فلم يفد فقال اصف لك دواء
ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة اواق من عروق الهوا وثلاثة اواق من نزوع الما
ودقهما في هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمال ما مر آنفا * ثم اتى اليه الخليفة
وقال له ماذا تصنع فقال ما ترى فقال لي امراض اخبرك بها فقال له قل قال
بشعر في مغص وما آكله من الطيبات ينزل من اسفل خبيثا وبباطني ظلمة فقال
اما ما يلحقك من المغص فعليك بالموسى واما ما تاكل من الطيبات ينزل خبيثا فكله
خبيثا ينزل طيبا واما ما تراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا
لاجل ما ينور على استك وبطنك * وقد شاهدنا في بلاد الارياف ان الشخص
اذا ضرط في مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر وربما يقطعوا
بفعله طرود بما جعلوا له علامة في الحائط التي يجلس بجانبها من جبس او جير حتى
يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب
من كثرة ما يلومونه على ما فعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء اخلاقهم وقلة معذرتهم
للضارط وعدم سترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور
وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوش عليه وكان في مجلس فلا باس بضراطه فيه وينبغي
مسامحته لهذه العلة * ورايت في بعض الكتب ان سبب ما لقب حاتم نفعنا الله
بالاصم ان امراة جاءت اليه تساله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت
فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلي صوتك بالكلام فاني رجل اصم وكان كلامه
لها من باب الستر عليها ففرحت المراة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر

بذلك رضي الله عنه * وانقول لي اني كنت اهوى غلاما جميل الذات لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وانا مشغوف بجماله راغب في وصاله وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان وان يجمعني السعد واياه في مكان الى ان صادفته في روضة بالمشموم عابقة ونخيلها باسقة وطيورها بالتغريد ناطقة يرفل في ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبدأته بالسلام وابديت له الغرام وسالته الجلوس فاجاب وما احلى اجتماع الاحباب فلما استقر بنا الجلوس واردت ان اتملى بقده المأنوس بين هاتيك الرياض الزاهرة والروائح العاطرة واحظى بحديثه العذب الرائق وبنطقه الشهي الفائق اذ اقبل جماعة من ارذال الذوات الكثيفة والطباع العنيفة وجلسوا من غير طلب وخاضوا في الحديث من غير ادب فخجل الغلام منهم واطرق واعتراه الوهم والحنق واراد ان يتحرك للنفاد فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لاعبين فنظر الى بطرف كحيل ووجه جميل وقال ما تقول في لوم هولاء الارذال فانشدت اقول بارتجال *

لاموا الحبيب وبادروا * قصد الحبيب بما فعل
لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل
ورأى التفوه معهم * بلطيف لفظ كالعسل
فيه الخسارة اذ هم * اهل الكثافة والملل
ناداهم من استه * بلطيف صوت قد حصل
كيما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الاقل
فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل
ياحبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل
رقت وراق محلها * من العواذل والعذل
والحمد لله على * ذهابهم قد رحل
فاضرط وغن وانبسط * واشطح وطب ياذا البطل
في روضة ياحسنها * بها السرور قد وصل
فكلما ترضى به * فالعبد عنه ما عدل
لكن بجوا المصطفى * غيري ما تاخذ بدل

فتبسم عن ثغر كانه عقود الجمان ومال على بقد كانه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبه وغرس في فؤادك شجر المحبه لااكون في يميني حانث ولم يحل بيننا مدا الدهر ثالث ولم ازل واياه على هذا الحال حتى لحق بذي الجلال ومن اللطايف ان السلطان قانصوه الغوري مر يوما في شوارع مصر مختفيا

هو والوزير فسمع رجلا من ارباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر علي
يا فلان وانا اقدر اصوّر النغمات من طيزي فقال الملك لوزيره علي بهذا الرجل
فاحضره بين يديه فاخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لابد
من فعل ما التزمت به فقال له تعفوني يا ملك فان الرجل في المخاصمة يقول
ما شاء قال لابد من صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطيني الامان قال
لك ذلك فقال يكون في محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره
وطايب معه في الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغوري له دراية
بهذا الفن والف فيه بعض رسايل فقال له اي نغمة تريد فقال الحجاز مثلا فحرك
اليه وضعها ولم يزل يعمل نغمة بعد اخرى حتى اتى على جميع النغمات ونهزاتها
ولم يترك شيا بلا مر عليه فتعجب الملك منه وقال له مثلك لا يكون الا رئيس مصر
في هذا الفن ثم اجازه بالف دينار وجعله رئيسا على ارباب الدخول كلهم ويقال
انه جدا ولاد العتر المشهودين الآن • وما حكي انه حضر بعض الخياطين عند بعض
الامراء ليفصل له قباء فاخذ يفصل والامير ينظر فيه لئلا ان يسرق شيا فلم يمكنه
فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما اراد
فجلس الامير وقال يا خياط ضرطة اخرى فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء • وقد
اجتمعت برجل يقال له ماضي الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة
والدخول وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يعمله بابطه
وكان يعمل به اي نغمة كانت ويعمل منه اشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة
اعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند
العلماء عفا الله عنه • (فائدة فشروية) سمعتها من بعض اهل الخلاعة وهو
ان ابليس لعنه الله يضرط في كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار
اولهم من يركب زوجته ويزورها اضرحة الاولياء والمقابر • والثاني
من راى اثنين يتسارا وادخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل الصاحبة • والثالث
من راى اثنين يتضاربا وادخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما في المثل
ما ينوب المخلص الا تقطيع هدومه • (والرابع) من يمشي في الطريق ويلتفت من غير
حاجة • والخامس محبوس الزوجة وقس على امثالهم • ويحكى انه كان لفتى من قريش
جارية في ايام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة اهل زمانها فغدر به الدهر
فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من
ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليهم ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت
الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج له فعلم انها شغفت بحبه فوهبها له فاخذها ودعا
له وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وسار لا يدري الى اين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج

فنادى برئت الذمة ممن راى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى اوتي بها
فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من احب الناس فاخترت ابن عمي
شابا حسن الوجه بعد ما رايتك تسارقيه النظر فعلمت انك شغفت به حبا
فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع ما انت
صانع فقال تكلمي فقالت كنت للفتى القرشي فعدا به الدهر فاتى بي الى الكوفة
قاصدا اليك لتشتريني حتى اذا قربنا منها دنا مني فواقعني فسمع هدير الاسد
فوثب قائما واتى الاسد وقتله ثم اتى الي وما برد ما عنده من الانعاظ وقضى
حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الي وواقعني سقطت فأرة من السقف فضرط
وغشي عليه فرششت عليه الماء وهو لا يفيق فخفت موته فتهمني فهربت خوفا
منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به احدا
فقالت علي ان لا تهبني له ثانيا * فان قيل ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت
بانه هواء منضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا
مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليتين وتحركهما فالحكم قلنا
الجواب ان يقال ان هذا الايتان الاعلى التعريف الثاني وهو ان الصوت
هواء يتموج بتصادم جسمين فانتفى الجواب فان قيل ان في قول الناظم
ويبقى ضراطي مثل طبل عنيف اشكال من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت
الطبل الشديد يكون كل من سمعه اقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل
بهذه الحالة عليه النصراني وغيره فلا فائدة في اختفائه بين النساء ولا في اندراجه
في العباءة فالحكم قلنا الجواب ان الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة
الا بعد لفه في العباءة فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة انه دراجه ولفه في
العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس في جب عميق مثلا ومعه
طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا
على نفسه او على من يكون واقفا على باب الجب او قريبا منه فالعباءة حكم الجب
وهي اضيق لانه دراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لا يظهر حسه من الخارج
الا ضعيفا او انه من باب الغلو في الشيء كما قال الصفي الحلي في بديعيته *

عزم جادلو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس في الظلم

او يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التي ذكرها لا يتوهم انه رجل مختف
بل ان ما يظن انه رجل او امرأة يقضي حاجته فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حاله
لا اشكال في كلامه فاتضح الجواب قلت والمراد من صرح بهذه العبارة وجعل
الضراط فيها على هذه الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيري * ثم ان الناظم شبه
على ان عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره

وقلة كسبه فقال

ص * (ويا دوب عمري في الخراج وهمه * نقضي ولالي في الحصاد سعيف

ش قوله (ويا دوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للندا ودوب هذه اللفظة لها اشتقاقات فشروية ومعاني مختلفة فاما ان تكون مشتقة من داب الانسان وهو شانه وحاله الذي هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخواني ان دابي طول عمري مع ما حصل لي من الهموم سابقا في حساب وفكر وتعب شديد بما على من الخراج وما ينشا من همه اي خراج الارض وهو المال المكتتب على بحت زرع الارض وما يخرج منها في كل عام فلا يفي بما علي من المال لو زيادته وقلة الزرع ولضعفي وشدة فقري وقلة من يسعفني في الزرع والقلع فلهذا انقضى عمري وانا في هذا الحال الى اخره او انه من الدب لبلا على الولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غاليه او كله فيحتشم خوف احد يتحرك او خوف الفتنة حتى يقضي الفاسق مراده وربما عاتبه الامرد عتابا لطيفا او شتمه شتما خفيفا فيقول له قدر الله وانا بيدك مثلا واني هلكت في حبك الى ان عضني القضية على الحسن حال قال بعضهم مواليا

* دبيت ليلا على من للاحشا ماز * بقيت راكبه على ظهر وشبه الباز
لما انتبه من منامو قال مرد افاز * بوصلنا قلت اعمى جس بالعكاز

وما الطف قول بعضهم

وما حر قلبي باخفانه * رشا ما دري قد رما قد رما
واضرم نار الاسى في الحشا * ولم ينتبك ضر ما ضر ما
وسلم قلبي الى صده * فيا ليته سل ما سلما
وقد كان قدم احسانه * ولكنه قدما قدما
وقد هد بنيان صبري * وما واحد هدما هدما
وحرم ما حل من وصله * وفي مهجتي حر ما حرما
وقد عز مجو احب الوفا * وما احد عز ما عز ما
عجبت لفيض دمعي به * اذا ما بري او هما او هما
فسلمت امري به للقضا * وحزت به اجر ما اجرما
وقد رقم الحسن في خده * فلله رق ما رقما

وقال آخر

شكوت الى الحبيب انين قلبي * اذا جن الظلام فقال انا
فقلت له اظنك غير راض * بما كابدت منه فقال انا

فقلت له اترضى ان قلبي * باثقال الغرام فقال اتّا

فقلت له اتحكم مثل هذا * على اهل الغرام فقال إنّا

اعلم ان الاولى فعل امر من الانين والثانيه بمعنى نعم والثالثه مركبه من ان المشدد عليه وما فعل ماض والرابعة ان واسمها وقال اخر

جل الذى اطلع شمس الضحى * مشرقة فى جنح ليل بهيم

وقدر الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم

بدر ظننا وجهه جنه * فمسّنا منه عذاب اليم

يفر كالريم الا فانظروا * الى بخيل وهو عندى كريم

لما انحنى حاجبه وانثنى * بهز للعشاق قدًّا قويم

عجبت من فرط دلال وقد * بدا الى المعوج والمستقيم

داوى حبيبى يا طبيب الهوى * وخلنى انى بحالى عليم

فخصره واه واردافه * ثقيلة واللحظ منه سقيم

وقال اخر

صيرنى فى كل واد اهيم * من خط قلبي منه هاء وميم

فتى ليثنيه دبير القلا * يا طول شوقى من بخيل كريم

لم انس من وحشته ليلة * خلتنى ارعى دجاها البهيم

نظرت حبى بها نظرة * فقال جسمى انى سقيم

شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكن قلبي كليم

لا اسمع اللوم على حبه * اعوذ بالله السميع العليم

فى شرعه وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم

وثابت الود لديغ الحشا * يأتى الى بقلب سليم

يا روضة تجنى بالحاظه * فيجتنى حلو الرضاب النعيم

كن كيف شئت وعن مهجتى * فلا تسال عن اصحاب الجحيم

والمعنى انى اكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه والحساب فيه فيذهب عنى الراحة فى معاشى والسرور فى اوقاتى وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد علا ظهره ونال مقصوده كما تقدم * او انه من دبيب سم العقرب بمعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار يتولد منه غم يسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد او انه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان ابلد طبعا منه الا انه عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل بلادة الدب غلبت فطانة القرد ومن عجيب منه انه اذا راى جماعة يصيدونه يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم

يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب الفشاب ولا غيره ويكون وقاية له فى التبلد فى الامور ضرب من الراحة واختبار العقول قال الشاعر

تبالد نزن عقل الرجال ونظهروا * اليك امور الست منها بخابر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتنى فى حالة تشبه بلادة الذب وعدم حركته فى السعى لعدم المكاسب وقلة البركة فى الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب على فى كل ساعة فانا محروم من لذات الدنيا ولم يفد نى شئ مما انا فيه قال بعضهم

اصبحت لاشغل ولا عطلة * مزيدنا من صفقة خاسرة

وحاصل الامر وغايانه * انى لا دنيا ولا آخره) فلا ارى فى الزرع بركة فى ابتدائه لقلة التقاوى وضعفى عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوى المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوايد المكتتبه على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد فيه التسعة اعشار البركة لا يفى بهذا المقدار من كثرة الظلم واما فى الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوايد ولا كلف ولا مغارم ولا شئ مما هو موجود الان بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبه ولا غرامة ولا اشيا من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس فى غاية الخير وسعة الرزق والكسب ومما روى انه اعترض رجل المأمون فقال انا رجل من العرب فقال له ليس بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق امامك قال ليس لى نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة * (ومن النوادر) ان الاصمعى مر بحى من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان فى الصحرا ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعى اين اباك فنظر الصبى اليه شذرا ولم يجبه فقال له اين أبيك فلم يجبه فقال له اين ابوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء * ولما دخل المأمون مصر وصار فى قراها كان يبنى له فى كل قرية تكية يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهى تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا ان القبطية قالت امير المؤمنين نزل فى كل ضيعة وترك ضيعتى ولم ينزل بها والقبط تعايرنى بذلك وانا اسال امير المؤمنين ان يشرفنى فى ضيعتى بحلوله ليكون لى الشرف ولعقبى ولا يشمت الاعداء بى وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا

وكذا فأحضرت أمة جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده
العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي داود فاحضرت
لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هي للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه
شيا كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها
عشرة وصايف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك ورآها قال
قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق
فاذا هي ملانة ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله
هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال
هذا عجيب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا امير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقر
بنا فقال ان في بعض ما صنعته لكفاية ولا يجب التثقيل على احد فردي مالك عليك
بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين هذا واشارت
الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك
وانصافك يا امير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به واخذه منها واعطاها
عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل ما يتي فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر
مروتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض في الزمن الماضي تعطي زراعها
من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث
واول من احدث بمصر مالا سوى الخراج احمد ابن المدبر لما ولي خراج مصر فانه
كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحا
لجميع الناس وقرر على البهايم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر
مالا وسماه المصايد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف
المال الهلالي بالجديد وقال سيدي ابو بكر الطرسوسي دخلت على الافضل
ابن امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد
علي السلام نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمني اكراما جزيلا وامرني بالدخول الى مجلسه
والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى
قد احلك محلا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه
واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترضى ان يكون
احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد الزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع
لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان واعلم ان هذا الذي
اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل
ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل
والنقير والقطمير واعلم ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى اتى الدنيا بحذافيرها

سليمان عليه الصلاة والسلام فسخر له الجن والانس والشياطين والوحوش والطير واليها يم وسخر الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما علمنا نعم كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف واماناً للخائف * قال رضي الله عنه ثم اتممت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اختبرت مملكة وادتحت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة اي مصر ثم انشد يقول

الناس اكيس من يحمد وارجلا * حتى يروا آثارا حسان

وقوله (ولا لي في الحصاد سعيف) اي ولا ادري من يسعفني في حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاونني على حمله على الجمال ونزوله في الجرن ودرسه ودراوته وحصاد الزرع هو قطعه بآلة من حديد او قلعه من اصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيعلون عليه بالحصاد وقد شبه الآدمي بالزرع فانه في ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا كذلك الشخص في حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذا فاذا طاب وآن اوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدمي اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن اوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع اي قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسي والمعنوي فالحسي ما تقدم ذكره والمعنوي مثل فعل الخير مثلا يقال ذرع فلان الجميل اي فعله مع غيره قال الشاعر

ازرع جميلا ولو في غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذي زرعا

ومن الحكم من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير او شر قال الشاعر *

غدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون ما زرعوا
ان احسنوا احسنوا لانفسهم * وان اساؤا فبئس ما صنعوا

قيل لما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت يركب متى قالوا في غد فكتبت له رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب ملكتم فاسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم

ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب اوجعتموها وكبود جوعتموها
واجساد اعريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا
صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رحمه الله * ثم ان الناظم
نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين
والبطالين وغيرهم فقال *

ص * (ويوم تجى العونه على الناس في البلد * تجيني في الفرن امروطيف

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه فى هذا البيت (تجى العونه) وهو اوان حفر
السواقى وضم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونه انما تكون
فى بلاد الملتزمين التى بها الاوسيه وهو ان غالب الملتزمين اذا اخذ قرية
او كفرا من كفور الريف يزرع فيها او فى الكفر جانبا من الارض والبقيه يعطيها
للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذى يزرعه زرع الاوسيه فيرسل
ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا
لاخشابه وبهايمه ويقال لها دار الاوسيه ويوكل من يصرف على البهايم
وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الابار او لحفر القنى
او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الغفير فينادى العونه
يا فلاحين العونه يا بطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسيرون للحفر
او لكل ما يامرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى
او تكاسل عن السروح اخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومه وبعض البلاد
تكون العونه فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت
فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا
فلا ينفك من عليه العونه منها وان مات جعلوها على عياله وهكذا فهى داهيه
كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد اراح الله قريتنا
منها انما هى قرار ربط معلوم على الفلاحين لا يصرف الملتزم الا خراجها باخذه
فى كل سنه على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوايد ومظالم فليست
كبلاد الاوسية لانهم دائما فى تعب وكد وغرامه ونحو وهم زايد والناظم
كان مقيما ببلاد الاوسيه فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونه (على الناس فى البلد)
اى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كل سكان القرية ولعل الناظم
كان ممن يسرح للعونه لقلة زرعه وعنده فقر وفاقه من غيابه ساعة عن عياله
من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا بد ان يترك العونه ويذهب لشغل
يكتسب منه فلهذا قال (تخبينى) اى تخفينى عن اعين الناس حتى لا يرانى احد

ولا يسمع بى (فى الفرن) اى فرنه الكائن فى داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (ام وطيف) اصله وطقه وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى * سحيرا وصحبى فى الفلاة رقود

فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * ارى الدار قفرا والمزار بعيد

او من الطوفان او من اطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل فى لزق الجلة وعلها اطوافا فمن هنا كنوها ام وطيف * واما اسمها على ما قيل ذويبه وقيل خطيطه او معيكه وهى ام الناظم او زوجته او اخته وسميت العونه عونه لاشتقاقها من المعاونه لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه او انها اسم الجماعة المنعاونين على الشئ ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونة اى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزربيه او الشونه ويعايرون بها الامرد ويقولون له انت يا خوديا بقرة داناعونك فيه اى مائة نفس او انها من الماعون اسم للزلعه الكبيرة ومصدرها عون يعون تعوينا او عان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعوينا وعان اعانة * وكل له معنى صحيحا وقد ورد

فان قيل ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به احد وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونة لابد من الشروع اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان او من زمن اجداده كما تقدم فما الجواب قلنا الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره احد وانما اراد الاختفا خوفا من اقاربه ان يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه او يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه او انه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونه اختفى فى الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه احد كما يقال فى المثل (ابعد عن الشر وغنى له وعين لا تنظر قلب لا يحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال، ولما فرغ الناظم من شكواه من القمل والعتر والقمل والصيبان وعداوة اقاربه وما ناله من هم الوجبه والخراج والعونه ونحو ذلك شرع فى تمنى جملة من المآكل والروائح لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك او ياكله ولو يسيرا قبل انقضا عمره وابتدا بالكشك لانه اخص ماكول اهل الريف فقال

ص

من ولاهدنى من بعدها هاده وهاده سوى الكشك لما يستحق غريف

ش قوله (ولاهدنى) اى حيلى وقوتى ماخوذ من هد الحائط واصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

هلكية الحسن جودى بالقا كرما لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذا

افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما ركب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى فى القران الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الكاذبين لانه كان رسول الطير وكان يدلهم على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل ابن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى ان الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضاء عمى البصر * او انه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ * وفى الحديث تهادوا تحابوا * ويقال اصل المحبة الهدية واصل العداوة الشبكة واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس ولو كانت شيأ يسيرا وفى المثل هدية الاحباب على ورق السداب وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها

وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها

لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(او انه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصعر ومصدرها بعد يهد هد ا وهدم يهدم هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا وهدما هدما بمعنى انه يضعف قواه ويبطل حركاته كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه وقوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين او لها مثل اخرها اذا وقفت عليها واصلها هذا اسم اشارة الا ان السنة اهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هد حيلى واضعف قواى من بعد ما تقدم او لا وهو اكل المقل والسيسبان والفاكهة ونحوه والذى اتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد فى الغيطان ونحو ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحة حيرنى * وكل ساعة فى نقصان

ما انفك منهم الوجه * ناجى مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة الماكل والمشارب ولا راحة له ابدا الا ان تعلق مال السلطان واما اذا بقى عليه شيء

يسير فانه دائما فى افتكار اناء الليل واطراف النهار وطرد وتعبوهم وتعبا لاان اعطاه الله تعالى البركة فى الزرع فانه ياتى من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر فى الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كاكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل فى طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب (لما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب) رضى الله عنه انه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسالون الناس فقال من انتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزارع اقوى توكلا من غيره ان لا حظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب فى الارض ان يصلى ركعتين ثم يقول الهى انا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لى فيه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) اربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس فى بيته ودعا الله ان يغنيه يقول الله الم آمرك بالسعى (ورجل) انفق ماله فى معصية الله تعالى او بناء فافتقر ودعا الله ان يغنيه يقول الله له الم آمرك بالاقتصاد الم تسمع قولى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (ورجل) دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يارب خلصنى منه يقول الله له الم آمرك بالاشهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يارب خلصنى منها يقول الله له الم اجعل امرها بيدك اما سمعت كلامى الطلاق مرتان انتهى ولكن نحمد الله الذى اراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا لاجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على الفصاد
ركبت قصيبتى ولبست مسحى * وسرت كسيرهم فى كل وادى
فلا الاجناد تطلبنى بمال * ولا الديوان يغلب فى عدادى

(فالفلاحة) على كل حال بلية اعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو فى اصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن
الاصل د روبر * نعم الجدود ولكن

اى ولكن بئس ما خلفوا نعم اكفاء وصفته ان يؤخذ البر وهو القمح يغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مسلوقا ثم يجفف فى الشمس ويدش ويوضع فى اناء ويصب عليه اللبن والملح الحصر ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يختمر وياخذ

قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل
خفة حموضته ثم يقرص اقراصا صغارا ويوضع في الشمس الى ان يجف فيؤخذ ويخزن
لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن في الماكول واما
كشك الكفور وبلاد الملق الذي ذكره الناظم فلا اراك الله مكروها فانهم يصنعونه
بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع
عن غيره محرك للضرورات وهو الذي يضرب لونه الى السمرة وكلما كان ابيض
نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور
في عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه
وحسن نظافته * واما كيفية طبخه فعلى اقسام بحسب البلاد التي يعمل فيها فاهل
بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج او بشيء من اصناف الطيور
الماكولة اخرى او يجعلونه بالارز فقط ويصيرونه ثخينا واهالي المنزلة ودمياط يطبخونه
بالسمك البوري السمين واكلته بدمياط مرارا وابناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل
من الارز بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه
باللحم الضاني السمين فيكون له لذة عظيمة في الماكل وتعتدل الطبيعة خصوصا مع لحوم الضان
والدجاج والارز ونحوه * واما القسم الردئ المحرك للسواكن المذكور في الشعر المتقدم
فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ في غسله وتصفيته ويضعونه
في بوشة او قدرة او دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويوقدون
عليه بالنار الى ان ياخذ قوامه ينزلونه ويخرطون بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج
ويقلون له بذلك ويغرفونه في ماجور او شوالي فخار ويفتون فيه خبز الذرة او الشعير وياكل
الشخص منهم مترددا ومترددين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت الما فيجد ما بقي
منه قد جمد وظهر فيه ضروس الفول فيلهطه الى ان يكتفي وهذا يسمى عندهم راس العجائز
وهو اعز الماكول عندهم وغالبهم يصنعونه في اعراسهم كما سبق بيانه في الجزء الاول من هذا
الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم
لا ياكلونه الا من العام الى العام كما سياتي بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه
من غير فول بل بمجرد كشك من غير وضع شيء من التقالي عليه يسمى عندهم نريب وهذا
وما قبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ
الطبع وكذلك اللحم لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد
الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة . وللكشك منافع قل من يعرفها منها انه اذا اذيب بالماء وشربه
المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا تروحت الجمل من الم الحر يسقى منه فيزول ما به
ولهذا يستعمله المسافرون اذا اذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم

وينفع من الجرب ضرب السياط طلاء وله منافع اخرى مذكورة فى كتب الطب * واما اهل الصعيد
فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا لا فائدة
فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب ما كولهم الويكه
والملوخية كما شاهدناه فى بلادهم (قيل) اتى رجل من اهل الصعيد من نواحى قنا وقوص
الى مصر ليشترى جارية للخدمة فرأى جارية تباع باغلا ثمن لمعرفتها بانواع الطعام
فوقف عليها وسألها اهل تحسنى الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من
اى البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى طعام فاخر فان ماكول
اهل الصعيد فى كل سنة ستة اشهر ويكه وستة اشهر ملوخية فلا يحتاجون الى
طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك
وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الاخر المسمى
بالنيرب وما معنى قول الناظم انه هد حيله عند مشاهدته وقرب عرفه وشم رائحته
(الجواب الفشر) ان لفظ كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التى تقرأ طردا وعكسا
ومثلها كعك وشاش ورباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس وقاع مركب بكر معلق وخلق
تنزه وعجوز تنكسر وقد ورد ذلك فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وربك فكبر
كل فى فلك وغير القرآن مثل حمالك تحت كلامك علو بحث قلع (ومن النظم
قول الحريرى

اس ارملا اذا عرى * وارع اذا المرأ اسا
اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

روايتنا) ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره واول الكشكة مثل
آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى او انه عند وضعه فى الشمس يكش
وينضم من حرارتها او انه من قول بعضهم اكل فلان الكشك عند فلان بمعنى انه
اكل اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصار مثل ماجور الكشك او من قولهم للكلب كشك
اذا ارادوا ان يلقوا له شيأ يأكله ينادوه بهذا اللفظ او من الكشك بضم الكاف والشين
وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس او ان الكشكة
لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين
المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ واضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدر
كشك يكشك تكشيكا (واما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش فى الاصل
النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن فى الغالب
يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها
النهم والعكوس وناهيك بعجائز اهل هذه البلدة اى مصر فانهن قسم

من

ن غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا الماكول سمى بهذا الاسم او انه من باب هرش
المعدة (واما تسمية النوع الاخر نيربب) فلعله من النيروب على وزن الدبلوب
او انه نسب الى رجل اسمه نيربب على وزن ارنب حيوان يحل اكله فحشوا الا التناس
فى اللفظ فقالوا نيربب او انه فعل فى زمن النيروز فقالوا اولا نيروز فالتبس
الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذى فى اخره بالباء الموحدة وقالوا نيروب
وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه
له وقلت طبخه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا راه قد قرب
للاكل يتحسر وتاسف وخصوصا (اذا استحسن غريفه) اى لما ينتهى طبخه ويريدون
غرفه وتفوح رائحته عند غرفه واصله لما يستحق الغرف بآلة التغريف لكن حذف
وزاد الباء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة
الخرافه فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة يتهد حيله لان هم الشخص
طول عمره وبطنه وفرجه كما قال ابن عروس فى ديوانه

الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها
ما ضرنى غير بطنى * واللى مدلى حذاها

وقال بعضهم موالیا

يا دنية الشوم طول عمرى وانا اشتد
فى هم دى البطن اللى ما تريح حد
اصال ابنى واجى بعد العشا امتد
اقوم فى الصبح القى ما يتتوا تهد

(فمن هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم النحل يعيش بالشم
بل من الادميين وخصوصا من اهالى كفور اهل الريف يفطر الشخص منهم على مترد
او مترددين من الكشك او البيسار او الفول المدمس كما سياتى فلا لوم عليه فى
هد حيله (يحكى) انه ركب المامون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم
فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس نبطى فجس نبطه وقال له ما تشتكى
يا عليان فقال له اشتكى استى فقال له بختيشوع خذ لك عود اراك ودسه وراك
فهو صالح لذلك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذاك
ونحن نجرب دواك فان عافانا الله بذاك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك
المامون حتى استلقى على قربوص سرجه (ويذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض
الاطباء انه جلس فى بعض الاسواق ينظر فى امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف
الذات من ابناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه وقال له

انظر ما بي بجس بنطر وقال له ما اكلت اليوم فقال بيسير اين الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكي ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفا ثم قام من عنده واذا برجل من اهل الريف كانه في الشكل هبل اوسادية من فوق الجبل اقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الدبيب وقال له انظر ما بي من المرض بلطف فانا الحس في بطني بضعف وقدم له يدا كانها خشبة وساعدا كانه خطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذي دهاك وما اكلت اليوم في فطورك وغداك فقال له انا احكي لك وحق تربة ابو طبله وتربة معيكه ابن ابو جعيمرا انا لما قمت من النوم لقيت امراتي امرمعيكه حاطا بوشة بتيسار كبيرة وكنت اسحب العيش ولهطت منها مترد مترد من قبل ثلاثة فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا امر دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه مترد مترد من قبل ثلاثة قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال ورحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط فول كلت شمال قبل شمالين اوثلاثة ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت منه مترد من قبل ثلاثة ورايت عند ناعرس في الحارة وعزموني ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كثير كلت من ذاك الطعام مترد من قبل ثلاثة ورايت عند ناخيار اصفر كلت كوم كوم من قبل ثلاثة وجيتك تنصح حالي فاني بلحس في بطني ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطارا وقنطارا قبل ثلاثة ومن السنامكي كذلك ومن السكر كذلك فقال له انا سمعتك بتوصف للي جالك قبلي شئ قليل من السنامكي والسكر والزبيب وبتوصف لي قناطير فقال له يا المخزن لفلاحين وهل يصلح هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشربات ثم اخذ خرجه على كتفه وحلف انه لايجلس بقية يومه في السوق من احل هذا الفلاح فانجه المقال عن معني هذه الاحوال واتضحت العبارات عن هذه الخرافات (ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شئ اغلظ منه لانه مستعمل عند اهل الريف في غالب ما كولهم فقال

ص ولا شاقني الا المدمس ودحو على من خته خفنه بنص رغيف

ش (وقوله) ولا شاقني من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال السيد عمر بن الفارض (ولولاكم ما شاقني ذكر منزلي) وشاق على وزن فاق وهو صحيح الاوزو ومصدره شاق يشوق شوقا مثل فاق يفوق فوقا والمعنى انه يقول ما اكثر شوقي وزاد هيامي الى شئ من جميع الماكولات (الا المدمس) ماخوذ من المدمس لقوله يدمس في النار كما سياتي ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفي وحضري وان كان الاصل واحدا وهو

الفول لان الشئ يشرف لشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة اخرى (فاما الحضري) وهو ما يباع فى مصر وغيرها من المدن فانهم ياخذون الفول النقي الابيض ويتركون منه الرديء ويضعونه فى قدر كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عند ما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرايق ويسدون فم القدرة بشئ من الليف النظيف او اناء طاهر سدا محكما ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الادخنة والروايح الكريهة مثل جورة الفران ونحوها ويتعهدونه بالسقي كلما انشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو رائحته ويصير فى غاية من حسن الاستوا يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه الحلوى مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا ارادوا اكله اشترى الشخص ما يكفيه واضاف اليه السمن البقري او الزيت الطيب وقشطة اللبن واحضر الخبز الابيض النظيف وربما كان مصحوبا بالكرات الاخضر والليمون او الخل فمن هذا يصير غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويصلحه قليل من الصعتر خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفي الشخص به عن غيره من الصباح الى المساء (واما النوع الريفي) وهو مدمس اهل الريف الذى اشتاق الناظم فلا اراك الله مكروها اذكنت ما ذقت الخرا فكل منه فانهم ياخذون الفول ان كان جيدا ورديا على سائر اوصافه وربما اخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة او الثور ونفخت ما عليه اثار التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك او من مقاطع النيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بشاس الكتان او بخرقة فيها الدناسة وتضعها فى محماة الفرن الملانة من الدمس والجلة وربما وضعت ذلك عليها انفا وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروايح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهر له رائحة كريهة ثم تاتى بالمترد وتهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم مثل الكلب الكاسر وتاتيه بخبز الادرة اليابس وخبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا اكلت منه فكانك تاكل من زبل الغنم مثلا ومنهم من ياكله بالكرات او البصل وربما اضافوا عليه شيئا من القمح او الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فليسف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى ان يكتفي ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت ويفرح مثل النعوت فهذا مدمسهم وصفته ما كرهه ارانا الله

من ذلك وقوله (ودحيق) اصله وراىحة حذفت الهمزة للضرورة او جريا على اللغة الريفية اى شاقنى راىحة الممتزجة بالروائح المتقدمة للذة تهاعندى اذا اشتهيته فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا اجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة من الريح او من الروائح او من ابو رياح الذى تلعب به الصبيان او من الراح وهو من اسماء الخمرة (قال الشاعر)

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تزكو وتخبث اذ مرت على الجيف

او من قولهم مواليا

اليش قلت ياصاحبى فى رايحه جيه
من تحت حيطه وهى ميته حيه
وقاعده واقفه على الارض مرميه
وجايزه راقده فوق حيط مبنيه

وهى المعدية على حد قول بعضهم

المعديه رايحه جيه * تلتصق بالحيط
ياابو جبيله * الا انا زليت

ثم ان الناظم لما ذكر اشتياقه الى المدس وراىحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من حروف الجر الا انه وقع هنا فعلا والمعنى على وارتفع قدرى (من حتة خفنة) او على جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع (قال الشاعر)

على زيدنا يوم اللقا زيد كم * بابيض ماضى الشفرتين يمانى

او يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال من جاءته اى حصلت له خفنة ملآنة من هذا الفول المدس ولو كانت هدية او صدقة وحصل له معها (نصف رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص فضة او من قبيل الاكتفاء او من جهة الترخيم كقوله (افاطم مهلا بعد هذا التدلل) فكون يوم ابرك الايام واسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نص رغيف ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدس جامع للطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كافى له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا او من باب سد الجوعة والخفنة اناء كبير معد لوضع الطعام (قال بعضهم) يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل بطنه بطنه خابيه * واذا خفنة كانت خابيه

(وفى نسخة اخرى) بالحاء المهملة اى حفنة من الفول المدس والحفنة ملآ الكف

الانسان مع انضمام الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وجفنة الجناس المصحف وهى مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما ان الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى فى اجفانها وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك (قال الشاعر)

اقول لمقلتيه حين نامت * وكحل العين فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

ومصدره جفن يجفن جفنة (ثم ان الناظم) تمنى ماكولا آخر من غالب ماكول قريته اغلظ طبعا من المدمس فقال

ص على من رأى البيسار فى الجرن سالو * ويدعس ولو كان بالفلنج ضعيف

ش قوله (على) تقدم معناه فى البيت الذى قبله (من رأى) رؤية بصرية (البيسار) وهو نوعان ريفى وحضرى كما تقدم فى غيره (فالريفى) مركب من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لا غير وكيفية طبخه عند أهل الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيأ من الفول المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قرب الاستواء فيخرجونها ويعركونها بالمغراك الى ان يأخذ ما فيها قوامه وينهرى الفول وتفوح رائحته فيصدونها فى الفرن ليسيل اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى تستوى ثم يقلون لها بشئ يسير من الشيرج او الزيت الحار بالبصل ونحو ويغرفونها فى شالية او مترد ويفتون فيه الخبز الشعير او فطير الاذرة حتى يصير مثل الكرسى وياكلونه بالبصل الاخضر او الناشف فياكل الشخص منهم المترد الغت او المتردين فى الغداء والمتردين فى العشاء ويسحب بنوبة وحده وتنبر خلف قفاه ويسرح بالبهائم والغنم والمحراث وهذا غالب ماكولهم خصوصا فى زمن الشتا وقت الفطور والسحور حتى يصير الشخص منهم كانه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على الحصير هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح فى بطونهما وتخرج من بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم الا وجبته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعياط وشياط فهذا حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح (واما النوع الحضرى) فما الذه واشهاه وما اطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر أو غيرها من المدن التى تجلب اليها الملوخية وتزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى اصناف منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها او ربما نشفها فى بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجته او خادم فتضعها فى دست نحاس

بيضاء والمجمرة رومية عليها غطاء محكم وتصنع عليها الماء العذب الزلال الرائق وتقاد عليها بالحطب الرومي حتى تاخذ قوامها في الاستواء ثم تفركها فركا لطيفا ثم تقليها بالتقو الشامي او البلدي ممزوجا بالسمن البقري وتضيف اليه دهن اللية وتلقي عليها شيأ من البهارات كالفلفل وما اشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيأ يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد في الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب من لحم الضأن ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهو انها اي الملوخية تؤخذ وهي خضراء نضرة بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض ابناء الترك فعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة في الجسد (ونوع آخر) وهو الذ واشهى مما تقدم واقوى نفعا واعظم ماكولا وهو اخذ الملوخية وهي صغيرة في ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج والاوز مع كثرة الادهان او باللحم الضأن واهل مصر يرغبون في هذا النوع ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص منهم اينفق على طعام الملوخية في ابتداء امرها جملة من الدراهم ويدعوا عزاصحابه ياكلونها وتكون عندهم الذ من طعام الاعياد ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمني فلان واطعمني الليلة الملوخية الجديدة ببركة السنة وربما اكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء او الشمر فيغوصون فيها حتى تتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من جودة رائيهم وذكاء عقولهم وحبهم في الشيء عند ابتداء طلوعه كما قيل (كل جديد له لذة وكل قديم له هجران) (ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس في ديوانه

اول زمانك يعزوك * غالي وقع في يد غالي
وان دبت يا شاش يرموك * واللي جري لك جري لي

(فانا الشيء) في ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال (ونوع آخر يسمى بورانى وهو انه تقطف اوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون بها كما مر (وهذا ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به انه يستحب الاكل من الشيء عند ابتدائه اي ابتداء طلوعه مثل الخضروات وغيرها من الفواكه فان نفعه في ابتدائه اي ابتداء الكثير من نفعه في انتهائه واهل مصر على هذا القدم يسعون في اخذ الشيء في ابتدائه ولا يلتفتون الى انتهائه جزاهم الله خيرا عن مروءتهم وادام سرورهم بانسانيتهم وطيب معاشرتهم واماننا الله من الريف وجهله وغلظ ماكوله وطباع اهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية الملوخية بالفول يليسارا وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك

(الجواب المشروى) على وجهين (الاول) ان الذى اخترع البيسار فى الاصل كان ابوه فلاحا يزرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط ابيه المذكور وسرق شيأ من تلك الملوخية واتى به الى زوجته فقالت له ما تريد بهذا فقال لها قصدى اصنعه طعاما ثم اخذ ورقها ووضعه فى بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير والقى فى البوشة شيأ من الفول المدشوش اخذه من مدود الحمارة فامتزجت الملوخية بالفول ثم اخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرفه فى مترد وجلس ياكل منها فدخل ابوه وقال له ما هذا الشئ الاخضر ودلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط ابيه فتضارب هو واياه وحلف ابوه انه لا يمكث فى البلد وركب حماره وسار الى بلد اخرى فسار ابنه ينادى ابى سار ابى سار فحذفوا الالف من ابى وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وافادنى) بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها اخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى بلسان حاله بيسار اى بسار طعمى بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البسر او من البسارة من قولهم فى معنى ذلك

سعيد كانت مزاره * واحب طبيخ البيساره

(واما) الملوخيا فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها فى ديوانه بقوله فى هذا المعنى ابو قردان زرع فدان ملوخيا وبادنجان انهما الاسم نبات اخضر انضر واصله يا ملوخيا فاخر حرف النداء وابو قردان اول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعه فى فدانه وصلح للطبيخ طلع منه شيأ وتركه فى مكانه وذهب لبعض لشانه فجاء بعض اولاده واخذه فلما رجع لم يجده قائلا بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال ملوخى فلم يجبه بشئ فاتى بحرف النداء وقيل ان يقول ملوخى اتاه ولده واعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخى ياء وادغمت الياء فى الياء فصارت ملوخيا انتهى وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس فى الاطعمة الطف منها ولا اكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء فى منافعها كتابا جليلا واما نهى الحاكم بامر الله عنها فلميل سيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه اليها لانها كانت احب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (فى الجرن) وهو محل دريس الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقوب الذى يدق فيه البن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه فى هذا المحل على بعضه كالكرم وصار ياخذ من حواليه شيأ بعد شئ ويدرسه بالنورج وهذا الماخوذ يقال له عند الفلاح دمية وقيل اصل الجرن الجرم بالميم بدل النون ماخوذ من جرم اللحم وهو اخذه بالسكين من على العظم ابدلت الميم نونا لقربها فى المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح او الفول

او ما التجى اليه من الجوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ
على الجرم الذى يحمل من الخوص وقوله (جا الوا) بالتخفيف اى جاء اليه والضمير راجع للبيسار
اى من رآى البيسار جاء اليه وهو فى الجرة يدرس القمح وهو راكب النورج او وهو يجرى
لانه يكون فى هذه الحالة فى غاية التعب والجوع ولهذا قال (يدعس) اى يأكل بجرم
وعجلة من غير تأنى فى المضغ والبلع والمدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى
ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقم وتطويل
المضغ وفى المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك فى اكلتك ان شاء الله تعالى
وهى ان الناظم نسب المجئ للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى
ذلك فما الحكم (الجواب العشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف اى جاء به
رجل حامله حتى اوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا اى جاء بها الملاح وكما
تقول جاءنى متردد لبن وطاجن مشى وصحن عدس وكشك مثلا فعلى هذا
الاشكال فى كلام الناظم وقوله (ولوكان) اى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو
الناظم مريض (القلنج ضعيف) واصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اى سقيم
والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى فى الاعضاء فتكب الانسان عند هيجانها
وتمنع الشم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة
عند ملاقاة الحر الشديدة والانتباه من النوم وعلاجه اكل الصبر الاخضر على
الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان
العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح السارية ويجود لله
وعلاجه ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وقلفل وزنجبيل يابس يجزلو
حلتيت وقدر الجميع سكر ابيض ويدق دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا
يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة
الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة خصوصا
عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره
وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولوكان عليلا
بمرض القولنج ولوكان فى اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة
الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه اذية بالغة
(فان قيل) لاى شئ ذكر هذا الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له
مع انه من اهل الريف وما اشتغاله باسمه (الجواب العشروى) انه انما ذكره لان المرض
تكون منه ارياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيسار يصير صاحب
الارياح مبتلا بالنافخ وسيما اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فتملأ البطن

ازياحا ويكثر فيها الفساد والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه
ولو كان يحصل له هذا الامر او يموت في الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه
من بعض الاطباء وهو يصفه او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من
القوق او القوبقة وهي طائر قدر الحمامة كبير الراس ويقال لها البومة
تاوي المكان الخرب وفي المثل (اتبع البوم يؤديك الخراب) وقد يشبه
الشيب بياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى
قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

ايا بومة قد عششت فوق هامتي * على الرأس مني حين طار غرابها
رايت ذهاب العمر مني فزرتني * وماواك من كل الديار خرابها

(ونذكر البومة) التي تاوي الخراب تذكرة ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته
ظلما فاحشا وكان له وزير فشكا الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد ان يحتال
عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه
خارج المدينة الى ان مرا على اماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال
للوزير ما احسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك اتدري
ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها
فقال يا ملك هذا عاشق لها وموصوف بحبها ويقول لها يا سيدة الطيور ويحبه
الاحباب مرادي وصالك والتقرب اليك في الحلال فقالت له لا تقدر على
صداقي ولو اشغفك حبي واشتياقي فقال لها وما صداقك فقالت عشر مداين
خراب فقال لها البشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذي
لك مائة مدينة خراب فغطن الملك لكلام الوزير وعلم انه في غفلة عن الرعية
وانه في ظلم وبلية وانه نصحه وارشده بالعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله
خيرا ثم انه اظهر العدل في الرعية وازال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدم من وقتهم
وارتاح الناس من تعبهم وحالتهم ثم ان الناظم اشتاق الى ما كول آخر يصنع
في الريف وغيره فقال

ص على من قشع خفنة الليلة ملانة ولو كانت بلا قلقاس ياد نديف
ش (قوله) على من قشع اي نظر بلغة الريافة يقال قشعك اي رايتك وقشعت
المحل الفلاني اي رايته ويطلق على مسك الشيء يقال قشع السحاب اي مال
او انكشف الى محل آخر (ومن العجائب) انه شخصا سمع هذه اللفظة من
طائر في بعض البساتين بنواحي الشام وذلك انه دخل يوما ينفرج في
بستان وياكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول

شغلته فشغلك دوح فخرج هاربا وظن ان صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما العجلة فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهيه ولا تخش من احد هذا طائر وليس بانسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وانا متوجه الى الحجر فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا فى غيط قمح يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الاول وسمعه كل من فى السفينة (وذكر الحلبى) فى السيرة النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة السجدة واذا سجد قال سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى (ومن العجائب) انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على راس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله (بحفنه) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المصلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع ايضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طعمه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف واما البليلة المذكورة فى النظم فان اهل الريف يصنعونها طعاما وهوانهم يضعوا القمح فى البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى ان يستوى فياخذونه وياكلونه بخبز الاذرا والشعير وياكلونه منه بغير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه الشخص بالكف ويبلع ويقلون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء فى حال صلقها اولرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرخى الاكمام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة او عويلة ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للحفنة (ولوكانت) البليلة التى هى الحفنة (بلا قلقاس) اى فلا حاجة له به انما مراده شئ يسد الجوع ويقال له طعام والقلقاس من ماكولات فصل الشتاء وهو الذى ما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس يناسب برودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا أكل باللحم الضانى واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طعمه لجوده الرؤس الاتانى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه اصابع الادمى لان ذلك كله سريع الاستواء

وارداه الاحمر لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا اكل القلقاس مشويا منع الم الكبد وسكن ضربان البواسير وكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة (فائدة) اربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهى القلقاس والقشطة والقصب والقسطل وسمى قلقاسا لاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس اى اليابس لانه اذا قلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو مركب من فعلين ماض وامر قال بعضهم

فان سالوك عن قلبى وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

ثم ان الناظم لما اشتاق للقصعة ملانة من اى طعام كان فقال

ص على من جثو قصعة وهو بحرث * ويقعد بحرف الحنك تحريف

ش (قوله على من جثو) اصله جاء ته (قصعة) اى جاء بها واحد من الناس الى نفسه كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره واما الذى على شكل الحوض فيقال له ملسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس ياكل منها يقصع ظهره اى ينحنى ويأكل فيكون من باب تسمية الشئ باسم صفة الآكل منه اومن قصع القملة والبراغيث (وقوله وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم وجريا على لغة الريف وقوله (بحرث) على وزن بيضرط فيهما بيقين اى بوقت الحرث من اى طعام كان من عدس او بيسار او غير ذلك (ويقعد) قعدت صيحان تعبانا مما قاساه من مشقة الحرث وغيره (ويحرف) اونغرف اى يكون كفه كحكم الجزء التى تجرف الشئ (للحنك) من التحنيك على وزن التحكك اوالتدكاك ويطلق على الفك الاعلا والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه ايضا يقال فتح فمه وفتح فاه (قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى)

فمى يحدث عن سرى فما نطقت * سرائر القلب لا من حديث فمى

وقوله (تحريف) اصله بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروى اى يجرف للحنك الذى هو فمه تجريفا زائدا متتابعا بسرعة وبعجلة حتى يكتفى ويشبع الشبع المفرط لما ناله من الم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضى مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره (ثم ان الناظم) لما اشتهى ماكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من ماكول اهل الريف (فقال)

ص على من دعس بالعزم فى المش بالبصل * ولو كان بالكرات كان ضريف

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) اى بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد اى قوة زائدة (فى المش) اى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته

لان هذا غالب ماكول اهل الريف فى الغداء وربما اكلوه فى العشاء ايضا فان الشخص
منهم يأكل المترد للمش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر او الناشف ويأكل حتى
تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط
او يحرث او يدرس ، والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه
الليمون خصوصا بالبصل المخروط فانه الذ من اكله بغيره وبعضهم يأكله بالكراث
ابو شوشة فيكون اقوى فى جميع الارياح خصوصا اذا كان فى دويرة ضيقة
فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها (والمش) على اقسام
مش حصير وتقدم معناه ومش نجيرة وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة
ولذة ويقال له مش حابن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره
ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم
آخر يقول له (دم اهلم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعتري
الخيل والحمير يقال له (جاك المشش) اى ابلاك الله به والاول الذى هو
المش الحصير ينفع من الجرب شربا والثانى ينفع السدد ويقوى المعدة والثالث
ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير او انه مشتق من المشى لانه اذا اصيب على الارض
صار يمشى عليها ان ليس فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يمنع البلغم الا انه
يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد ارياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث
النسيان ويفسد العقل (واما منافعه) فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير
المياه ويفتح الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق
وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك
واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس والاكتحال
بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولو كان بالكراث كان ضرثيف)
اى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا انه مثل البصل فى ظلمة البصر وتولد الارياح
كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج واكل
البصل والثوم والكراث نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته (فائدة)
رأيت فى بعض الكتب ان جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة
والسلام الا الكراث (واما بصل) العنصل فله خواص جيدة مذكورة فى
الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا ان الثعلب اذا خاف
على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منها ويضعها على باب جحره فاذا رآها
الذئب او شمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له فسبحان من اظهر هذه

الحكمة

الحكمة وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ
جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الظرافة بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل
وان كان اقوى ارايحا فانه اعظم شهوة والذ اكلا فلا بأس به اذا احضر فيكون
هو المراد (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ من الالبان يشربه (فقال)

ص على من شرب مترد ملان مطنبر * من اللبن الحامض برف زفيف

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل
الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا
لا ما وضعه الانسان فى فمه واخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة
بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر اصغر من التالية وهو غالب
اوانى الرياف خصوصا فى اعراسهم واصله مركب من فعلين مات وردّ لانه لما عمل
مترد وهو على وزن مقعد لا مسند فتمنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه
ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز
فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل بمدينة
تسمى ماتريد التى ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملان)
اى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما
استقله الانسان ولم يقتنع برؤيته فتمنى ان يكون ملانا وقوله (مطنبر) على وزن
مزنبر او مطرطر يقال كس مزنبر وزب مطرطر اى عالى عن حوافيه لشدة
حموضته ويبسه يقال فلان بطنه مطنبر اى منفوخ ومات والطنبر اى انتفخ
كما يقال دم يطنبر بطنك مثلا اى تموت وتنتفخ ويقال للشد الجارى المحول
بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا
اللفظ لكونه اذا لفه الانسان على راسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما يعلو اللبن
الحامض عن حوافى المترد فهو مشتق من الطنبرة وهى التحليك للاولاد الصغار
(قال الشاعر) اذا كنت الاتى وطبعك رقّ طنبر برقة واعتبر بالمشوق
(وواصل) هذا الكلام ان شخصا من العشاق اخذ ولدا واراد ان يحك له فى لوح العيار
فذكر مغانات الولد وشنق الرجل فحصل له كلام كثير لم يحضرنى منه غير هذا المطلع او انه
من الطنبورة على وزن العصفورة (قال الشاعر)

ابا عصفورة البستان كم ذا تنبشى * بايديك ورجليك ما فى الارض شى

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب فلاجل هذا
قال اشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد على وخصوصا اذا كان فى شدة الحر
فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته معتدلة فانه بارد رطب

وانما اذا خرج عن الحد فى الحموضة فيضر وكلام الناظم يدل على انه انما اشتهى ما خرج عن
حد الحموضة بدليل قوله الآتى يرف رفيف واجود الالبان لبن البقر لانه موافق
لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) اى صار من الحموضة الشديدة يرف
كما يرف جناح الطائر بمعنى انه يسمع له غليان وبقبقة تحاكى رف الجناح ويرف على
وزن يسف او يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق فى نظائره وهو مشتق
من رف الخشب الذى يعمل فى البيوت او من الرفرافة التى يعلونها قبل رمضان او لنحو
شعبان من الدجاج او من الاوز وغير ذلك (ثم ان الناظم) تمنى شيأ آخر تستعمله اهل
القرى القريبة من البحر الملح او من البحائر المالحة ونحوها فقال

س على من جوامز الحلول الدادرو * ويعزم على اهل البلد ويضيف
ش قوله (على من جوق) اى جاء ته بواسطة وحضرت اليه ام الحلول وهى حيوان
يكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح او
جوانب البحار المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه
وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المنى
او المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحائر او القواقع ويضعون عليه الملح والخل
والليمون ويأكلونه وربما اخرجوه وهو طرى ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح
انواع اكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها
والطبائع السليمة تمجه وتأباه وتعافه الانفس واما مبانغ اهل الريف فلا تنطل البنابها
فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع فى نفوسهم
الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن ان يأكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا
عن اكله وكنيته بام الحلول لتواتر الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله
(الدادرو) اى دار الناظم بمعنى انه لا يتعب فى مجيئها بصيد ولا شراء بل يجيء بها
فى داره اتى بها على سبيل الهدية والصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اى
يجمعهم لهذا الماكول النفيس الذى يشبه عف الكلاب ويضيفهم فى داره اى
يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان اى عزم فى نيته وجزم فى يقينه انه يأخذه
ويكرمه او عزمه بمعنى اذن له ان يأتى الى داره ويكرمه بطعام او غيره (ويضيف)
معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضيافة فيكون قد جزم
بالنية او لا على ان هذا الشخص لا بد من حضوره وانه يضاف اليه اى ينتقل الى المحل
الذى يريد اكرامه فيه او المعنى واحد فيكون من اضافة الشئ الى مرادفه ومصدره
ضاف يضيف ضيافة او ضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى
انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين

فيفصله

فمفصله عن الاضافة قال الشاعر كانى تنوين وانت اضافة فحيث ترانى لا تحل مكانيا
فالمراد المعنى القشرى لا عن البحث الهبالى ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شيء آخر فقال

ص انا ان شفت عندى يوم طاجن مشكشك * فهذاك يوم البسط والتقصيف

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لاغيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى او من الشيافة
بمعنى رايت (عندى يوم) فى المنزل او فى المحل الذى انا فيه او الغيط او الجرن مثلا
(طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير
وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن لانه
مشتق من التطجين او من الطجانة او من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالغاز المعمى بمعنى
ان انسانا وطئ جنا اى اناس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل
ومفعول والفاعل محذوف تقديره انت اى طأ انت جنا ومثله طافية اى طأ نفرا
من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم فى اسم جماد خذ فاغ
واملاه ماء ومن النظم قولى فى اسم شحاته (سلب لناس دع لا والف من نعل شح
قلت يدعيه كلا معناك بشرح) ولم ار فى المعمى ارق من قول بعضهم فى اسم احمد
ودا كعة فى ظل بان تعلقت بلؤلؤة نطت بمنقار طائر وقوله (مشكشك) على وزن
محكوك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو صلوح الفسيخ ياكلون لحمه
وياخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا
ويضيفون عليها شيأ يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى
و ياكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيأ من الكسب المذاب بالماء يجعلونه
بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم كانه خاروف مشوى
ولهذا قال (فهذاك) بالدال المهملة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا
المعنى مواليا للكوردة يابنى على الخدين ياهادالك والى بلادى بعشقك آه لوا بلالك
وحق من سبحت لوالاملاك لومات لى كل يوم اخين ما اسلاك وقوله (يوم) اى
فهذا اليوم الذى ياتينى فيه الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض اى
بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه
وسد الجوعة وسرور اهل المنزل او الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الخ قال الشاعر
ان من احب اوقاتى حين اكون مبسوطا بذاتى والتقصيف عطفا على البسط
مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصيف بتشديد الصاد المهملة اى
مسرور او من ماش مشية الجلاء مقصوم بسير وسكون والخى طرافى البردة
تنجر على الارض او اثر البسل اليوم قميصا جديدا او ارخى فوقه البردة
وهو اليوم قصيف الكفر بمعنى ان ما هناك احد فى الكفر اسلب منه

ولا اعبق اوانه مشتق من قصف العود وهو كسره اومن قولهم قصفر يحك
اوفلان جوقصفر مثلا (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا
وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب الفشروى)
ان يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا اختلطا معا ركبوا
اسمه من مجموع الاسمين مع تغير الحركات وقالوا مشكشك اوانه ماخوذ من شكشكة
المرأة انه يعود او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله اومن قولهم شكشكه
بالابرة اوانه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه اولا
لما طبخه شمه فقال ماشم هذا فقال بعضهم شم كشكا اى شم طعاما رائحته
فى الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوها علما
وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزما لكافين فافهم المقال
عن هذا الهبال ثم ان الناظم اشتهى شيا اخر من الخضراوات يطبخ ويؤكل عنده اوانه وهو
الطيب ماكول اهل الريف فقال

ص متى انضر الخبيز فى الدار عندنا * واندف منها بالعويش بذيعب

ش قوله (متى) اى احزم وانوى انى متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة
الريفية وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى اى انظر بعينى لاباذنى ولا بفمى لان النظر
خاص بالعين قال الشاعر عينى نظرت وافنى من عينى ما يقتلنى الا سواد العين
(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة ويجمع الخبيز على خبوز وخبايز وخبازين
وخبازات وهكذا من هذه الجموع الفشروية وثانيه خبيزة وهى المرادة بقول الناظم
لرجوع الضمير اليها كما سياتى فى قوله واندف منها وهى مشتقة من الخبز لان ورقها
فى التدوير تشبه اقراص الخبز وهى تنبت فى اطراف الزرع من كثرة الامطار
وفى الاراضى المنخفضة وغيرها واجودها ما كان ساقه طويلا وورقه عريضا
شديد الخضرة وهو النابت فى جوانب الزرع او النابت بالبذر وارداها قصيرة
الساق المائل ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهى التى تطلع
وتنبت فى المقابر وفى منخفض الارض المسبخة وهى باردة رطبة تلين الطبيعة
وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخية اذا
عملت بالشروط الآتية ثم ان اهل الريف ياخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية
ويضعون عليه الكزبرة الخضرا ويقلون لها بالبصل والشيرج ويفتون فيها
الخبز الشعير وياكلونها وهى غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفون لها
شيا ما عدا البصل والشيرج وشئ يسيرا من الكزبرة كما تقدم فهى غالب ماكولهم
فى زمن الشتاء كما تقدم واهل بلاد البحر يطبخونها بالاوز والدجاج

وغيره واهل المدن يطبخونها بلحم الضأن والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن
البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة
لذيذة الطعم واما فعل اهل الريافة لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك اهل بلاد
البحر فانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والشعير
لا غيره وعلى كل حال فهى ارق من طعام اهل الريافة المتقدم ذكره والذى ماكولها فى المدن
لانهم يتكلفون فى تبصيرها فى الماكل لذة ولها خفة فى الهضم ومنفعة عظيمة وقال الوافى
الطعام كله (كلف تجلد) قيل لما نزل السلطان قايتباى بدمياط واجتمع بالعينى الذى
بنى العينية وهى مسجد على سمت مساجد الملوك فعمل السلطان ضيافة عظيمة وخصه
بصحن من الذهب فيه دجاجتان ووضعها بين يديه فاكل السلطان منهما فلم ير طول عمره
الذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندى فقال له
هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فاهداها له فلما اتى بها الى مصر امرها
ان تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما لذة مثل اللتين اكلهما فى دمياط
فعاتبها الملك فقالت له يا سيدى الذى صنع لك الدجاجتين طبخهما فى اناء من ذهب وكان
ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاهما بحرارات كثيرة مع
المسك والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى
وقوله (وفى الدار عندنا) اى فى دار الناظم لا غيره لانه هو الذى تمناه ولهذا قال
عندنا اى فى محلنا لا فى محل غيرنا لاجل ان تاكل منه العيال ويتيسر وابوجوده وسميت الدار
دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن واما دور
بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس وربما يكون فيها الوحل والحلفة ايضا او لان الشخص
يدور ويرجع اليها او انها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها اولاد الريافة
بعد الغروب يقعد واحد منهم على قرافيصير ويقعد والآخر يجعل نعلهم فى طرف ويدور
الاولاد حولها يضربونها فاذا امسك واحدا منهما ولدا احلسه مكانه فيتعلمون من ذلك
خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله (واندفعنها) اى من الجميز
ومعناه يا خذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا اخذه بالقوس
وحشاه فى الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف متردين من العدس او من
البيسار اى اكلهما بسرعة او انه مشتق من احمد الدنف من شطار مصر الذين
تقدموا وسيرته مشهورة عند المحرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى
بذلك لان به قيام المعيشة كما قال الشاعر لا تركنن الى الثياب لفاخر واذكر عظامك حين تمسى ناخرا
واذا رايت زخارف الدنيا فقل لهم ان العيش عيش الآخرة) ولذلك قال الامام الشافعى
رضى الله عنه فيما حكاه الذهبى فى ميزانه والدميرى فى حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان الكلاب لتهدى فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم ابدا
فانج بنفسك واستأنس بوحدتها * تبقى سعيدا اذا ما عشت منفردا

وقال آخر يكفى الذين تقدموا شرفا على * من بعدهم يمشى على الغبراء
انى لاحيى اذ أمر بذكرهم * واموت من نظرى الى الاحياء

او انه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العيش وكما تسميته خبزا فهو من
الخبز وهو التضجيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز اضلاعه اى صار الضرب
فوقها مثل نضج الخبز اوكسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون خبز اضلاعه
اى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون
خبز اضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله (نذيف) على وزن نظيف وهو الذى
ينتف ذقنه لاجل الحكات او كان به مرض الابنة اعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى
الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن قال الشاعر

فانه مرض كالنار مشتعلة * يغلى كغلى الدود فى العفن

واكبر دواء لها ما ذكره الشعرانى نفعنا الله به ان يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا
فانه يبرأ باذن الله تعالى واصله نذفا فصغر لاجل الروى اى ندف من الخبز ندفا
كثيرا حتى اشبع شبعا مفرطا ليس بعده جوع بقية اليوم وبقية الليلة ثم انتقل من
الخبز الى الباقلا الخضرا فقال

ص متى انظر الفول المشوى بفرننا * ولفو بقشره والعروق لفيف

ش قوله (متى انظر) بمعنى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا
اتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب ان يكون هذا (الفول
المشوى) تصغير مشوى على وزن عطوى او خربوى وخرنوى فيهما بيقين
التصغير والوزن (بفرننا) لا بفرن غيرنا (ولفو) اصله والفه بالهمز ترك لضرورة
النظم من اللقف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تامل ولا تفتش فى الماكول
ولهذا قال (بقشره) اى اكله من غير نزع قشره من فرحتى به ومن شدة الجوع (والعروق)
معطوف على القشر اى والفه وعروقه ايضا (لفيف) اى لفا اذا ندا بحرقة قوية وشهوة بهيمية
حتى اكنوعه ولا انظر الى خشونته بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا افعل كما يفعله
غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشره ويأكل وانما
لشدة اشتياقى اليه وكثرة الجوع والقل والعترة الفقر بجميع ما عليه (فائدة)
الفول الاخضر قيل بشيء بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر
وانفع اكله حارا ومشويا ونزع من قشوره جميعها واكله بالسكر وفى بعض

كتب

كتب الطب ان اكل الباقلا اربعين يوما واصابه مرض الجذام فلا يخلو من الانفسه ومتى اكلت المرأة الباقلا اربعين يوما لم تحبل ابدا وقد عدوه من موانع الحمل ثم انه اشتهى شيأ مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص متى انضر آن اطحن الطحين وحبتو ويبطط لي منو فطير رهيف

ش (قوله) متى انضر تقدم معناه (ان اطحن) احد الطحانين (الطحين) الذي ونعتبر في الطاحون وربت اليه ورايته (وحبتو) اي حبتو بعد ان اعطت الطحان جرته الى منزلي (ويبطط) على وزن ويضرط وبرطط فيها بيقين المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير يرعى في الدور يشبه الاوز الا انه صغير صنه وارجله قصيرة جدا او من البطيطة او من البطة التي يوضع فيها السمن وغيره او هو من المطلقة لا كلام (مسئلة هبالية) لاي شئ سمي مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه (قلنا الجواب الفشروي) انه كان اولا قمحا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى الحالة الاخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرأ عليه من الوصف الذي قام به ونقله من حال الى حال فكان اولا معروفا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتا وطحنته الارض ومضى امره الى ان يبعث فانتجه الجواب عن هذه الابحاث الفشروية وفي بعض نسخ المتن ان اطحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذي طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون في الدار والكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طاحون ياخذ ثوره وعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا ببلاد الكفور والقرى الصغيرة ولا شك ان الناظم منهم كما تقدم في ذكر قريته فلهذا قال ان اطحنت الطحين وحبتو ويبطط اي يعجن بالماء او شئ من اللبن وياخذ القطعة العجين واضعها على خرقة او وردة الصحان او قرص سلة مثلا واخبطها بالكف حتى ترق وناخذ غيرها فيحصل لي (منو) اي من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به او من الفطرة او من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير اي طري رقيق وفي كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر اكله فيفهم من الكلام انه لما يبطط الفطير يخبزه في الفرن او في الجورة التي يصنعونها في الزريبة ويحطون عليها الزبل وفي بعض الاحيان الجلة ايضا واكل منه حتى اكتفى ثم ان الناظم اشتهى ماكولا آخر فقال

ص ايا مطيب الجلبان والعدس اذا استوى * وشرشر بصل حولو ومت نغيف

ش قوله (ايا مطيب) في الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الحدبان لو الخرفان

مشتق من جلبة المبوت اوان الذى يزرع سقاه فى الاصل على ثور جلب ومن جلبة العبد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية متشابك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه اهل الريف وياكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس واكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتاكل منه البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى وما الطيب لعدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه انفع من حبه واكله يرق القلب وفى زهر الاكمام ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فاوحى الله اليه ان مرهم ياكلوا العدس فانه يرق قلوبهم وفى الحديث عليكم بالعدس فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا والاكثار من اكله يخاف منه الضرر وفى القاموس الاكثار منه يرث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية وقال بعض الاطباء يحلله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو اخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بحبته ولاهل الريف يصنعونه فى البوشة الفخار ويحطونه فى محماة الفرن او فى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمفراك ويقلون له بما تيسر من الشيرج او الزيت الحار والبصل مثل البيسار واما اهل المدن فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن الالية والسمن الخالص والحارات خصوصا ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضأن ولهذا ياتون به فى راس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو لذيذ طيب وبلاد البحر يطبخونه بالارز ثخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغلية بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى اخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما اكلوه بالعسل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها ايضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها اشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء فى اسمها وفى وصفين منها فقال بسلة باردة يابسة ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال * تعشى تغثى تنسى * فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تغثى يابسة تنسى ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج العنساء ايضا فهو لفظ مشترك بين العنساء وشرش البصل ولهذا يقال فى (الحيك

شرش)

شرش) مثلا وهو من الالفاظ التى تقرأ طردا وعكسا اولها مثل آخرها وقوله (حولو)
اى حول العدس بعد وضعه معروفا فى المترد او الشالية ويكون البصل موضوعا
حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعوا البصل حول العدس
والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصله يقطم منها مثل الخيارة
واما اهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة اربع فلقات ويضعونها حول
السفره ولكل شئ مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل
فى الاكل وقوله * وميت رغيف) واصله مائة سهله لضرورة النظم اى من خبز الشعير وذكر
هذا العدد لاجل ما يشتق عليه من الاكل او ربما يحرم على احد بالاكل مثلا او يأتى
احد ضيف على تغفله فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للاكل منها كما نشد من التفرق
وكذلك المشرش البصل وهى الحزمة التى تملأ الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل
منها ولتفرقتها ان شاركه احد ثم ان الناظم استطرد شيئا آخر اشتهى حضوره
فقال

ص يا حسن الخبز المقمر على الندى * وفوقه من السمن سحاب نظيف

ش (قوله) يا ناس ما (احسن) اى ما اظرف والطف والذ ما كول (الخبز)
النظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور عند
نزول الندى وهو الماء الذى ينزل وقت الصبح الى طلوع الشمس سمى بذلك لانه يندى
الارض اى يبلها بالشئ خفيفا وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عظيمة ويشبه
به السخاء والكرم ويقال فلان كفه الندى وربما فلان ما عنده ندى مثلا والندى
قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيدا والحكم المشرف رحمه الله تعالى

ما لت الندى والجود من عهد آدم * لقد عشتما دهرا ومتما احيانا
فقالا نعم متنا زمانا وعندما * اتى زيدا والحكم احيانا الله احيانا

قال بعضهم واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لا تجوز الطهارة
منه لانه ليس من جنس الماء بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر فيلحق بالعرق
حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول ان المجربين ذكروا
ان هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر وملئت منه بيضه وقد فرغ ما فيها وسد ثقبها
او غيرها ووضعت فى الشمس متى احست بالحراره صعدت الى السما وهذا السمو
والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا ايضا
ان الندى ليس بماء بحر ولا برد ولا مطر والله تعالى اعلم * قال صاحب كتاب الملتقطات
ومنهم من يجوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس ذلك الدابة انتهى
وكان من جملة محاظى الرشيد جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل تكلم فامتحنها الرشيد بان قال لها والله لم تذكرى هذا الخادم قط فكان اذا قرأت

الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالا للامر بل التحقيق بها ذلك فتبيه لها في مخاطبتها والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى * فالفطور في هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة * وفي كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم المبدن * ورايت في بعض كتب الطب ان المعدة يعلوها شئ يشبه الشعر فاذا فطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر مثل الموسى فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر انفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقو) اى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه في الاناء (من السرسوب على وزن الجعبوب وهو اللبن يوضع فيه شيئا يسيرا من اللبن الذى ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه سمارا يأخذونه ويضعونه في طاجن فخار احمر ويضعون عليه شئ من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا ارادوا السرسوب يضعون اللبن في الدست ويصبون عليه من هذا اللبن الذى يسمونه السمار ويفورونه على النار فينعقد ويقال له المقور ويقال له سرسوب ويفتون فيه الخبز المقمر مع الجبرة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضا في طاجن ويضعونه في الفرن بعد وضع السمار فيه ويسمونه لية بخفض اللام والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن النعاج واجودها لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بألبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء واجودها ما شرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة في الباه وسمى اللبأ لباء لانه مشتق من اللبن او من اللبوة او من قولهم لبيك واحد بمنزلة مثلا او من لب الجدى الصغير امه اذا ازاد شربها قال الشاعر

فانت كالجدى لما ان يلبيه وكالبجى المطوق اسرعا الى اللبن

قوله حلب اى قدر حلب وهو اسم لما يملأ الحلاب والمحلبة او انه مشتق من حلب الرجل بيده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز ما يحمله من لبن السرسوب المحلوب حلبا نضيف * اصله نظيفا ذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم اى ليس فيه شئ يدنسه من زجلة او غبار يحصل ونحو ذلك كانهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك حلمة وغيرها من انواع النجاسات بل ربما لطخوا درة البقرة او الجاموسة بجلة فتقلب اللبن سريعا فطلب الناظم ان يكون هذا السرسوب طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كان معفوا عنها ثم تبين كيفية الاكل منه فقال

ص واقعد على ركبه ونص وشمر * عن الكف بايدى ما اخاف تحيف

ش قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان

الشديد

الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبه ونص) وهي قعدة الفوى الشديد الذي يريد دائما الاكل الكثير او الذي عنده شره في الطعام مثلا واما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بأن يجلس الانسان على ركبتين ولا يلتفت يمينا ولا يسارا ويأكل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا كما اتفق ان شخصا قال لآخر وهما في وليمة يأكلان يا فلان اقدم لك هذا الصحن فقال انا ايدي تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ الباض في مكة كلام الكورجم فخجل وقام من غير اكل وللاكل آداب مذكورة في بعض الكتب وقوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) اي كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره اي اراد عطفة يبول فيها والتشمير المعنوي هو الكف عن الذنوب قال الشاعر

شمر فانك ماضي العزم شمير * ولا يهولك اهوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسي وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذي يصنعه اولاد الارياف من الصوف ويضعونه في اكتافهم يرفعون به اكمامهم وله هداب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعلمه ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاخضر والاحمر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالبا اولاد الفلاحين يجعلونه كاعقصة النساء ويجعلون له عقدا اصغارا في رؤس الهداديب ويزينونه بها وقوله (بايدي) اصله بايدي لا بيد غيري فلا احتاج الى احد غيري يشمر لي بل انا اتعاطى تشميره بنفسي لاجل خلو يدي عن شيء يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل على ان كمه كان طويلا حتى احتاج التشميره او ان مراده بالتشمير رفع يده وخفضها في حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما اخاف) اي واكل من هذا السرسوب ما اخاف من احد يأتيني او يمنعني عنه (مخيف) اصله مخيفا اي مخوفا يمنعني عن شهوتي بل لا ابالي اذا حصل لي وظفرت به من احد ابدا ولا يعتريني خوف ولا فزع حتى اكتفي واشبع منه الشبع المفرط ولا اخشى من تهمة ولا غيرها ثم انه اشتاق ماكولا آخر الذ مأكول اهل الريف فقال

ص على من تشيع روحه حدا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من ثقيل وخفيف

ش قوله (على من تشيع روحه) اي على من تطير روحه اي ذاته لا ذات غيره (حدا الرز باللبن) اي حذاء بالذال المعجمة اي محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز ايضا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما الذه واطيبه اذا وضع عليه السمن البقري في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالجورة الا انه بالسمن

اطيب واشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرا كان جيدا وكلما قل ارزه كان اجود واردأه الكثير
من خلط الماء والارز كما تفعله اهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا يقطعون منه اللقمة
مثل ما يقطع المتخصص من الطين اليابس واما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص
من غير ماء ويجعلون فيه شيئا يسيرا من الارز حكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق
فيصير حلو الدنيا وهذا النوع اجود طعاما مع طيبه وطبيخ اللبن على كل حال اطيب من
العدس والبيسار وما شابههما قال الشاعر

طبيخ اللبن احسن من الهبكريه * والعدس والبيسار يجيبوا الحواجر

واما النوع الذى تمناه الناظم فهو الذى تقدم ذكره وهو الثخين الذى يشبه الطين
في يبسه لانه المشهور عنده في بلاده واما بلاد البحر فيفعلونه مائعا وسطا لا ثخين
ولا مائع الا انهم في الغالب يضعون عليه شيئا من الماء واما الناظم فلا يعرف الا الذى
في بلده ولهذا قال * ويقطع * والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس اى يقطع
بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى
انه دخل جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاليع لانها تبلع الماء فى جوفها والقطع هو
فصل الشيء من الشيء وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا من مدة بمعنى انه هجره وبعد عنه
وقوله (من ثقيل) اى من قطع وافية عن اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف
وتدمع العين من كبرها كما ذكرت ذلك في خطبة كنت الفتها سابقا في المأكولات وهي هذه
الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق * الذى فرق بين الفرج والضيق * وامر بالحج الى بيته
العتيق * وجعل السمن البقري للعسل النحل رفيق * احمده حمد من نجاه من الجوع ودسيسه
* واغاثه الله بقصعة من البسيسه * بالفطير الرقيق * فملأ منها بطنه * واحسن بالله
ظنه * ونام على راحة من الله وتوفيق * واشكره شكر عبد تقلع عن الحوامض والمش
العتيق * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من الضيق *
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق *
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما
كثيرا * ايها الناس ما لى اراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون * وعن الارز المفلفل باللحم
الضاني تاركون * وعن البقلاوة في الصوانى معرضون * وعن الاوز السمين والدجاج المحمر الا
لاهون * فاهذا يا اخوانى الاحوال المفلسين * وافعال الفقراء المقلون فجدوا رحمكم الله
في تحصيل الدراهم لتغنموا منها المآكل النفيسه * والمطاعم اللذيذه * وقد قال الامام
الشافعى رضى الله عنه لذة الدنيا ثلاث اكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم فى اللحم فمن انعم الله عليه
فليشكر ومن لم يجده فليصبر وعليكم بالارز باللبن فانه طعام حميد حسن وصفا ابرك الامكنه
* خصوصا عند الفلاح * اذا جاء بحلب بقرته * وانت زوجته بالدست وعلقته * وصبت
فيه اللبن وقادت عليه وحركته * بالارز الابيض وطبخته * وفي الصحن تغرفه قدمته بالشوكة

الكبير وقعد وثنى ركبته فعند ذلك يا اخوانى صفت الاوانى فلاذ كل اثنا بانسان فلا
الايدى تقطع * واحنكم تبلع وزرازيم تفرقع وحلق يقرقع والعين من كبر اللقمة تدمع
والبطن لاتشبع بل تزيد اشتغالا وهى تقول جل ربنا وتعالى فاذا سبقك اخوك بلقمه
فبادر بجدع ركبته بحكم واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه المواعظ ودعوا اكل المغالظ
كالعدس والبيسا والمدمس والعوالسس بالزيت الحار والبسلم والكشك بالفول وجبن النول
المعمول فانها تورث الارياح وليس فى اكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخره كاللحم
الضانى فانه سيد طعام الدنيا والاخره وعليكم بالشراب البارد ففيه حديث وارد وحمد
الله ايها الاغنياء المتنعمون واصبروا ايها الفقراء المقلون نسأل الله ان يمن علينا
وعليكم بالاطعمة الفاخره ويرزقنا واياكم الراحة فى الدنيا والاخره وان يجعلنا واياكم
من الاكلين المتنعمين وينجينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وان يغفر لنا ولكم
ولجميع المسلمين آمين فاستغفروه ويغفر لكم يا فوز المستغفرين روى عن سلب
بن ملهب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الانزاح انه قال كان رجل من العرب قام
من منامه ولديذ احلامه واكل فى فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار
فاكل اربعين دجاجة محشيه باللحم الضانى محمره بالسمن البقرى وشرب زقين من خمر
ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعانا سكرانا ريان الحمد لله مزيل الحزن ومزيل الارز
باللبن واشهد ان اللحم الضانى سيد الاطعمه ومصلح البدن واعلموا ان القشطه
لا تترك زلابية المهلبيه احسن وابرك فتهنيئوا لاكلكم وشربكم واعلموا انكم غدا بين
يدى الله موقوفون وباعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون اللهم وارض عن الاربعة الاحبا الذين ذكرهم الله
تعالى فى القرآن التين والزيتون والخوخ والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين
من العشرة الاطعمة المفتخره الماورديه والمهلبيه والشعيريه بالزغاليل المربيه والارز
المفلفل باللحم الضانى المحشى المحمر والكنافة المبلله بالسمن والعسل واللوز والسكر
والقطايف الغارقه بالسمن والعسل والقرع المحشى باللحم والبصل والبقلاوة الموصوفه
وخرفان الغنم المعلوفه والقرمزيه واليخنى السمين متعنا الله واياكم بهم اجمعين
اللهم وادم المنصره والتأييد والثبات واجمع الشمل بعد الشتات ببقاء السلطان السكر
النبات ابن القنانى من اصلاب السكر الملوانى اللهم وايده بارماح القصب وسيف
الرطب وبعنا قيد العنب واجمعنا عليهم من اول النهار وفى وسطه وآخره ولا تضيع
وانصر عساكره فى الدنيا تنتفع به يا رب العالمين اللهم واهلك الظالم ثم الظالم العدس
والبسلة والبيسار عباد الله من ازدحم العتوب اذ تقاصرت عليه فلياكل اللوز
بالسكر بين والجديد وتفكروا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تقصروا
وتعاصوا وكونوا مع عباد الله اخوانا ان الله يامركم باكل الحلال ما تشتهى

العقول وينهاكم عن اكل الحرام ولو من اطيب المأكول. والبغلة ترفصكم لعلكم تنقلبون او تشد قلبون وقوله (وخفيف) اي ويأكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول القائل

كلوا اكلة من عاش عاش بخيره * ومن مات يلقى الله وهو بطين

فينبغي للانسان ان يجعل البطن ثلاثة اثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الاكل ولا يفرط في الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما احسن ما جمعه بعضهم في قوله

ارطاب توت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور

في بابه اقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور

ميز بحقك تلق المسكون في خجل * مصفر الوجه لما جاءها نسرر

سل من كمثرى عن الاسماء هل صلحت * تنبيك عن خوخها بالشم ميزور

هل ما ءطوبة لم ارو بت لوالقه * مثل الزلال فلاغنا ج تا خير

كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى في الرعي امشير

في برمهات ترى الالبان نافعة * ممن الكاديز في ذا الشهر مشهور

برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانة الورد كل منه مأمور

بشنس تشهد ان المحل جانبه * والشهد يقضي وما في امره زور

مشمش بوئنة لما يلقي الهوى ابدا * مسكين ذا الذ قليل الجهد معذور

واصبح التين فوق الغصن ناعيه * كانه في ابيب جاء وهو مسهور

عنقود مسرى نعم فاغتنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور

هذه مطالب ما فيها مرتبة *

والحكم في هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قد عناه فقال

ص على من ملا لحفه جبينه طربه * ورا ح ورا الجاموس يرعي المنيفه

ش قوله على من ملا لحفه * اللحف شي طويل يعمل من الصوف او الشعر يلبس على الرأس لم نر ولم هنداهم تستعمله العنقا وغالب الخلابيص ويلبسون شيئا يقال له الطرطور ويلقون عليه اللحف لكونها واسعا من جهة الرأس وضيقا من اعلاه قصيرعن الطرطور وكان استعمال ذلك في قديم الزمان كثير واستعمال اللبد على اصناف شي يشبه اللحف وشي يشبه البرانيط والذين يلبسونهم يقال لهم صلحاء ومتصوفه ثم ظهرت المقاويق المقطفة وصار لها بهجة ورونق وانس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقرا المتصوفين ولهذا قال

اخفايا فلان خفية اللبد * ومن هذا قالت في تركها كلام كثير مثل قولهم

يا لبده مالك في السوق * يا لبده قلة خاروق

وسمى خفا لخفائه ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السئ الخلق فيقال هذا خف اى سئ الطبائع قال الشاعر في المعنى

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه

فلم رأيتم في الورى * تخفا رقيق الحاشيه

وهو مشتق من خف الحوت او ان الرجل الذي كان صنعه او لا كان من خفا قرية معروفة موقفها على سيدى احمد البدوى نفعنا الله به دنيا واخرى (وقوله) جبينه تصغير جبنة على وزن ابنة وهي واحدة الجبن (طرية) اى عملت في وقتها اى وقت نزولها من على الحصير التي يعملون فيها الجبن فاشتهى ان الله تعالى يمن عليه بمل خفه جبنا طريا ولو كان هدية او صدقة تصدق عليه بها احد او سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (والرزق ما ينفع لو محرما)

وقال ابو نواس رحمه الله تعالى

يقول لي العذول وليس يدرى * دع المال الحرام وكن قنوعا

اذا انا لم اجد مالا حلالا * ولم اكل حراما مت جوعا

فان قيل لاى شئ تمنى الناظم ملء خفه من الجبن مع ان الخف لا يعد لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طريه فاذا وضعه في خفه يحصل له ضرر من جهة الوجهين من الجبن والثانى ماء الجبن يبل خفه ويشوش عليه قلنا الجواب الفشروى من وجوه اما انه تمنى شيئا من الجبن بحيث لو وضع في خفه لانه لكونه خفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للادم بقية الجمعة او الشهر لكونه مفتقرا لذلك ومحتاجا اليه عجلا وذلك ما اذا اتاه شئ يسير لا يكفيه ولا يقوم باولاده او ان الكلام على حقيقته لان اهل الريف اذا اعطاهم احد شيئا من ماكول او غيره يأخذونه في اطراف بردهم واورديتهم وفي اكمامهم وعلى شدودهم التي على روسهم وكانوا في الزمان السابق يضعون الشئ في خفوفهم فانهم في الغالب كانوا يضعونها على روسهم من غير شئ يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا اخذ شيئا من السوق ولم يكن معه مقطف وصحت مثلا يضعه في خفه واما اللوث الخف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر فان خفه كان يساوى نصفا او نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرو العرق والعالب الذي هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا يؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها

فينزل الكلام على حقيقته فانضح الاشكال عن هذا المبال وقوله (وراح) اى
وسار وهو مشتق من الذى يمشى على غاية طوله وهو اربع ورقات ملصوقة ولى
على اربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن
وغيرها وقوله (ورآى) اى خلف الجاموس نوع من البقر فان اسم البقر
يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد اسود وسمى البقر بقرا لانه يبقر
الارض اى يشقها وواحده بقرة واهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك
ويقولون له انت بقره مثلا يعنى يا كثير الجنايات (مسئلة هيا ليس) لاى شىء
لم يقولون للولد الامرد يا جاموسى مع انها فى حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها
فهى فى هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداها قلنا * (الجواب العشروى)
من وجوه الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه وهما شاملة
للنوعين الثانى ان لفظة جاموسى مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد
الامرد انت يا جاموسى ربما يفهم منه انت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا
فكانه يخبره بذلك فتندفع المعيرة من الولد الامرد ولا ينتوهم ويقال ولدت
امراة جاموسى اى وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى الوجه الثالث
ان اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التجسيس يقال فلان
يتجمس فى الظلام بمعنى انه يجسس على شىء يأخذه واسم البقر مشتق من
بقر الارض اى يشقها بالمحراث فكان مثل وضع الزب فى الكس مثلا لانه يشقه
اى يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل فى استه الزب يعنى مثلا فكان مشبها بالفعل
واما التجمس فهو مشبه بمقدماته وهو الفعل اقوى من الاسم لان التجسيس زرع
والنيك حصاده فكان النيك ابلغ من التجسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد
ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال من وجه هذا المبال وقوله (يرعى النيف) اى يسوق
الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذى يرعى بنفسه فالرعى راجع للجاموس اى انه يسوق
الجاموس الى المحل الذى ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف اى وهو يرعاه اى يأكل
النيف يقال للجاموس او البقر يرعى فى المحل الفلانى بمعنى انه يأكل منه واما قولهم
الذى يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وطرده وربطه فى الغيط وبائته
وحراسته ونحو ذلك راعى فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه ان يراعيه بالشفقة
عليه والمرحمة به والنيف حشيش ينبت فى الارض بنفسه من اثار نزول المياه
على الارض واكثره فى الاراضى التى لا تزرع وهو مشتق من النيفة التى تعمل فى بلاد
المدن وهى لحم يشوى فى التنور ويؤكل وله لذة عظيمة او من المنوف التى تركب
على ارقاب الثيران وقت استعمالها فى الساقيه او المحراث وذكر الجبن ولم يذكر
المخبز والظاهر انه كان موجود عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير

اهدم فاشترى من تحفه حبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى عن الشيخ محمود عفا الله عنه ان رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه من كراهتها له تتعطيه حتى كره ولده ثم لما تملكت من عقله قالت يا انا يا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها واتى بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار اتاها بلحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد امسى فقالت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها انى لم اصل العصر لان الوقت راح لما اصلي والجى ناكله وتوجه الى المسجد وكان بعيد من دارهم فلما صلى العصر اذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كافواه القرب فجلس الولد بالمسجد الى ان صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد ودعاه الى داره فنام عنده فلما اصبح حضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة ابيه سخنت له الطاجن وقالت له لاى شئ لم تجئ فاخبرها بان فلانا عزم على فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فانى سخنته لك فقال

(انجاك بدرى الطعام اصبح بو كما جاك بدرى من الزرع ناجب)

وابوه يسمع ثم قال لما اعلف البهائم لاجل فطورهم بذلك وذهب لعلف البهائم فبركة الصلاة التى صلاها وراقته على البهائم القى الله تعالى فى قلب والده ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم معرفته بما هنالك ولا يدرى بما خبئ له ونادى والده لزوجته هات له فطيرة وقال له كل واسترح فلما اكل واستراح قال لها توجهى الى بيت اهلك بالستر وان جئت لك باحد كاشنا من كان سياقا فلا تقبليه وان قبلت السياق وجئت ففيرك فى محل الطاجن تعلمى ذلك وتعتقدينه ولا تنديه والسلام فانظر يا اخى الى من قدم علف الحيوان قبل ان ياكل وواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل لتمنى شيأ آخر من الاطعمة التى يفعلها اهل الريف فقال

ص على من قشع لقانة ام ملانه من المهيطلية اللى لها تصيف

ش قوله (على من قشع) اى نظر نظرا حقيقيا (لقانة امو) اوزو جبر ايضا واللقانة تانيث لقان على وزن شرقان ويقال لها العصرية ايضا وهى اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص اذا اراد ان يشرب منها يلق بلسانه او يغمه الماء لانه لا يقدر

على حلمها او ان الذي صنعها في الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء اجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولاله شيء سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها الامه (مالانه) لاناقصة وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشيء الذي تمناه فقال (من الهيطليه) وهي طعام تعمل من نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة في المأكل وهي اخف من الارز باللبن خصوصا ان اضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء اقل درجة منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفي كلام بعضهم لو كان الارز رجلا لكان حليما لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه او من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللي) بتشديد اللام يعني التي وهي لغة ريفية (لها ترصيف) اي من جنسها وشدة بياضها ولمعانها اي تضيء ويشتهي اكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف اي تلمع وتضيء وهي مشتقة من الرصافة بنواحي الشام (ومن اللطائف) ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهي تمشي فقال صدق ابو العتاهية ولم يذكر ما قال فهزت راسها وقالت بل صدق ابو العلاء المعري ولم تذكر هي ايضا ما قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها اخبريني ما اردته وما اراد والا اعلمت بكما امير المؤمنين فقالت لم انه عنى بقوله صدق ابو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري

وانا عنيت بقول ابي العلاء المعري قوله

أيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

فتركها وسال الرجل كما سالها فاجابه بما اجابته به وافهمته ان الدار قريبة ولكنها بجوار امير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطلوبك فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود ايضا ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من الهيطلية فقال

ص واقعد لها بالعزم في دايق الضحى * واسحب لها مصبوبة ام وطيفه

ش قوله (واقعد) اي واجلس من غير استحياء بل اقعد قعدة متمكن

من غير خوف ولا فزع ولا احد يشوش عليّ (لها) اما ان الضمير راجع
للقائة التي فيها الهيطلية ويكون قوله واقعد لها بمعنى اى اكل منها وهي فيها
فيكون اكله من الهيطلية لا نفس القائة واما ان كان الضمير راجعا
لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها اصوب وقوله (بالعزم) اى بالقوة
والشدة او انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (فى رائق الضحى) اى وقت
ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت
الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع اى نأخذ اخذا سريعا مرة بعد اخرى لان
السحب هو جر الشيء بحبل او غيره جرا سريعا فيكون سحبه يطلق على الاخذ
من غير عدد وقوله (لها مصبوبة ام وطيف) اى من الصنبوبة التى تعملها
زوجته ام وطيف ووطيف ولدها سمي بهذا اللفظ لكونه كان يضع الجلة
الموافا وقيل كان له دويرة يحط فيها الجلة طوفا بعد طوف وقيل من
طوافه حول البقرة فى صغره واما اسمه الذى سمي به عند ولادته على ما قيل
فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علما واشتهرت
امه به فصار يقال لها ام وطيف * واما المصبوبة فانها تعمل من نوعين
من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور والبلاد التى لم تزرع
الارز يصنعونها من الحنطة واهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز
ويقال للتى تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز خالصا
والفقراء يصنعونها من الدنيبة التى تخرج من الارز عند بياضه مع خلط
شيء من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم يجعلون عجينها ما تعامل عجين
الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف قرعة ناشفة او جوزة هند ناشفة
فارغة ويثقبونها ويجعلونها فى عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه
فى الفرن اقراصا على ارغفة الخبز وعندها رخاوة وطراوة فسميت بذلك
لكونها تصب على هذا الحال * واما القطايف فانها تعمل فى بلاد المدن من
الدقيق الابيض الخالص المنطف وتصب على صواني صغار يقال لها الرقع
من حديد او من نحاس الا انها صغيرة مثل القرصة وهى الذ هذه الانواع
واطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد اكلنا
منها مرارا وتلذذنا بها ونسأل الله ان يطعمها لاخواننا الفقراء ويعمهم باكلها
لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم ولا يعرفها الا الكثير وانما اشتهرت فى بلده
مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل كانت امرأة
تصنعها فى قرية مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذى
يعمل منه مقطف اى منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشيء

باسم الصفة التى تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا سمى المصبوبة ورأى الحطيئة
فقعد وياكل منها حتى يكتفى لئلا يفهم احد انه ما اراد الا النظر وهذا محال
كما قال بعضهم انظر بالعين لا ينقضى ملامه * غير مص الريق ومضغ الخال والحامد
النظر بالعين ما يشفى عليلك الآن وصلت فى بيتك خليلك واحصل الغصن لحبيبك وسيلك و
وادخل القبر ترى الشيخ كرامه الى آخر ما قال ويجرى هذا المعنى فى جميع الابيات
التى صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر
الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم انه الشاعر
التفت الى ماكول آخر فقال

ص الا يا ترى ايش حال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف

ش قوله (الا يا ترى) يريد ان يستفهم ويختبر ويسال ويتحقق عن شئ بعيد عنه
ولم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة
طويلة ولهذا قال (ايش حال) يعنى ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا
قابل صديقه بعد مدة واوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب
(بعد) وضعه فى الدست و (غلوه) اصله وغليه ابدلت الياء المثناة من
تحت واوا جريا على اللغة الريفية اى غليه بالنار يعنى هل له لذة فى الاكل
وحلاوة فى الطعم ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) اى هذا اللبن المطلوب المغلى
(بالخبز) تقدم تفسيره فى الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة
اللفظ مثل قول بعضهم ما قلت حبيبى من التحقير بل يعذب اسم الشئ بالتصغير
فلهذا قال السخين على وزن الطنين اى المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن
كثيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين
مشتق من السخونة وهى الحمى لحرارتها وسخونة الجسد اذا اعترته اعاذنا الله
منها وجعل الخبز رديف اللبن بمعنى انه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل
معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة
فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق احدهما
صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعنى السمع فكأنه
يقول لهم اخبرونى عن حال اللبن وعن اكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة
لذيذ المأكل ولتلذذ سمعى بذكره فلعلى ان اراه حقيقة واكل منه تقيا
كما قال ابو نواس الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر
فان الشاهد فى قوله وقل لى هى الخمر اى لاجل ما التذ بسماع ذكرها وتلذذ اذ نا
بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقى حاسة السمع وكقول ابن الفارض

نفعنا الله به ادر ذكر من اهوى ولو بملام فان احاديث الحبيب مدامى

ليشهد سمعى الحبيب حاضر كما قال ثم انه لما اراد ان يلتذ سمعه باللبن المغلى مع الخبز المسخن اراد ان يلذ سمعه ايضا بمفروكة اللبن حتى يريد الله له بالاكل من الجميع ويقضى مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم فقال

ص الاترى اشحال مفروكة اللبن علىّ زلطها قلبى يرف رفيف

ش قوله (الا ياترى) اى ما ترى احدا يخبر فى خبرا شافيا (اشحال) اى اسأله عن حال (مفروكة اللبن) اى الفطير الذى يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز فى الفرن او الجوره ويفرك اى يكسر بالايدى وهو حار ويوضع فى زبدية او متردة ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعما فى البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو افضل الطعام وفى الحديث الشريف فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين وورد ايضا اثردوا فان فى الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقى اليها وحسرتى على بعدها (قلبى يرف رفيف) الصلاة رفيفا لانه مصدر حذفت الفه للضرورة اى يخفق خفقانا زائدا يشبه فى خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهى حجارة صغيرة ملساء تكون فى الرمال وسواحل البحر وسمى زلط الطعام به للوسعة واندفاعه من غير مضغ اولان اللقمة تحاكى الزلطة الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة فى رميها من اليد كما يقال زلطه فى راسك بسرعة حتى يؤثر ضربها فى راسك فشبهت بذلك لانه ياخذ اللقمة منها بسرعة ويحذفها فى حلقه ويزلطها كما يحذف الرجل الزلطة بشدة وقوة وايضا الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان ولهذا تاسف على فراق هذا الماكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار عشقه للمقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق على فراق محبوبه فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولا طمع فى الحديث وانس به للمسامرة فهنالك يزول ما به وتسكن حواسه بانسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى * لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر
اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به وبشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه الحى على نفسه
انه متى رأى لقانة ابن عمه الاتى ذكره ملآنة من الفت اكله كله لشدة شهوته
وكثرة جوعه فقال

ص اناان شفت لقانة ابن عمى مخيمر * ملانة من النفيت ملو طفيف

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لا احد غيرى (ان شفت) اى رايت
بعينى لا باذنى كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها
(ابن عمى) اخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر
فيها الجلة وربما بال فيها ايضا اولانه تيتم بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه
اولاكله من العجين المخمر قبل تقريصه اولان وجهه يشبه الخميرة المشققة
لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون يا وجه الخميرة المشققة وقوله (ملانة)
اى اللقانة (من النفيت) جمع فت وهو تكسير الخبز لقما صغارا وكبارا ولونها
الصغار ويصب عليه العدس او البيسار حتى يلبس ويصير كقطع الحجارة (ملو
طفيف) اى ملوا كاملا مطففا بمعنى انه زائد على حوافى الاناء وهو مشتق
من تطفيف الكيل او من طف الماء على الجروف اذا ارتفع عليها او من الطف
محل بنواحى العراق من نواحى كربلا التى استشهد فيها سيدنا ومولانا وملاذنا
الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وملخص قصته رضى الله تعالى عنه قيل ان
معاوية لما مات ارسل يزيد لعامله بالمدينة ان ياخذ البيعة من سيد شباب اهل
الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فاتت كتب العراق
بانهم بايعوه بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس
وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له غدر اهل العراق وما
فعلوه بابيه واخيه رضى الله عنهم وقالوا له ان كان ولا بد فلا تاخذ اهلك
معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم
ابن عقيل الى اهل العراق ياخذ بيعتهم فاخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج
سيدنا الحسين من مكة قاصدا للعراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه
على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يامره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك
حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة اميال فلقيه حر بن يزيد التميمي
فقال له ارجع فانى لم ادع لك خلفى خيرا واخبره الخبر ولقيه الفرزدق
فسأله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية والقضاء ينزل من
السماء فهم ان يرجع وكان معه اخوة مسلم فقالوا له لا نرجع حتى ناخذ بثاره او
نقتل وكان ابن زياد جهز اليه الافا وقيل عشرين الفا للملاقاة فوافاه بكربلا
فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه

نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد بن معاوية فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما ايقن انهم مقاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى فاني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما فقاتلوه فكان آخر الامر ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من اهل بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبراني قال العلامة سيدي عبد الرؤف المناوي نفعنا الله به في طبقاته فان قلت ينافيه ما ورد عن الطبراني ايضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرني جبريل ان الحسين رضي الله تعالى عنه يقتل بعدي بارض الطف وجاءني جبريل بتربة منها واعلمني ان فيها مضجعه وما رواه سعد عن امير المؤمنين الامام علي رضي الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال اخبرني جبريل ان حسينا يقتل بشاطئ الفرات قلت لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بارض الطف وهي من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام وبان واستقام على احسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا اخذوا راسه واتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من اهل بيته الى يزيد ومنهم علي بن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا واوقفهم موقف السبي بباب المسجد واهانهم وبالغ في اهانتهم ولما وضعوا الراس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه وقد اخرج ابو يعلى عن ابي عبيدة مرفوعا لا يزال امر امتي مرفوعا قائما بالقسط حتى يكون اول من يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد وصح عن ابراهيم النخعي انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم ادخلت الجنة لاستحييت ان انظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وسمعت الجن تنوح عليه كما اخرجه به ابو نعيم وغيره (واستشهد) يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة اشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة ايام كانها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة تضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وصار الورس الذي في عسكرهم فصاروا يرون في لحمها نيرانا وطبخوها فصارت

كالعلم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا فى اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

اترجوا امة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد اهله الى المدينة وان يطاف بالرأس الشريف البلاد (وروى) ابن خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وانا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ فى سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارا اعجب من اصحاب الكهف قتلى وحملى وقال ابن بحر ورد من طرق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل الدنيا واختلفوا فى رأس الحسين عند مصيره الى الشام الى اين صار وفى اى موضع استقر فذهبت طائفة الى انه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه اميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة وذكر آخرون انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية انه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم اجمعين وقد تقدم ان الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء وكما الفرات فمدّوه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى ابو رحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى فى ارض الروم الى ان يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائة ينتهى الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ان خالد ابن الوليد المخزومى لما اقبل يريد الحيرة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه اهل الحيرة فتحصنوا منه فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا انيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا امر العساكر ان تنزل بالنجف بالنجف واقبل خالد على فرسه هو وضرار بن الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بنى نفيلة فجعل العباديون يضربونهما

بالحجارة

بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة اعظم مما ترى فمضى
خالد فنزل في عسكره فبعث اليهم ان يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوي انسابهم
يسأله عن امرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة وهو الذي بنى
القصر الابيض فأتى خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه
خالد وهو مقبل فقال من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابي قال فمن اين
جئت قال من بطن امي قال فعلام انت ويحك قال على الارض قال ففيم انت قال
في ثيابي قال اتعقل قال لا عقلت قال اي والله واعي قال ابن كم انت قال ابن رجل
واحد قال اخزاه الله من اهل بلده كلما اريد ان اسأله عن الشيء يجيب عن غيره قال
والله ما انبئتك الا بما سألتني قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط
استعربنا قال احرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها
للسفيه نحبسه حتى يأتي الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين قال خمسون وثلثمائة
سنة ادركت سفن البحر تأتي الينا في هذا النجف بمتاع السند والهند وامواج
البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر كم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تأخذ مكتلها
فتضعه على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعمائر
متصلة واشجار مثمرة وانهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها
اليوم قد اصبحت خرابا وذلك دأب الله في البلاد والعباد فرحمه خالد ومن حضره
لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان
معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرني ويوافق
اهل بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم اكن اول من ساق الى اهل بلده
حزنا وبلاء فاكل هذا السم واستريح من الدنيا فان ما بقي من عمري الا اليسير
فقال له خالد هاته فأخذه ووضعه في راحته ثم قال بسم الله وبالله رب الارض
والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ثم استفه
فتجللته غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم افاق كأنما نشط من عقال
فانصرف العبادي الى قومه وكان عبادي المذهب وهم النسطورية من النصارى
فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه
واخرجوه عنكم فصالحوه على مائة الف درهم قال المسعودي وانما ذكرنا
هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار
على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين ابن العماد في حكايته
في المنهل السعيد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء بروايته وانه
لا يكفيه الا اكله جميعها فقال

ص فشرته جميعها ما اكلت بقيته * لغيري ولا عندي بذا توقيف

ش قوله (قشرته جميعه) القشر في الاكل وغيره اخذ الشيء جميعه او اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان اقشر ومنه يقال اكعاب واعتاب ونواصي ويقال امراة قشراء ورجل اقشر يعني انه قليل البركة قليل الرزق تأتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك وكان في قريتنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امراة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت فال * لو كعب اقشر قشرها بالعجل في الحال
لو شا رفي الموت او شغفوا على الاهوال * قلت افلح بو وخلى كعب في الخلخال

ومنه قصة طويس المذكوره في الكتب وكلها اسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير او شر والا ففي الحديث الشريف لا عدوى ولا طيرة ولا فال (ونعق) غراب فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا فلا الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله (قشرته جميعه) اي اكلته جميعه ولا ابقي منه شيئا لغيري وعندي مجاعة شديدة في رايته لا ابقي منه شيئا وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا اشره في الطعام وارمى نفسه عليه واكل منه زائدا عن القدر للغذاء ضره واذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل واكثر موت الناس بالتخم قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وعيش * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

قيل اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندي ورومي ومصري فقال لهم الملك ليصف لي كل واحد دواء لا داء معه فقال الهندي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على شيء من بذر الهندبا وقال الرومي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على ثلاث جرعات من الماء الساخن وقال المصري الدواء الذي لا داء معه ان لا تأكل الا بعد الجوع وان تقوم وانت تشتهي الطعام فانك لا ترى علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصري ولما ارسل المقوقس ملك مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة انصنا التي الآن خراب على شاطئ النيل من اقليم الصعيد وارسل له البغلة المسماة بدلدل وارسل له عسل من بنها قرية من قرى مصر من توابع القليوبية وارسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبي فلما وصلت الهدية والحكيم الى النبي صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا نأكل الا بعد الجوع واذا اكلنا لا نشبع فلا نحتاج الحكيم فلما بلغ المقوقس ما قاله النبي

صلى الله عليه وسلم قائلها من نبي عظيم جمع الحكمة في كلمتين وفي الحديث
جوعوا تصحوا فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه صحة الجسم وعدم
الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وارباب الخلوات فان نتيجتهم في ذلك الجوع
لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البوني في بعض كتبه انها لا تنفع رياضة لاحد وفي
قلبه مثقال حبة من شبع واما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما من شدة
الشره على الطعام او يكون ذلك عادة فقد رأينا من اكل الماجور الطعام ولم يشبع
ورأينا من اكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع وكان بعض الجبابرة يأكل الفصيل مشويا
في غدائه واكله يوما واراد ان يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل الي
وبيني وبينك فصيل * وذكر سيدي محيي الدين ابن العربي نفعنا الله به
في مواقع النجوم ان ابن عبد الملك كان اكولا مر برجل معه زنبيل بيض مشوي
وتين فاكل ما فيهما فمرض ومات بذلك وكان الوليد من بني امية ملكا جبارا
عنيدا وكان يشرب الزق الخمر ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد فخرقه وانشد يقول

تهددني بجبار عنيد * والى ذا الجبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره وكان المأمون يأكل كثيرا فاصطنع له بعض
الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل اكله لان
قليلها يغذي الشخص ولهذا نسبت اليه واما ما اتفق لبعض الاولياء من انه
كان يأكل الطعام الكثير الذي يكفي الجماعة الكثيرة فانما هو من باب التصريف
واظهار الكرامة وقال ابن خلكان كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم
نحو مائة رطل شاميا وكان به عرج وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ان
سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه اشياء كثيرة
فمنها انه اصطبح بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة واربعة
وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس في السماط
العام ومنها انه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه بجني ثماره
ويستطيب له منها وكان معه اصحابه فاكل القوم حتى اكتفى
واستمر هو يأكل اكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فاكلها ثم مال
الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم اتى بدجاجتين مشويتين
ثم اتى باناء يقعد فيه الرجل مملوءا سمنا وسويقا وسكرا
فاكله اجمع ثم سار الى دار الخلافة والى السماط فاكل مع الحاضرين
كأنه ما اكل شيئا ومنها انه حج فاتى الطائف فاكل سبعين رمانة وخاروفا

وست دجاجات واني بمكول عنب فاكله اجمع ومنها انه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستوذن في ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم اذن في ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال كان قال كان ذلك قبل ان يأكل امير المؤمنين وقيل كان سبب موته انه اكل اربعمائة بيضة وثمانمائة تينة واربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة مجرة وفشت الحمى في عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله اعلم (قيل) مر رجل اكول في سفره واجتاز بقرية قاصدا قم ان اناسا واجلسه وكانت زوجته في الفرن تخبز العيش فاتاه بجانب من الخبز وذهب يأتي بالادم كلما رجع وجده قد اكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب يأتي له بخبز آخر ورجع فوجده اكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى اكل جميع ما خبزته زوجته وكذا اكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى اين تمضي فقال الى مصر قال الك حاجة فيها قال نعم قال له وما هي قال وصف لي بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لاي شئ قال انا رجل قل اكلي وانسدت معدتي ومرادي منه شئ يصفه لي لعلي اقطع في الاكل قال له الرجل انا بقا لي عليك لحسنا ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلي ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدوده فكيف اذا انسعت ثم انه اخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله وقوله (ما تركته بقيته لغيري) اي لاحد غيري قريب او بعيد (ولا عندي بذا توقيف) اي لا اتوقف في الاكل ولا استحي من احد اذا كان مارا ولا اعزم ولا اطعم غيري منه ولا انظر فيه ان كان باردا او حارا او مقاربا او من حرام او من حلال فعلى كل حال لا انظر لهذا المعنى ولا التفت لهذا الامر ولا اطعم غيري ثم ان الناظم تشوق الى ما كول من السمك المملح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص انا خاطري اكلت فسيخ على الندى * اضال عليها باكيا واسيف

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف لا غيري كما تقدم معناه في ابيات غير هنا (خاطري) اي مرادي ودائما يخطر ببالي ذلك الامر وانا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (اكلت فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البوري ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض بعد ان يضعوا على كل رصة جانبا من الملح فينتفع به ثم يسيل منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشده ثم انهم يأخذوه ويبيعوه ويأكله اهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون بطنها ويضعها الرجل او المراة على يده اليسرى او في يد بين الاثنين

ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم ويأخذ عليها
اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذى ينتش الرمة مثلا ويعلو فمه ويديه القذارة والرائحة
الخبيثة ويأكلونه حتى فى الاسواق واغرب من هذا انه اخبرنى من اثق به من اهل
سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولى على البحر يقال له العدوى نفعنا الله
به فرأى شخصا من الارياف قاعدا فى بيت الخلاء ومعه فسيخه ورغيف
يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل فى بيت الخلاء فقال له انت تطردنى
من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والا مرادك تأخذ منى الفسيخة فخرج من غير
استنجاء والفسيخ فى يده وراح الى حال سبيله * ولكن له عند نساء
الارياف موقع عظيم وشهوة لا يعدلها شئ خصوصا اهالى الكفور وبلاد
المسلق فانهم لا يرونه الا من النيل يجئ لهم من دمياط ورشيد فى المراكب
ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائده ويجلب للصعيد وغيره وهو
مشهور ببلاد مصر (واما) فسيخ البطارخ فانهم يبقوه فى الهواء الى ان
يجف ويصير يابسا عن الفسيخ وهو ما كول الاكابر وسمى بطارخا لان جوفه
ملآن بطارخ بخلاف الفسيخ فانه خالى عن ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت
وربما اضافوا اليه الثوم والبصل المخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة فى بلاد
المدن وغيرها يكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه صير
بكسر الصاد الاولى ويجعلون البطارخ الذى فى جوفه فى اناء ثانى ويضعون عليه
الزيت الطيب والشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال اكله
فى الشتاء وسمى الفسيخ فسيخا لتفسخه عند الاكل او ان الذى صنعه اول الاخرج
منه ريح عند اكله فتبعه آخر فقال فسى اخ فركبوا هاتين الكلمتين وجعلوهما
علما وقالوا فسيخ * وقوله * (على الندى) * اى وقت نزول الندى
لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان فى اول النهار ربما اعتدل
اكله هذا اذا كان فى زمن الصيف * واما زمن الشتاء ففى اى وقت كان
ويستحب ان يشرب عليه شرابا حلوا ويؤكل عليه عسل فانه يذهب ضرره واذاه
وقوله اضالل * تقدم معناه (عليها) اى على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ
لشدة شهوة نفسى الخبيثة اليه * (باكيا) * اى استمر على عدم حصول هذه الاكلة
باكيا والبكاء هو غزارة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء
اذا نزل منها المطر وبكاء السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء
والارض قال الشاعر

ولكن بكت قبلى فاورثنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بك للجرح اذا خرج منه الدم وقوله (واسيف) سكنه لضرورة

النظم لان اصلم اضا الماسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لي فلا انفك عن هذا الحزن حتى اكل منها واشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب و بعد الصديق قال الشاعر

وما اسفى الاعلى من اوده * ومن لا اوده وما عليه ملام
وما عتبى الاعلى من اوده * ومن لا اوده وما عليه عتاب

وقال بعضهم

اعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابني منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ولبعضهم

وانت اخي ما لم تكن لي حاجة * وان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا
ولست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

وقال اخر

لما رايت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد اصطفي *
ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي *

وقال آخر

صديقك في هذا الزمان منافق * وخلك زره ولحذر بوائقه *
ونافق فعند الآن النفاق ولا تخف * كسادا فاسواق المنافق نافقة
فلا تخش الا الله لا رب غيره * فما رفع الدنيا لحر ولا نقمه

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر

انت ما احتجت الى صاحب * حبك الدهر اخوه *
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه
لو راى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل في الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب ان الصاحب من طالت عشرته ويفرح لفرحك و يحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب * والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته في الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك لكن وتخللت محبته في الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك * ثم ان الناظم انتقل من

شهوة

شهوة الخبيث الى المطيب فقال

ص على من نضر في فرن دار وطواجن * زغاليل من برج ابن ابو شعيف

ش * (قوله) على من نضر * بالمعجمة اى فرح * وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه في الجزء الاول من هذا الكتاب (داره) اى دار الناظم والضمير في داره راجع اليه يعنى لا يكون في دار غيره ولا تكون الطواجن في فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم معناه مثلا (زغاليل) وهى افراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطى لانه يرعى في الغيطان ومحلات الزرع والاشجار واكلها نافع يقوى الباه اذا اضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلا تنسا لعن جودة طعمها ولذة اكلها والحمام اسم جنس شامل لكل ما عب وهدر ثم انه بين ان الزغاليل التى اشار اليها لا تكون الا من برج لا من الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حوله بعضه البعض فيه قواديس تجار يأتى اليها الحمام البرى ويبات في تلك القواديس ويفرخ ويخرا فيها ايضا ويسمون خراه عندهم ريما ليأخذونه لزرع البطيخ والبصل يطعمونه به وامره عندهم مشهور ويأخذون من فراخهم ويبيعون ويذبحون وهكذا في سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغللة وهو نبات ازرق اللون شبهت به الزغاليل لحسن زرقة ريشها وانه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون المفرش فرس والفحم الذى يصنعون به زبيب والكبير الذى يخون به الشيخ ولهم اصطلاح في هذه الصنعة لكن تراهم دائما في شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة * وسئل الامام الشافعى رضي الله عنه عن الكيمياء فقال لا اعرف من اتقنها الا من استغنى فكذلك الحمام في كل قليل من الايام يدخلون عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما في خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما ان واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهاة بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسئلة) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع ان اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاول والحمام كيف الحال (قلنا الجواب) المشروى ان المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسى ووجه طبى فالاول ان الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس واشتغالهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام

الحمام على بعضه البعض واتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه الحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوي والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى اعلا البرج وذهابه لاكتساب رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون ارزاقهم ومعاشهم كما في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس المقطيسي * (والوجه الثانى) * ان الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة واحسن الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان في افراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البرى واما الذى في البيوت فان المداومة على اكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان في ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهباك واما اسم الحمام الطائر فانه مشتق من الحوم وهو التردد في الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ما تقدم ومصدره حام يحوم حوما (واما الحمام) المبنى فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان الشخص اذا دخله صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق او من الحموم وهو الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحم فى البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس او من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب المبالغ فى المحبة من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع اى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة افعاله شددت ميمه الاولى * (واما الحِمام) * بكسر الميم فهو الموت فان حاءه ما كسرت الا لان الشخص يكون فى حال حياته فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا اثره

قال الشاعر

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال احتم الامر اذا اشتد ولا شك ان للموت شدة عظيمة فى خروج الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث القشروية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان * (ابو شعنيف) اصله ابو لكن لم يساعده لسانا لعجرفته فى الكلام وهذه كنيته * واما اسمه الاصلى فهو عفلق او بحلق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش

المسمى بالسيف المتقدم ذكره ويضحم للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال في المثل
شاع بالسيف اي بسرقة السيف ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وابقوا الاسم والفعل
وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا ابوشغنيف وهو مشتق من الشغنفة على وزن الفطرة
والحقها بمعناها ومصدره شغنف يشغنف شغنفة * ثم ان الناظم بين كيفية
اكله في الزغاليل وانها تؤكل بالفطير فقال

س وفطر فطائر من فطير ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر قال الشاعر

وشمر عن ايروطرطر عامدا * عليها ببول فهي في البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لي تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادي
بحصولها عندي لا يلذ لي اكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير) مصدره
مثل عمل عمايل اومثل قشر قشاير ومعناه ابطط اواصنع فطيرا والفطاير
جمع فطيرة ويجمع على الفطير مثل خميرة وخمير اوحمارة وحمير والفطير
ثقيل غليظ لا يوافق الادمي لانه يولد الارياح هذا اذا اكل وحده واما
مع غيره فلا باس به وهذا كله في فطير الريف الذي اراده الناظم فانهم
ياخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه في الفرن
او يدمسونه في الجورة ويقال له فطير دماسي ثم انهم ياخذونه وياكلونه
فهذا هو الثقيل المنهي عنه واما الفطير الذي تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة
ويلبسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا باس به وكذلك الذي يصنعونه وقت
عجنه بالسمن ويخبزونه الفطود ونحوه فهذا لا باس به ايضا بل هو المطلوب
وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق اي يكون ابن عمه يتبرع له به من غير
مقابل اويعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له او يهبه اياه او يتمكن
من سرقته ويخبزه في الفرن اوالجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن
ويفت في مرقها الفطاير المذكورة ويتاهب للاكل منها (ويقعد لها) اي
للزغاليل اوالمجموع ذلك (قعدة) اي مثل قعدة (غلام) وهو الذي الحر
شاربه قال الشاعر

منا الغلام الذي الحر شاربه * والعانسون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال
والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام اي عنده خسافة اي تفكر وكآبة
وشدة حزن فاكون مثله عندي تفكر وشدة جوع فما اصدق ان ارى
هذا الطعام وهذا الفطير واكل منه حتى اكتفي ويذهب جوعي وتنقضي

شهوتي مثل الغلام الذي اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على الحبائب فيزول همه ويتيسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد كما اتفق ان بعض العارفين مر برجلين يأكلان في رمضان فقال لهما اما امركما قالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا في هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال احدهما اجرح ذراعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الاخر من غير جرح فصارت ارواحهما وابسادهما كانها روح واحدة في جسد واحد كما قال ابن العربي نفعنا الله به

نحن جسمين بجسم واحد * نحن روحين حللنا جسدا

وقال ايضا عفي عنه

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا

ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحدا

قال ابن هاني عفي عنه

لم يخلق الرحمن احسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد

متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد

واذا تالفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع في حديد واحد

واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وله ايضا رضي الله عنه

لا يعرف العشق الا من عشقا * وليس من قال اني عاشق صدقا

للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المتحابين في الله في ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش * ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص على من نضر طاجن سمك في فرنه * ولو كان يا اخواني بالانضيف

ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملآن (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى اكله هو والجراد حيا وميتا وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف واجوده الطري واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل ولاذ في آكله والمالح الحر من الطري واليبس ونفع الكبير منه اذا يؤكل مع شراب عتيق ونفا لوذج خصوصا اذا كان متخذا من ماء عذب جاري والمفلس منه

اولى من غيره قال بعض الحكماء كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس
منه مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة ونفع وتحف في
الطعم واللذة. فاما البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل
ويعمل ايضا فى الطواجن مرققة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل ايضا بالكشك
وقد اكلته فى دمياط مرارا ويعمل ايضا بارز لكن قليل عن المفلفل يضيفون عليه
ماء الليمون ويسمونه فقاعية واكلته وله لذة عظيمة وطعمية لطيفة * واما
القجاج فانه على دنية واطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير.
وفى المثل اذا عدم الدجاج كل القجاج ويتنوع فى الاطعمة مثل البورى واما
السمك البنى فانه الذ فى الطعمية من الكل ولا يوجد الا فى قاع البحر العذب
يتغالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد
الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلى وحشى فلا تسأل عن لذة طعمه
فانك تود ان تاكل اصابعك من حسنه وفى المثل من لسان حال البنى ان رأيت
احسن منى فلا تأكلنى * ونوع فى السمك يقال له شبار له لذة فى الطعم والماكل
وقد ورد انه ياكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما
مراده السمك الذى يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل ويصير البرك والنقر
ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير ويخوذ للحج
فتنزل اولادهم ويصيدون منها فيأتون به وينظفونه ويضعونه فى الطواجن
ويضعون عليه شيا يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه
فى الفرن الى ان يلخذ قوامه فياكلونه بخبز الاذرة او الشعير ويصير له
زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم الذ المأكول ويأتون بالقراميط السود
الصغار ويدفنونها فى الجورة الى ان تتخمر يسيرا ويأكلونها اعاذنا الله من ذلك
وبذكر السمك تذكرت مما اتفق ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال
وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المغفلين فرحلها عاشقها يوما وقال لها
طال الموعد فقالت له فى غد تأتينى فى اخر النهار ثم انها اصبحت وقالت
لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه فى هذا اليوم ونأكله فمضى الى السوق
واتى به فنظفته واصلحت شانه ووضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به
الى الفران واوصه من طبيخه وقل للفران يرسله مع غلامه اذان العصر
فاخذه زوجها وذهب به الى الفران واعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا
وطاعة ثم ان الفران ارسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة واذا
بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع واكل من ذلك

السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها فى الحديث اذ طرق زوجها
الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت
لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى اصابك فقالت له
اسكت يا راجل لما اتسكن روحى فى قلبى انا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتى
معك وقعت الشوم اراى الغزان يرسل الولد بالطاجن السمك فلما اكشفتوا
نا كل منو طلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منو انا بقيت لا باطلع
على شئ واهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكه وانا طول عمرى
ما حد شافنى ولا نعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى منى طالع الى الرواق
فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك فى الطاجن يا ترى
هو الغزان والا صبيو فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خذه وروح به
الى الغزان وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل لو من ذا الوقت لا تحط فى طاجننا
حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى الغزان
واعلمه بالقصة فعرف الغزان الامر وتحقق القضية فقام وعمل انه يضرب الرجل
وقال له انا وضعتك فى طاجن اللحم خالعتى ونزلت فى السمك ان بقيت تعمل كذا
اشوش عليك ونضربك فقال الرجل للغزان يا سيد ما عدت اخالفك ابدا الطاجن
الذى توضعنى فيه لا اطلع منه ابدا ثم ان الغزان قال لزوجها اخبر زوجتك انه
شوشت عليه ولا بقى ينزل فى طاجنها ابدا قال فمضى زوجها واخبرها بالقصة ففرحت
وقالت ان عاد يحط لنا حد فى طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شئ ابدا ثم تركها زوجها
ومضى الى اشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم * ومن العجائب ان بعضهم صاد سمكة
فرأى مكتوبا على جانبه الايمن بالقدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فاطلقها لاجل كلمة
التوحيد والشهادة والعجب من هذا ان بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت
الريح واشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن ايها البحر فانما على
ظهرك بحر مثلك اى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت
من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم انك ولى وبحر فى العلوم
والمعرفة ولكن انا اسألك عن مسئلة اترد جوابها قال قولى فتكلمت السمكة
بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء ام عدة الاموات
فتحير الشيخ فى امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك فى بحر العلوم
فقال انى استغفر الله مما قلت فارشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا
تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر
فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه انه يقبل التوبة
عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى

ويذكر

فيذكر قصة الغراب والسبك تذكرت ان حفظ الوداد قليل في الناس ويعجبني قول بعضهم

لقد كان لي خل علمت ولاءه * وكان صدوقا في المقال خليلا
فخان ودادي ثم انكر صحبتي * فيا ليتني لم اتخذه خليلا

وقال بعضهم

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فساد

وقال آخر

لا ضير ان رمانى الفقر عن حدا * واضب مالى على خشبه
لعشرتى لا ناس لا خلاق لهم * بيض الثياب واقفال على خربه

ومن كلام الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

ابعد عن الناس كل بعد * مالم تكن بينهم محل * ولا تقل كان لي ايادي * عليهم في الزمان الاول
فريق بين اهله كليب * اذا رأوا ذيله مهلهل (وقال ايضا رضي الله عنه)

لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال
الا فاقلل لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وقال بعضهم

ما في زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان وفا
فعش فريدا ولا تركن الى احد * اني نصحتك فيما قد جرى وكفى

ولابن عروس قطب بلاد المغرب

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينه اني نصحتك فانظر لنفسك المسكينه
وقوله (في قرينة) اي قرن الناظم وصغره لاجل النظم يعني انه يأتي من الغيط او الجرن
غيره في قرنه حاضرا مطبوخا من غير ان يتكلف لصيده وتحويجه من الزيت
والحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذي اتمناه (بالاخوان)
يخاطب به اصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين اخوان
قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال بعضهم من فقد اخوانه فقد
مروته * قيل اتى رجل الى المأمون فقال له انا اخوك اعطني من بيت مال المسلمين
ما يكفيني فقال له من اين انت اخي فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة
فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا عطاء الملوك
فقال له المأمون لو فرضت اني فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك اقل من ذلك

نفس الرجل ولم يظفر بشيء غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا وكان المامون يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا اثاب عليه ومن حلمه ان جارية من جواريه قدمت اليه كماشويا فى اسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فحرقها واتلفها فنظر اليها فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين فقال انت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة فى الحلم والعفو لا يقدر عليها احد رحمه الله وله اخبار عظيمة فى ذلك وقوله (بلا تنضيف) اى ولو كان يجد هذا السمك فى طاجن فى فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل يرصونه فى الطاجن بعظمه وتحوفه حتى يصير مثل المشوى فى الجودة فيتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفى المثل العريق يستند على القش وفى مثل آخر بطينه ولا غسيل البرك فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضى شهوته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيأ ولو حقيرا متى وصل اليه كان عنده عظيما واكل منه اكلا لذيذا فان الشهوة البهيمية تحرص صاحبها على النجث الماكول فكل من اطاع نفسه وهواه خسر * قال سيدنا عيسى عليه السلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله تعالى

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد * وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى اكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر الى ان حصلت له يوما وهو فى الخلوة فدبيده لياكل منها فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال اف عليك يا عمر فقال ان اكلتها ثم انه تركها ولم ياكلها بقية عمره وخالف نفسه ومن النكت المضحكة ان بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فالعنها وكل غيره ولا تطعها ابدا فاتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضعه بين يديه ووضع بين يدى التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ ارز مفلفل بلحم ضان يقال لها فارش مارش فمد التلميذ يده واخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه اما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى بان اكل من الصحن العدس فخالفتها واكلت من هذا اللحم الضان بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما فى الخلوة فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى وقالت لى نك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله

ما اشغالك وما اجنبك فخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم اشتهى شيئا
لم يره في بلده الا يوم عيد النحر فقال

ص على من رأى في التل كرش ملقح * ومن فوقه الدبان يعفع عفيف

ش قوله (على من رأى) رؤية بصرية كما تقدم في غير هذا البيت (في التل)
اى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون في الغالب حول البلد لان كل من يكون
عنده تراب او رماد يكبه قدام داره برا البلد امام بيته وجاريته مثله وهكذا
الى ان يتصل بعضه ببعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها
حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه ايضا محلات خالية يشخون فيها جميعا
نساؤهم ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها ايضا ثم ان النساء والرجال
يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والحادثة عن الغيط والزرع
والقلع والعجول والجاموس وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم
ولا يقدرون عليها الا ان تكون في دار الشاد او الكفر له ولجماعته يشخون فيها
وقد قيل في المعنى

سألت بني الارياف ما البيوت لكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فما تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضا العلية بكسر العين المهملة
وتشديد اللام قال الشاعر
اتيت الكفر في ضحوه رايت اهله جميع شالو ورمحوا فوق عليه عليها الكل قد بالوا
اى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا واطفالا وتطلق العلية
عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم في العلا
اى انه صار يجلس عاليا عن الناس وبقى له في الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى
قال الشاعر جوز غزلان يا محلاهم شافني على القمح خاهم متى يا زمان تجمعنا في العلالي انا واياهم
فان قيل ان الناظم قال في التل فيفهم منه انه يرى الكرش في جوف التل فيكون مستورا ربما
عنه واكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شئ ظاهر
لا على شئ مغطى مستور كما تقول فلان في الدار اى في داخلها فما الجواب قلنا الجواب
الفشروى ان في بمعنى على اى كرشا ملقحا على التل او الكوم كما يقال فلان في الجبل اى
فوقه لا داخله لانه لا يستطيع ان يثقب الجبل ويدخل فيه وان خرق الحجر على بابه
ويكون قوله في التل بمعنى ان في جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون فيها الكروش
مثلا فصدق عليه ان الكرش في جوفه وان كان ظاهرا يرى للناس فاتضح الاشكال
عن وجه هذا المقال وقوله (كرش ملقح) اى كرش البهيمة التي يذبحونها يوم عيد النحر
لانهم لا يرون اللحم الا في ذلك اليوم ولا يمكن انهم يلقون الكرش على التل

يأخذونه ويلقون ما فيه من النقل ويغلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة ويسمونه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم وأما في بلاد المدن فانه من الضأن ويضيفون اليه الرأس والكوارع ويسمونه سقطا ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبرة والسلق ويصبون عليه الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالراس تارة ويدرجونه في الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة بغيرها والروس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع تسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما هو مشهور في بلاد المدن وأما اهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك في الدست والبرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج ويقلونه بشيء من البصل او الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن ولا الحرارات ولا شيئا من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور اى ان كرشه بارز ظاهر كما يقال الحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرش اى آيل للسقوط وفلان صاحب كرش اى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفي الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح في الغنم والبقر يقال الكبش سمين ممتلأ شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وادرج راسه في كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه وكثرة شحمه ومن المناسبة ان السلطان قزلباش ارسل الى السلطان قانصوه الغوري يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * اف على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا * وكأسنا جمجمة الراس

فاجابه بقوله

الله في ملكه خاتمه * تجري المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع البغي لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * ادرج راس الكبش في كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغي * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسل له السلطان قانصوه الغوري بل سار اليه بخيله وعسكره فلاقاه نائب الغوري ورده خائبا والقى الله كيده في نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغوري من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا مثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته * فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه ان يرى كرشا مرميا على التل اى الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسيا ناوذهولا او ان الشاد

بالكفر ذبح كبشا والقى كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد
لا يتركون منها شيا وياخذون كرشها وجميع حوايجها يطبخونه وياكلونه فالناظم
يرجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذى تمناه وطلبه واشتهاه لكونه
لم يقدر على مشاركة اهل الكفر فى بهيمة (و) لو كان من (فوقه الدبان) وهو الذبان
وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على السنتهم ومفرده دبانه
ودبون مفرد الذكور منه والدبان على وزن الخرفان او الجديان والدبون على وزن
الميمون او المأبون قال بعضهم مواليا

فى خاطرى يا مليح لو كنت دبانه * واحط فوق شفتك وتلش اول دانه
على ويا بو حسن لك عين تعشا * غيرى تواصل وانا سحى لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة فى بعض الكتب منها انه اذا
اخذت ذبابة وربطت وهى حية فى خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت
وعلقت على من يشتكى الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لاى شى خلق
الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه
(وكان المشركون) يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل
الله تعالى فى كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
والذباب له اعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت
الصغير الا ان فمه واسع وارجله قصيرة عن ارجل العنكبوت ياخذ الذبابة
بسرعة فى فمه ويلقيها فى شى يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه
الى ان تموت وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به
ان زوجته ام عبد الرحمن اصابها مرض شديد اشرفت به على الهلاك فدخل يوما
بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص لك
زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع ستين الذبابة فتحايل وخلصها
فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى وقوله (يعف عفيف) اى يتراكم على
بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء
المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشى اذا سقط عليه
وكثر وتراكم بعضه على بعض واما المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل
عن الشى بمعنى كف عنه ثم ان الناظم اخبر عن كيفية اخذه ولعنه فقال

ص دنا ان شفته خدتو بعالو سلقته وكلتو بشغلو ما ارى تقنيف

ش قوله (دنا ان شفته) اى انا اذا من الله علينا ورايته ملقى على التل (خدتو)
اى اخذته فحذف الهمزة وابدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية

(بجالوسلفتو) بمعنى انى القيم فى الدست او البرام والتى عليه البلاء لاغير فاسلم من غير تقليبه ولاشيرج وغير ذلك لشدة فقره وعدم ما فى يده وقوله (وكلتو بقلو) اى بما فى جوفه من المرعى ولو انه نجس بما تغز فى الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه وهذا يعاير به الرجل الاكول عندهم فيقال فلان يأكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى البلد فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لهم معكه بجديد وكان انت الآخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فاعطى بتاع الكروش الجديدين فصار يقطع لهم ما يباع للقطط وهو يأكل من غير ملح واخذ بالجديد الثانى قطعة كبيرة وزاد لهم عليها كبدة وريته وهى الفشة ولف ما اخذ فى شدة الذى فوق راسه وربط عليه وكانت الفلوس الذى باع بها البيض يوطيها ايضا على الشد ثم انه سافر الى ان مر على قرية فى الطريق فرأى شجرة فجلس ليستريح تحتها فضربه الهواء فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على راسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح فى القرية فقام يجرى خلفه ويصيح ودخل الدار التى طلع الكلب فى سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس فى هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد فى القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه اهل الخير فاطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس واكل الضرب ورجع الكفر خائبا نائبا وقوله (ما ارى تقنيف) بمعنى انى ما اتقنف من اكله لكونه فيه النقل او لان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان نفسى تطيبه لاكله ولا تمتنع عنه وفى القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف مشتق من التقنف وهو المنع عن الشئ كما يقال انت قنف او فلان تقنف او من القنافة بضم القاف وهى التى توضع فى خرق الناف الذى على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة قال الشاعر

لقد خف منى العقل حتى كاننى * احاكى فى الافعال كنافة البقر

ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملتح على النل والكوم ترجى من الله تعالى ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من اكل الكروش وغيرها من الترمس والمعتيلى فقال

م انا ان عشت لاروح المدينة واشبع كروش ولو انى اموت كخنيف

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهى قوام الجسد وانتعاشه من المأكل والمشرب اى ان طال عمرى وكان فيه تاخير فى علم الله تعالى (لاروح المدينة) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وادام سرورها باهلها

وابد نعيمها بسكانها وحرس علمائها الاعلام وامراءها الكرام لانها مدينة الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبها والكمال وطيبا لمعاشرة ولطف المذاكرة كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتزوج مصرية ليس بمحصن وملاحها الولدان كانهن الغزلان او قضبان البان لا يوجد مثلهم فى الروم ولا فى العجم ولا فى العراق ولمزيد اللطف منهم فى العشرة باتفاق كما قلت فى هذا المعنى موشحا

دور

يا من يريد عشق الجمال * يشد الى مصر الرحال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

مذهب

ملاحها لا يوجدوا * فى الروم ولا ارض العراق
ولا بلاد ارض العجم * ومن رقى السبع الطباق
اللطف فيهم منطبع * وريقهم حلو المذاق

دور

من حاد عنهم بالميال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

مذهب

يا حسنهم يا لطفهم * يا نظرهم كم ذا ترى
من كل اغيد حين يميس * تقول لعقلك لا ترى
مثلو ترى غيره يفوق * سبحان خلاق الورى

دور

فعش بهم دوم الليال * فحبهم عندى حلال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

مذهب

اما العجب ثم العجب * فى يوم الاعياد والفرج
كم ظبى ترفل فى الحلل * والخال فوق خده غنج
تقول بستان ضوء شقيق * قد فتحت وقد خرج

دور

منها يريد قتل الرجال * بحسن قده والميال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

مذهب

والله والله العظيم * ومن له انشق القمر
من عشقهم صبري فني * وزاد وجدي والسهر
وقد بقيت اصفر اليدين * ولست اقنع بالنظر

دور

ما حيلتي في كل حال * الا الدعا ازاه محال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

يوسف سميت ادعو الاله * يغفر ذنوبي كلها
وبلدتي شربين عظيم * باني المدائن قدرها
بلد الفخار مع العلا * والعلم مشهور ذكرها

دور

ثم الصلاة باتصال * على النبي باهي الجمال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود واحمرار الخدود ورقة الكلام وقلة الملام وحسن الانطباع وقلة الامتناع لفظهم الطف من النسيم ورضابهم احلى من التسنيم كما قال الشاعر

ما مثل مصر في الورى بلدة * سكانها ترتع في نعيمها
نسيمها الطف شئ في الورى * واهلها الطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسي وهو ما تقدم وعلى المعنوي وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان اي استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وافاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال في المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم ينتفع في مصارفها وانما جن بالدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر

مستحدث النعمة مستودعها * عيناه مملوءتا فقد
جن به الدهر فنال الغنى * يا ويله ان عقل الدهر

واما اذا عرف الشخص ما انعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير والحسن وتصدق لله فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش اي ان بلغت المدينة لابد ان اشبع من الكروش التي تصلق وتباع واقضي مرادي ومنيتي وبغيتي منها (ولو اني) بعد ستبجي من الكروش

المذكورة وقضاء شهوتي (اموت كفيف) اى اعمى يقال ركف بصره اذا حصل له العمى وفي الحديث القدسي ان الله تعالى يقول اذا اخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذي عن انس * وقال البوصيري الاديب

اذا صدئت عيناي قال مسامري * وقلت لعيناي من الحى والحما
يقولون ان عوفي ملقاه ساعة * واذا كنت حنا كي تهنيه بالعما

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمي يقولون له انت بقيت من اهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الان وفي الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها اجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه في حكم الميت لا محالة قيل وجد مكتوبا على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر والظلم اذا دام دمر والفقر هو الموت الاحمر والاعمى ميت وان لم يقبر ومن لم يترك الذكر لم يذكر وما ابتلى الله عباده بشئ اضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما في المثل اعمى قال للاعور كاس العمى مر فقال الاعور نصفه ضرك عندي وفي المثل الاخر (والاعور الممقوت في اهله * اولى من الاعمى على كل حال وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهي الخنات او يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه وينتف كرهه ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره بالحلاوة او يلقط بالملاقط فان الامرد ما دام خالي العذار تميل النفس اليه واذا التحى قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذي * كان في التيه مسرفا
حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا
فسروا الله ناظري * مذ رأى ذاك واشتفا
شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال الاخر

سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه واستوت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق والفقهاء من يميل الى اصحاب اللحاء قال الشاعر

بلوطي يدعي عاشق المرد في الورى * ويدعى زناء من يحب الغوانيا
فقلت لاصحاب اللحاء تعففا * فما انا لوطي ولا انا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى ان قول العذول فيهم منسوخ قال الشاعر

اهواه طفلا في القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب
وقال بعضهم

تعشقته شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخا العذل يدري ما يراد من الفتى * امنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل هذا من الانهماك على الشهوة والحول في العشق والمحبة والا فالعاشق الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق والبوس وكلها غرامة فلوس ثم ان الناظم بين كيفية اخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهي زوجته واسمها قطيطة فقال

ص واخذ من غزل العجوز وابيعو * واكل بحقه يا ابن بنت عريف

ش قوله (واخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيطة وقيل اسمها بعره بنت قلوط والبعره قريبه من القلوط لانها بنته والقلوط ابوها فهو ملازمها ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز ايضا والعذراء ولها اسماء كثيرة قال بعضهم

عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى باسمين من كل واسم

وفي الكلام تقديم وتاخير ومعناه اذا عشت لاروح المدينة واخذ معي غزل العجوز وابيعه فيها (واكل بحقه) كروشا وغيرها ولو اني بعد ذلك اموت كمفيفا لاني اذا قضيت مرادي وعشت بقية العمر اعمى لا ابالي بعد قضاء شهوتي وحصول ما كنت ارجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من اهالي الكفر قيل انه من اقاربه وقيل من اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لابد انك تفرح لي اذا طال عمري ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وارجع اليك وهذا يدل على انه صديقه وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون اهل الكفر فان الشخص لا يشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويحمل عنه الهموم او يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا ويسليه بالحادثة ونحوها قال الشاعر

ولابد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع

وقال ابن عروس

اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للي يريدك
الحمل اذا تفرق اتشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرالحس واسم والده فسا التيران وسبب تسميته فسا التيران انهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف في وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقربه رائحة الفسا فيقول له انت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمي بذلك واما جده لامه فيسمى عريف لاحد امور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق الحلات التي تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بني هلال وما وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية في ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه كان يعرف الشاد امور البلص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال في الكتاب يعرف الاولاد احوال القراءة ويعرفه ايضا الفقيه عن احوالهم في غيبته كما هو مشهور في بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لا بد له من عريف على ما جرت به العادة قال العلامة البلقيني الشافعي في تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء في حديث الاعمى والاقرع والابرص روى ان ثلاثة من بني اسرائيل احدهم ابرص والثاني اقرع والثالث اعمى اراد الله ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا (فاتى الابرص) فقال اي شيء احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرني الناس فمسحه بيده فذهب البرص واعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال اي المال احب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها (واتى الاقرع) فقال له اي شيء احب اليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس منه فمسحه فذهب واعطى شعرا حسنا قال فاي المال احب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها (واتى الاعمى) فقال اي شيء احب اليك قال ان يرد الله الي بصري فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاي المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه اتى الابرص) في صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بي الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا اتبلغ عليه في سفري فقال ان الحقوق كثيرة فقال له كاني اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاقرع) في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذاك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاعمى)

فى صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بى الحبال فى سفرى فقال قد كنت اعمى فردنى الله بصيرا وفقيرا فاغنانى فخذ ما شئت فوالله لا امنعك اليوم شيأ اخذته فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

اقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تانى يراجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكرة * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسا

رئستم بلا حلم وعلم ولا ولا
وسدتم بلا اهل وفضل ولا ولا
سأقسم بالله الذى خلق الملا
يمينا لقد جسمتم رتب العلا * والبستموها بعد عزتها ذلا

فيا الدهر انتم عظما ؤه
وانتم راضيه وانتم سما ؤه
فلو كنت ممن لا يرد قضا ؤه
صفعت زمانا انتم رؤسا ؤه * بنعل ولكن صفعه بكم اولى

فطوبى لعبد يكتفى بذهابكم
وويل لحر يشتفى بايابكم
اقول وقلبى عالم وازدرى بكم
لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من فى عشقه خان اوزلا

فبعدى عن الاوطان صفو لبنيتى
وفقد الذى اهوى وعظم بليتى
وهتكى وتعذيبى وقرب منيتى
فذاك مرادى واعتقادى وبغيتى * ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شئ آخر فقال

من واسرق من الجامع زوابين حلوه * واكل بها من شهوتى فى الرغيف
واشبع من الترمس واكل مقيلى * والفو بقشر وما ارى للوقيف

ش هذا الكلام كله من بقية كلام لابن بنت مريض المتقدم ذكره اى انه يقول انا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز واكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتى من الكروش المذكورة ورايت الترمس والمقلى الذى اشتهيه ولم يكن معى شئ من الدراهم فحينئذ ادخل بعض الجوامع التى فى اطراف حارات المدينة التى يصلى

فيها اهل الريافة لان الزرابين لا تكون الا برجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهي جمع زربون على وزن محجون او مركوب اومابون وهو المركوب الذي يمشي به الفلاح ويسمونه ايضا جوادا وتربجيلا (واسرق) والسرقة حرام ومنهي عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اي اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار مالم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور في كتب الفقه واباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء شعر

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

فاجابه بقوله

عز الامانة اغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

اي ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة ارخص الله قدرها واباح قطعها بذل الخيانة فهي حكمة للباري جل وعلا وحدودا وجبها على خلقه من امر ونهي وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمي جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجدا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عدم) يعني كثيرة لان سراق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة في السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهي ان يتعرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لعلام الغيوب فياخذ هو الاخر المركوب واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والفل او لحساب المال او ليستظل فيه او ان الحر وربما ربط فيه العجلة او البقرة ويجعلونه في الغالب محلا لمحادثتهم في الغيط والحيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كانهم في زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف المتقدم ذكره اني اذا طلعت المدينة واكلت بحق الخرج كروشا ولم يبق معي شيء انلصص واتجسس واسال عن بعض الجوامع التي باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب واكل بها في كلامه هذا تورية اما انه يبيعها وياكل بثمنها او انهم يصدقون حال خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التي خطفها علقة فيكون هذا اكل معنوي فانه في الغالب ان السارق الزرابين اذا وقع في ايديهم يقطعونها على الحبال رقبته يقال فلان اكل علقة اليوم بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على الحبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة

ودراية بالامور وان كانت ارذل السرقات قيل ان بعض الحذاق من اللصوص على بعض
التجار وهو جالس في حانوته وبجانبه نعل له فاراد اللص اخذه فجاء بجانبه بحفرة وحط
رجله اليمنى في واحدة واراد ان يحط رجله اليسرى في الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص
وتوارى بعيدا بحيث لا يراه التاجر ولم ياخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه
اين الثانية فقال له لا ادرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له
يصنع ولمن مثلها فاخذها الغلام ومضى وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما
رجع الغلام لسيده اتى اللص ومعه الفردة التى اخذها وقال للرجل لا تصنع للتاجر شيا
فانه لقى الفردة الثانية واراها له وقال له هات الاخرى فاعطاه اياها فاخذ الاولى بالسرقة
والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها اخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب
من حذق اللص وفعله * وقيل طلع الابوصيرى الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب
تحت الركن ليشترى له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب احمر
مثل وجهك يا شيخ العرب فالتفت له الثانى من البائعين وقال له عندى مركوب مليح
مثل راسك وصار الجميع يتنكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم
يا مشايخ السوق انا رجل غريب توصوا بى فان جماعة اخبرونى ان المراكيب
اليوم كثيرة ومن رخصها على اقفية اصحابها فقال الكل خلص تاره منا جميعا بما قاله
بلطافة ثم قالوا له بالله انت الابوصيرى قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا احمر
فاخذه ومضى حتى دخل على البدر العودى رحمه الله تعالى رئيس مصر فى الدخول فلما
رآه وفى رجله المركوب قال له وجهك احمر يا ابوصيرى فقال له نكت بدر ودخلت
الحمام فكان الجواب اظرف من السؤال * ومما مدح به البدرى قول الابوصيرى
المذكور حيث قال

البدر كمل بالدخول * وفيه انطوى واندرج
بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ما خرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا فى شعر المتقدمين والمتاخرين
واستعمله المتنبى فى مواضع من شعره قال ابن خلكان رحمه الله تعالى
جاءنى صاحبنا جمال الدين الاردبيلى المجيد فى صناعة الالحان وغيرها وانا فى مجلس
الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندى ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة اشغالهم
حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر الا وغلامه حضر وفى يده رقعة مكتوب فيها
هذه الابيات

يا ايها المولى الذى بوجوده * ابدت محاسنها لنا الايام
انى حججت الى مقامك حجة * اشواقها لا ما يوجب الاسلام
وانخت بالحرم الشريف مطيتى * فتشرفت واشنا قها الاقوام

فطلبت انشد عند انشدادي لها * بيتا لمن هو في القريض امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لي انه لما قام من عندي وجد ملاسه قد سرق فاستحسنت منه هذا اللفظ انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذي تمثل به هذا القائل لابي نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هارون الرشيد ايام خلافته اولها

يا دار ما صنعت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

ويقول من جملتها في صفة ناقته

وتجشمت بي هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة قدام
تذر المطي وراءها فكأنها * صف تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

(قيل) سرق رجل مركوبا واعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له ابوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق مني لا خسرت ولا كسبت فضحك عليه ابوه وخلى سبيله (وقيل) سرق باب ابي سالم القاضي فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا له ما الذي تصنع فقال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابي (وقيل) كان مع ابي جحا زوجتان وكانت ام جحا ماتت فخرج ابوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر انه نسي مركوبه فصاح على ولده يا جحا هات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا جحا ما يقول ابوك فقال يقول نكّ زوجات ابيك في غيابي فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا انتم منه وصدقوا ثم قال الواحدة يا ابي والا الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنتا انه يقول له بل نك الاثنين وما مراده بيرا الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى ان حضر ابوه (وقيل) جلس العيني في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من اعيان الناس فقال له يا سيد يقولون ان اهل مصر يقولون عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادي ارى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادي عليه فقال العيني هل في مصر اشقر من هذا قال الرجل الشامي لا فقال اصبر حتى ابين لك صدق قولي ثم ان العيني ناداه لمطالع اليه وصحبه الفول والعيش فقال له مرادي فول حار ولكن ما عندي دراهم وما عندنا الا فردة مركوب تعطيني بها فقال له الرجل يا سيد كل شي بحسبه اطعمنا الله به قال فضحك العيني وتعجب الشامي من حذقه وانعم عليه ومضى الرجل الى حال سبيله * ومن التورية قول بعضهم هجوا في رجل

اسم عوض ما الفظه

سر موجتي قد سرقت * وضاق بي رحب الفضا
اتيت للسرو ضحي * اخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتي في الريف) اي شهوتي التي اشتهيتها وهي اكلي من الكروش وشبعي منها لاني ما وجدتها في الريف فاذا طلعت المدينة وفعلت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لي المراد وقوله (واشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه في الماء اياما فان اهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم اي يتنقلون به ايام الاعياد ويهادي به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع في بلاد المدن دائما وهو فاكهة الرياف اذا طلعوا المدينة يفتخرون باكله هو والمقيلي وفي الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي رحمه الله تعالى وهو ان من داوم على اكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (واكل مقيلي) اي واشبع من المقيلي وهو الفول المنبت المقلي بالنار ومن هذا سمي مقيلي وهو مشهور ولا يحتاج للتعريف وقوله (والفو بقشرو) اي هو والترمس من شدة شوقي اليه لانني متى اردت تقشير الترمس والمقيلي طال على الامر لاني احتاج الى ان اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفي خاطري ولا مرادي وايضا فان الناظم من اهل الريف والارياف ياخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) ان رجلا جلس هو وغلامه في محل مظلم ياكلان زبيبا فقال لرسيله كل زبيبة زبيبة وانا الاخر مثلك فلما فرغا من الاكل قال له يا صاحب الخير انا اطعمت عليك بقيت اكل اثنتين اثنتين فقال له يا سيدي انا كنت اكلت اثنتين اثنتين انا بقيت اسف سفا والعرب من عاداتهم انهم ياكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالخمسة ويجدون في هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر

هنيئا لاصحاب البيوت بيوتهم * وللاكلين التمر اخماسا اخماسا

وبعضهم يقشر الترمس والمقيلي واحدة واحدة واهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما اري نوقيف) يعني ما انوقف في لفه بقشره ومراده باللف الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك * ثم ان الناظم تمنى ان ياخذ له لبدة فقال

ص واخذ لي لبدة وكرمشنيه * وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف

ش قوله (واخذ لي لبدة) هذا ايضا من جملة قوله لابن بنت حريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا استغنى السعد في سرقة الزرابين وبعتها واكلت

بثمنها اكلا حسيا او معنويا كما تقدم وبقى معى شئ ولو خمسة انضاف اخذت
لى لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) اخذت بالاربعة (كرمشنير) اى
شدا حواشيه غزل احمر فانه يسمى عند اهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر
منهم يقال فلان اليوم لابس لبده وكرمشنير يعنى انه بقى من اكابر الكفر
فالناظم تشوق الى هذا الامر بمعنى انه اذا طلع المدينة وهون الله عليه
بسرقة الزرابى ياخذ ما فى مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكرمشنير فى قوة
وشهامة مثل الكلب الآتى ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جغيف)
وكلب ابن جغيف هذا كان مشهورا فى الكفر بالقوة والشجاعة والنط على
الكلاب ونظف العيش واكل البيض فكان الشخص من اهل الكفر اذا انعم الله
عليه بلبدة وكرمشنير يقولون فلان اليوم اصبح مثل كلب ابن ابو جغيف
اى فى القوة والشطارة والسرقة حتى ستر نفسه وكسا روحه وبقى من الاكابر
كما انك تشبه الانسان فى الخسة بالكلب او الخنزير فتقول انت مثل الكلب
مثلا وابو صاحب الكلب كنى بابى جغيف وجغناف او جغنوف على ما قيل
لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جغناف ثقيل الدم مهذار فى الكلام
من غير فائدة كما رايته فى القاموس الازرق والناموس الابلق
ومن المناسبة لثقيل الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة فى كتاب
الف ليله وليله وهى ما اتفق ان رجلا من اكابر الشام صنع وليمة
وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات
بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على
الجالسين فى منزله فقاموا له اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما اراد
الشاب ان يجلس رأى بين القوم انسانا صنعته مزين فامتنع من الجلوس
واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب
مجيئك معى ودخولك الى منزلى وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتى فقال
له الشاب بالله يا مولاى لا تتعرض على فان سبب هذا كله رؤيتى لهذا
الحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال التيس الحركة
قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرين كلام الشاب فى حق المزين
كرهوا مجالسته وقالوا للشاب ما بقينا والله ناكل حتى تذكر لنا ما وقع لك
مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال الشاب يا جماعة جرى لى
مع هذا التيس فى بغداد بلدى حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر
لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجى وكسر رجلى هذا المنحوس فحلفت انى
لا اجالسه فى مكان ولا اسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من اجله

وسكنت هذه المدينة وهي اقصى البلاد وقد نظرتم عندكم وانا هذه الليلة ما بات
الانسان فرايتما لو لم احدثنا ما جرى لي معه فابى والحوا عليه هذا والمزين قد
اصفر وجهه واطرق براسه الى الارض واما الشاب فانه قال اسمعوا يا جماعة
ان والدي كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيري فلما كبرت وبلغت
انتقل والدي الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت البس
وانعم وانا في اهنى عيش فبينما انا ذات يوم من الايام ماش في زقاق من ازقة
بغداد اذ رايت مصطبة فجلست عليها لاستريح فاذا بصبية كانها الشمس لم تر
عيني اجمل منها اطلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت
ثم انها اغلقت الطاق ومضت فاشتعلت في قلبي النار وشغلت بحبها ومكثت
قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضي المدينة راكب
على بغلة وقدامه العبيد والخدم حتى اقبل على هذا البيت الذي فيه الصبية
ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتي وانا مكروب وزاد علي العشق والهيام
واعتراني الضنا فمرضت بحبها واستمريت على هذا الحال اياما واهلي يبكون علي
ولا يعرفون حالي الى يوم من الايام دخلت علي عجوز فلم يخف عليها امري فقالت لي يا ولدي
انت ما فيك مرض غير انك عاشق فقم واجلس واطلعني على قضيتك وانا ابلغك
مرادك فاثر كلامها في قلبي وجلست واخبرتها الخبر فقالت لي ما صفة الموضع
الذي رايتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان اباها قاضي بغداد فقالت لي
يا ولدي اعرفها واعرف اباها وانا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها لابيها
وانما انا اسعى في اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا مني فطب نفسا وقر
عينا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسي للاكل والشرب وقلت لها اسعي
وجميع ما تطلبينه خذيه مني فقامت من عندي وتوجهت اليها وجاءتني
ثاني مرة ووجهها متغير وقالت لي كلمتها فشتمتني واغلظت علي فلما سمعت
ذلك منها ازددت مرضا على مرضي وصارت العجوز في كل يوم تعود لي فجاءتني
يوما وهي تضحك وقالت لي هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما
ذكرت لها انك مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لي اقريه مني السلام وطيبي قلبه
وقولي له ان عندي اضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء الى الدار
وانا انزل افتح له الباب واطلع به عندي في الطبقة واجتمع انا واياه ساعة ويخرج
قبل ان يعود ابي من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عني ما كنت اجده من الالم
وفرح اهلي ولم ازل مترقبا يوم الجمعة حتى اتى واذا بالعجوز دخلت علي وقالت
هيء نفسك واحلق راسك والبس احسن ثيابك وامض في الميعاد وازل
ما عليك من الاوساخ من الحمام فان معك في الوقت فسحة وخرجت من عندي

فقلت

فقلت لغلام من بعض غلماني امض الى السوق وائتني بمزين يكون عاقلا جيدا
قليل الفضول فغاب عني ساعة واتاني بهذا النحس لا كان الله له في عون فلما دخل
سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي يا سيدي اني اراك ناحل الجسم فقلت له
اني كنت مريضا فقال اذهب الله عنك البأس والاحزان وجميع الآلام والمها
عنك الانتقام ولا زلت بك الاقدام وعافاك الله وشفاك ولا شمتت فيك
اعداك وهناك بما اعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاءك فقال لي ابشر
يا سيدي فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى ثم قال لي تريد يا سيدي
ان تقص شعرك او تفصد ما فانه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
من قص شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه ايضا
انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا قم
الآن واحلق راسي ودع عنك الهذيان ولقلقة اللسان فاني ضعيف من اثر
المرض فادخل يده في جربانه واخرج منديلا كان معه ففتحه فاذا فيه
اصطرلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع راسه الى شعاع الشمس ونظر
فيه ساعة وتأمل طويلا وقال اعلم يا سيدي وفقك الله وهداك ورعاك
وعافاك وشفاك وهداك انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن
عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم بعد خمسة الاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة
الاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومي واربعة الاف سنة من التاريخ
الفارسي والطالع في يومنا هذا على ما اوجب في الحساب من المريخ ثمان درجات
وست دقائق اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه في تسديسه على
ان اخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاي ايضا على انك تريد الاجتماع بشخص
والطالع في هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد اضجرتني
وضيقت منافسي واضجرت روحي وفولت علي بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك
للنجامة ولا لشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ شعري فافعل
ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا اريد والا فاذهب عني ودعني احضر لي
مزينا غيرك فقال يا مولاي احمد الله ان طلبت مزينا فمن الله عليك بمزين ومنجم
وطبيب وعارف بصنعة الكيميا والسيميا والنحو واللغة والمنطق والمعاني والبديع
والبيان وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء
وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشيا
وركبتها وانما كان سبيلك ان تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك فقد
قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

العلماء ورثة الانبياء وما بحمد الله عاجز عن الفضيلة حتى تقول لى هذا القول وانما
اشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليه فى حساب الكواكب فانى ناصح لك ومشفق
عليك واود لو كنت فى خدمتك سنة لان حقك علىّ واجب وحق ابيك قبلك وانت
ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك لكان اسر الاشياء الى قلبى وكل هذا لاجل
منزلتك عندى واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندى اياد متقدمة
وله علىّ فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتى له وما كان يخدمه احد غيرى لما راى
من كثرة ادبى وقلة كلامى وحسن صنعتى وخفة يدى فلهذا كانت رغبته فىّ
وكان يحبنى كثيرا لقلة فضولى فخدمتى لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام
قلت انت اليوم قاتلى لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال له
يا مولاى ومثلى من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله
عليه اذا حضرت عنده يتمنى ان اتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمى ويلتقط
من درر نطقى وفهمى وينظر الى حسن صنعتى ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق
والثانى اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسوانى والخامس
اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وانا لقلة كلامى يسمونى الصامت
وان اردت ان احكى لك عن اصلى وفصلى ونسبى وحسبى وما جرى لاخوتى الستة
من اول الزمان الى آخره فاسمع ما اقول فلما اكثر علىّ الكلام واطاله بلا فائدة
امرض قلبى وخشيت ان مرارتى قد انفطرت فقلت لغلامى ادفع له اربعة دنانير
ودعه يروح عنى لوجه الله تعالى فما بقيت احلق رأسى فى هذا اليوم فلما سمع
ما قلته لغلامى قال لى هذا الخل الخبيث ايش يا مولاى هذا الكلام ايمان المسلمين
تلزمنى لا آخذ منك اجرة حتى احلق رأسك ولا بد لى من خدمتك فانها واجبة
علىّ واصلاح شأنك لازم لى ولا ابالى بعد ذلك ان اخذت منك شيئا او لم آخذ
فان كنت يا مولاى لا تعرف قدرى وحقى فانا اعرف حقك وقدرك لمقام والدك
عندى فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جوادا
عظيما كريما حليما سخيا محبا للاخوان ارسل خلفى مرة فى نهار جمعة مثل هذا اليوم
المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال انقص لى دما فاخرجت
الاسطرلاب واخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فاعلمته
بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع واقضى حاجة مولانا
ففرح بكلامى وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لى الدم
وشكرنى لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فتعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب
فانشدت اقول

*

اتيت الى مولاى انقص دمه * فلم ارو وقتا يقتضى صحة الجسم

* جلست احدثهم بكل عجيبة * وبين يديه انثر العلم من فمي *
* فاعجبه مني السما وقال لي * تجاوزت حد الفهم يامعدن العلم *
* فقلت له ياسيد الكل في الورى * افضت علي الفضل لازلت في حلم *
* لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والعلم *

فلما سمع ابوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطاني ما امر لي به ثم اخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت لداله ثم ان هذا الحسن صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الذي عرف مثلك قال فضحك هذا المحسن من كلامي وقال لا اله الا الله سبحان من يتغير ولا يتغير ما اظن الا ان المرض غيرك لاني ارى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما اظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن انس بن مالك انه قال من ارضى والديه فقد ارضى الله تعالى ومن اسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسي الفقير اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لا دواء له * والمال زين يزين المنظر الشيم
وافش السلام اذا ما جزت في ملاء * والوالدين فكن عونا لبرهم

لكن يا سيدي انت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وابوك وجدك ما كانا يفعلان شيئا الا بمشورتي وقد قالوا في المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشير قال الشاعر

اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد احدا ادرى بالامور مني ومع ذلك اني واقف بين يديك على اقدامي ملك وما ضجرت منك فضجرت مني فقلت له يا هذا لقد اطلت علي واوجعت راسي من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عني واظهرت له الغضب واردت ان اقوم وقد دنا مني الوقت الذي انا منتظره والوعد الذي انا طالبه وانا في كرب من هذا الحسن وكثرة كلامه فقال يا مولاي انا ما اعتب عليك ابدا وانا متعجب منك الذي رايتك بهذه الهم وانا كنت بالامس بامرك على كتفي وامضي بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق راسي وقم عني فقال فعند ذلك لما راني غضبت اخذ الموس وسنه وتقدم الى راسي وحلق منه بعض شعره ثم رفع يده وقال يا مولاي ان العجلة من الشيطان والتاني من عند الرحمن قال الشاعر

تأنى ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * وما من ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأني واظنك مستعجلا وانت قاصد حاجة وانا اخشى ان تكون حاجتك
غير موافقة وامرا غير صالح فاخبرني فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده
واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد
ولا تنقص فقلت له بالله يا هذا اسكت عني فقد ضيقت علي الدنيا وقد ذهبت روحي
منك فتقدم واخذ الموسى وحلق شيئا يسيرا ثم رماه وصار يهذر علي في الكلام الى
ان مضى ساعتان وبقي ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لا ادري كيف
السبيل في الدخول اليها فقلت له احلق راسي بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فاني اريد
ان اتوجه الى دعوة عند اصحابي فلما سمع هذا الشخص بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون
والله يا سيدي ذكرتني جماعة ضيوف عندي ومرادي اصنع لهم طعاما وما عندي شيء وانت
تحضر لي بجميع ما اطلبه ولا اروح الا واياك ولتشرفني اليوم ووليمتي احسن من وليمة اصحابك
فقلت خذ ما تريد واحلق بقية راسي ودعني في حالي فان الوقت ضاق ولا لي حاجة *
في الذهاب الى منزلك واحضرت له جميع ما طلبه حتى البخور والعود ومرادي ان الله يصرفه
عني حتى امضي الى مطلوبي فقال لي يا سيدي وانا الآخر عندي جماعة ملاح زيتون الحمامي
وصليع الفاهي وسلطوح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الجمال وسويد الحمال وحميد
الزبال وابو عكاش البلان وقسيم الحرفان ولكل واحد منهم قصة اذا اردت احكيها
لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغني على المزمار وفي وصفه اقول

روحي الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمائل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به ليلا فقلت له * والشوق ينقص مني كان زالا
اضرمت نارك في قلبي فجاوبني * لا غرو ان اصبح الوقاد زبالا

فامض معي يا سيدي الى اصحابي واترك اصحابك فانك تمضي الى ناس يكثرون من الكلام
فيشوشون عليك واما انا فاني مثل اسمي صامت ولا اكثر الكلام وكذلك اصحابي
لا يتكلمون كلاما كثيرا فاذا توجهت معي اليهم تانس بهم في هذا اليوم في منزلي واني خائف
عليك من الذين انت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولي فيوجع راسك وانت قد ضعفت
روحك من هذا المرض فقلت له في غير اليوم فان مرادي امضي الى اصحابي وامض انت الى اصحابك
فقال هذا الشخص معاذ يا مولاي ان اتخلى عنك وادعك تمضي وحدك فقلت له يا هذا
ان الموضع الذي انا ماض اليه لا يقدر احد ان يدخله غيري فقال يا مولاي
اظنك اليوم في ميعاد واحدة من احبابك واصطحابك بك يريد الخلوة معها
لا تحصيل الحظ والخلاص والانس وللمنادمة معها والا كنت تاخذني معك
وانا احق من جميع الناس واساعدك على ما تريده وانا خائف
ان تكون امراة اجنبية مخادعة تحتال عليك وتفعل معك شيئا ويروح عليك
فان مدينة بغداد ما يقدر احد ان يعمل فيها شيء ووالي بغداد جبار وربما

يصد عني

يصدقك معها او يخبره احد بخبرك فيرمي رقبتك فقلت له يا اخس الناس يا منحوس
ايش هذا الكلام الذي تقابلني به وقد ملأتني غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة
فلم يزل يلح علي حتى فرغ من حلق راسي فقلت له الان امضي الى اصحابك بهذا الطعام
وانا منتظرك الى ان تعود وتمضي معي ولم ازل اداهنه واخادعه وهو
يقول لا امضي الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له اني انتظره
فاخذ جميع ما اعطيته له وخرج ثم انه ارسله مع حمال الى منزله واختفى في قسم
واما انا فقد قمت من وقتي وساعتي وقد سلم المؤذن وضاق الوقت
فلبست ثيابي وسرت مسرعا وحدي الى ان اتيت الزقاق ووقفت على الدار التي
رايت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفي ولم اشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت
فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرني فطلعتني الطبقة التي فيها الصبية فلم اشعر
الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق
ورايت هذا المزين المنحوس قائلا الله قاعدا على الباب فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون
من اين علم هذا الخبيث بي حتى ساق الله لهتك ستري ثم ان صاحب الدار
ضرب جارية من جواره فاتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح فاعتقد هذا
الكلب المزين انه يضربني فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على
راسه وصار يقول قتل سيدي في بيت القاضي واسيداه فاقبل اليه الناس
ثم مضى الى داري والناس خلفه واعلم اهلي وغلماني وقال لهم سيدكم
قتل في بيت القاضي فجاؤا الي صارخين فسمع صاحب الدار الصيحة
والناس يقولون له تقتل في دارك اولاد الناس* والمزين
يقول واقتيلاه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه وهذا
النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال يا قوم ما هذه
القصة فقال له المزين انت قتلت سيدنا في دارك وتسألنا ما هي القصة
فقال له القاضي واين سيدك حتى اقتله فقال له هذا
الخبيث المزين انت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقي
له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له القاضي ومن ادخل سيدك
في داري فقال له عاشق بنتك وقد دخل لها وانت في صلاة الجمعة
حسب الموعد الذي اوعدتم به فلما جئت ورايته ضربته وقتلته وما
بقي يفرق بيني وبينك الا السلطان او تخرجه من
بيتك في هذه الساعة فقال له القاضي وقد اعتراه الحياء والخجل
من الناس ان كنت صادقا فادخل انت واخرجه فنهض هذا
الكلب هذا المزين الخسيس الشقي فلما رايته طلبت طريقا اخرج منها او موضعا

اهرب فيه فلم اجد غير صندوق كبير فدخلت فيه وزددت على القفل
وقطعت النفس وكتمت النفس فالتفت هذا الخبيث المنحوس فلم ير غير الصندوق
في المحل الذي كنت فيه فاتى اليه وحمله على راسه وقد خاب عقلي وخرج
بي مسرعا فلما علمت انه لا يتركني حللت نفسي ورميت روحي من الصندوق
الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرايت خلقا على الباب مثل التراب فصرت انثر
الدنانير على رؤسهم فالتهوا عني فحملني غلماني وعبيدي على عواتقهم وصاروا
يجروا بي في ازقة بغداد وهذا النحس المنحوس يجري خلفي ويقول الحمد لله يا سيدي
الذي خلصك من القتل وانا وراك لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت
القاضي وعشق النساء صعب وصار يشنع علي ويهتكني الى ان ادخلني
غلماني في خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب
وطرده وقد زهقت روحي واشرفت على الهلاك واحضرت فقيها
وكتبت وصيتي وارسلتها الى اهلي واخذت معي بعضا من غلماني
وجانب دراهم وسافرت من بلدي بغداد وما نقلت منزلي بسبب الفضيحة
التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا اسكن في بلدة فيها هذا
النحس فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لي طبيبا وصار يداويني حتى
شفاني الله تعالى ولكن حصل لي من ذلك الكسر عرجا فهذا اول يوم
خروجي من منزلي وقد قابلني ودعوتني اليه وليمتك فلما رايت هذا المشؤم
جالس عندكم ما طاب لي الجلوس ولا الاكل وانما اسال فضلكم ان تسمحوا
لي بان اخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه يا جماعة قصتي
قال فالتفتوا اليه وقالوا له هذا الكلام صحيح فرفع راسه وقال نعم
بحمد الله الذي سخرني لكم فخلصتم وانكسرت رجله فان لم تكسر رجله احسن
من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل لله تعالى فقالوا له الحاضرون
قاتلك الله هتكت الشاب وغربته عن اهله وفضحت قاضي بغداد
ثم انهم نهروه وطردوه من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما
فعله معه هذا النحس وتفرق كل منهم الى حال سبيله *
وفي الغالب كثرة الكلام عند ارباب هذه الصناعة عادة
معروفة وطبيعة جبلية توجد في كبيرهم وصغيرهم خصوصا هذا النحس
ومن المناسبة لذلك ما قاله العلامة القليوبي في نوادره وهو ما حكي عن
الفضل بن الربيع انه قال قال لي الرشيد يوما اطلب منك مزينا ما اسكت
من الحجر فقلت له ان لي غلاما اديبا له معرفة تامة فقال ابعثه الي
فبعثته واكدت عليه انه يلزم السكوت ولا ينطق بشيء وان يتأهب احسن

اهبة واكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا
منقبضا فقال يا فضل ان لذلك الغلام شانا وانا لا اراه ابدا
بعد ذلك اليوم ثم اني سألت فراشا مختصا به عن خبره فقال يا فضل
لما اتى الحاجم جئت به الى امير المؤمنين فلما بدا بالحجامة قال يا امير
اني اسألك عن شيء فقال له ما هو قال قدمت محمدا على المأمون والمأمون
اسن منه فقال لم اخبرك به اذا خلصت ثم قال له ثانيا لم قتلت جعفر بن يحيى
البرمكي فقال له اخبرك به اذا فرغت وقال له ثالثا واسألك
لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب منها فقال له جوابك عن ذلك
اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد
قبل ان تقتله فانه سألني عن ثلاث مسائل لو سألني عنها المنصور لما اجبته
قال الفضل فبينما انا جالس اذ دخل ابو دلامة على الرشيد باكيا وقد
تواطأ مع ام دلامة انه يدخل على الرشيد وهي تدخل على زبيده فلما قبل
بين يديه بكى فقال له الرشيد ما يبكيك فقال

وكنا كزوجي قطا في مفازة * من الامن في عيش رخي وفي رغد
فافردنا ريب الزمان بصرفه * ولم ار شيئا قط اوحش من فرد

ثم اعلن بالنحيب وقال يا امير المؤمنين ماتت ام دلامة وانا
محتاج الى تجهيزها فامر له بمال وكانت ام دلامة قد دخلت على
زبيده وقالت لها ان ابا دلامة مضى الى سبيله فاعطتها مالا
تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيده فقالت له زبيده
يا امير المؤمنين مالي اراك حزينا يا امير المؤمنين فاخبرها الخبر
فضحكت وقالت الآن خرجت ام دلامة من عندي لتجهيز ابي دلامة
فضحك هو ايضا وقال والآن خرج من عندي ابو دلامة لتجهيز ام
دلامة فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا فعجبت منه كيف دخل حزينا
وخرج مسرورا فاخبرني بما حصل فشفعت حينئذ في الحجام
فقبل شفاعتي واطلقه واستحضر ابا دلامة وقال له ما حملك
على هذا فقال يا امير المؤمنين لكي يقال انه لا يتوصل
الى اعطاء امير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلتهما
واذا احتاج انسان الى مشاورة فليشاور حكيما فان المشاورة
مطلوبة شرعا وقد اثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى
وشاورهم في الامر وهو تشريع للامة وقال تعالى وامرهم شورى
بينهم وقال صلى الله عليه وسلم اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم

سمحاؤكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها *
* (رواه الترمذي عن ابي هريرة) * * وانشد ابو القاسم الحبيبي قال انشدني ابو عثمان

شعر

اذا كنت في حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه
وان باب امر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه
ونص الحديث الى اهله * فان الامانة في نصه

وانشد ابو القاسم الحسن قال انشدنا ابو بكر محمد بن المنذر قال انشدنا ابو سلامة المؤدب

شاور صديقك في الخفي المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد اوصى بذاك نبيه * في قوله شاورهم وتوكل

وقال يحيى البرمكي ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول وسمع ابو الاسود الدؤلي رجلا يقول

شعر

اذا كنت في حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه

فقال قد اخطا وقال هذا البيت ايعلم الرسول الغيب وان لم توصه انت فكيف يعلم ما في نفسك ثم قال

اذا ارسلت في امر رسولا * فافهمه وارسله اديبا
ولا تترك وصيته بشيء * وان كان هو ذا عقل اريبا
فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على ان لم يكن علم الغيوبا

ثم ان الناظم عرض على مشايخ الكفر باسمائهم فقال

ص ويجلس جنبي ابن جرو وابن كل خره * وابن كل المضيق وضبيف
وابن فيها النيران وابن الحرخره * وفلوط والزبله وابن كنيف

ش قوله (ويجلس جنبي) يعني مشايخ بلد الناظم الذين افتخر بذكرهم واجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا نزلت من المدينة واتاك المسلمين المتقدم ذكره واجلى مشايخ البلد المذكورون يجلسوا جنبي وهم ثمانية رجال * الاول

(ابن جرو) الثاني ابن كل جره الثالث ابن كل الصك التضعيف اى المتراسل
بعضه اثر بعض حتى يحلى القفا مثل علم سيدى احمد البدوى
مثلا وقيل الصك التضعيف شرطه ان يكون من رجل شديد ويكون
قفا الشخص مصليا خاليا عن شئ يمنع عنه الصك بالاقلام ويراسله
بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة تضاعف الصك احمرار
القفا وورمه * (وضيف) * هذا فعل امر على لغة اهل الريا فى
فى كونه يثبتون حرف العلة فى فعل الامر كقولهم فى قم قوم بالواو
وفى صنف ضيف بالياء وفى نك نيك بالياء والمعنى انه يقول
له صنف الصك على الصك اى اجعله متينا بعضا لا ينقطع
بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كأنه ضربة واحدة فان المضاف
والمضاف اليه كالشئ الواحد ويحتمل ان يكون قوله وضيف من الضيا فهو
واتى به لتمام البيت (و) الرابع * (ابن فسا التيران) سمى بذلك
لان اباه كان انقطع مدة فى داره لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء
فاتخذ له محلا بين الثيران يسمى طوالة وصار يفسى فيها ليلا ونهارا
فصار كلما شم احد رائحته يقول له ما هذا فيقول فسا التيران
فسمى بذلك (و) الخامس * (ابن خرا الحس) سمى ابوه بذلك لكثرة
لحسه من الجلة وهو صغير وقلع عرقيته ووضعها على الارض
وصار يخرا حتى ملاها وصار يلحس من حواليها فسمى بذلك *
(و) السادس قلوط مشتق من القلط على وزن الضرط والحلط
يقال فلان غلط قلوطه بمعنى انه شبع من الرزق وبعى فى الكفر
عظيم الامر يجلس مع المتصر الى ركبه بركبه ويلبس الوطا الاحمر
والشد المشنير * (والسابع) * من مشايخ البلد الزبلة
سمى بذلك لانه كان فى صغره مشغولا بلم الزبل من محل مرعى الغنم
ومن السكك والكيمان ويبيعه وكان هذا سبب لسعادته
وكان بينه وبين قلوط صداقة فى البلد فكان قلوط دائما
فيها لا يفارقها والزبلة تارة يسافر وتارة يقعد فيها *
وكان قلوط هذا فى وسطها سواء بسواء والزبلة فى طرفها
وكانوا يهادون بعضهم بعضا وبينهم محبة ومودة
واتحاد غالبا ومناسبة لان الزبلة قريبة من القلوط وان
كان القلوط ارق منها لكن ابن خرا الحس اعظم واكبر
من الكل واشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت احدا منهم فى البلد

يغلبلسانك الى خرالحس وتجده فى وجهك *
ومن النوادران بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه
اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له ياخرا افعل كذا وكذا
فقال له الكاتب يامولاى لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم
القدر لانه من ارباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك
الحس موضع الخرا بلسانك ولا تخل فيه اشرا
(والثامن) * (ابن كنيف) وكان شهيرا معروفا موصوفا يقصده جميع الناس
من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديما لفلوط
وابن خرالحس قال بعضهم مواليا
* وطواط عشق خفنسا وصبح بها محجوب *
* وبنالها قصر جوابين خلا من طوب
* وحضر النقل والماكول والمشروب *
* ما للنديم الخرا الا لدى المحبوب
ثم ان الناظم لما تمنى ان يجتمع عنده هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح
وينشرح بهذه اللمة عنده قال
ص وافرح باللمة ويلنسرخاطرى * وهذا مرادى يا ابن بنت عريف
ش هذا الكلام خطاب لابن بنت عريف ومراده الفرح والسرور ويقول انه قد كبرت
والزوجة صارت عقيمة زاذا من الله على طالبته يبقى رزق مراتى فانه رزاق كريم قال القائل
يامن طلب رزق ونالو * وقال بقى رزق امراتى
قولى المدجاسرج دقات * لابدلك عن خلق اتى
اوانه اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المراتا كل خرا والعندقون
ولادقنى ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبى صلى
الله عليه وسلم فقال
ص واختم قصيدى بالصلاة على النبى * نبى عزيز مكى شريف عفيف
ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى
كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره
وفى الشفاء لابن سبع عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة على
فانها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان وبالجملة فالصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم كثيرة مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالى فى شرح
ام البراهين ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك

ما روى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا
ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا ان الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم لا يدخلها رياء فهي مقبولة بلا شك وقد روى ان الدعاء موقوف بين السماء
والارض حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدائه وفي انتهائه الحائل قال روى عن ابي
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب
من المياه الباردة وان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب في مقابلة
العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة سلام
الله تعالى على اهل الجنة فناهيك بها من منة قال في كشف الاسرار (وعن ابي هريرة)
رضي الله تعالى عنه مرفوعا من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين
سنة قيل يا رسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطني وحسين العراقي كما في
مسالك الحنفاء وذكره السيوطي مقيدا له بكونه بعد العصر والله اعلم (خاتمة)
في ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان مر منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام
لبعضه آنفا (قيل) تزوج بعضهم بامراة مات عنها خمسة ازواج فلما مرض هذا
السادس صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى السابع الشقي (وحكي)
ان بعض الظرفاء كان يكثر الشراب سرا وكان عليه حجر من ابيه فبلغ والده ذلك فتتبع
اخباره الى ان رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذا فقال هذا لبن
فقال ويحك اللبن ابيض وهذا احمر فقال الولد صدقت انه كان ابيض فلما رآك خجل
واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحي فخجل ابوه وتركه وانصرف (وقيل) كان رجل نحوي
اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اضحكه قال له يا ولدي حرك الاير حركة الاعراب
فانه فاعل بلا ارتياب ومده الحاسنك كالمد المتصل واجعل الحمز له لئلا ينفصل و
اطال الكلام فدخل عليهم رجل يسمى عمرا فضحك زيدا وقال له اعرب ضرب عمرو زيدا فقام
الولد وهو يجري ويقول واعرب وخرج بكر هاربا (وقيل) مرض رجل نحوي وكان
بعيدا عن اهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد جيرانه فقال له امض الى اهلي وقل لهم ان ابا
قد آضنا داء وجع ركبتيه واذى عصيته واسقم بشرته وزاد علته واسهر مقلته واجرى
عبرته وصار يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال له الغلام اقصر انا اقول لاهلك
مات ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده اوصني فقال
اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا ترد على قول نعم ولا تنكرها فانك اذا
كررتها فاتتك مضغة ثانية يتحرك بلع تمسك بها (وقال بعض الطفيلية) اذا
الشمس على العقرب ولم يتخذ نادى مناد من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب
وقيل جاء رجل الى امراة بلحم فقال لها اصلحي بعضه فانه ينفع البطن والقي بعضه فانه ينفع

المظهر واشوى بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب ولا ولحانا نشوى الجميع (وحكى) ان بعض الظرفاء امتدح بعض الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذهما على كتفه وخرج بهما فرآه بعض اصحابه فقال له ما هذا قال انى مدحت مولانا الامير بقصيدة من احسن القصائد فخلع على خلعة من احسن ملابسه فبلغ الامير ذلك وضحك وارسل خلعة واجازه بجائزة حسنة (وحكى) عن الاصمعى انه قال رايت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال اسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها قصدى ان اطوف بالبيت واقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فاخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام آمنين ان شئت تقبل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امراة جميلة ومعها ولد جميل فزنا الرجل بالمراة ولاط بالولد فقالت المراة للولد اعرفه فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض امره على الحكام فقال لها الولد اما انا فكان ظهرى لوجهه واما انت فكان وجهك لوجهه فعرفته له ابلغ من معرفتى اياه (ومات مجوسى) وعليه دين وترك ولدا له دار فقال بعض غرماء الميت لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين ابيك وتخفف بها عنه فقال لهم الولد اذا بعت دارى وقضيت دين ابى هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه فى النار وانا فى الدار (وقال المأمون) ليحيى بن أكثم وهو يعرض له من الذى يقول هذا البيت

قاض يرى الحد فى الزناء * ولا يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضى يحيى اوما يعرف امير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر احمد بن ابى نعيم الذى قال

اميرنا يرتشى وحاكمنا * يلوط والراس شر ما راس
لا ارى الجور ينقضى وعلى الـ * امة وال من آل العباس

فافحم المأمون وسكت خجلا (وارسل) بعض المتغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتى * يسيل المخاط على لحيتى
وليتك عندى اذا ما خرئت * يكون لسانك فى نقرتى
فيملء عطل ماء السما * واورثنى الويل فى ركبتى
اذا لم تزرنى انا مدنف * فان الهوى سهل مغدتى

ومما ينسب للحريرى رحمه الله تعالى

وعرص وقد واظلم وبالفحش وافتخر * فما رفعت دنيا المذخرا ولانقه
ومافيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك الا ملحدا وزنادقه

ومثل ذلك قول الابوصيرى الاديب

ستة فى الهوى افعالهم * بعد الموت بهم تذكر
تحول وعرص وافسق * وعن وقام واشكر

ونختم هذا الكتاب بابيات من بحر الخرافات فنقول

تم كتاب الهلس والتحريف * وما جرى فى وصف اهل الريف
جعلته جزئين باختصار * فجاء كالزبلة فى التيار
لكنه مع ثقل المعانى * وخبط عشوى يا ذوى العرفان
ولفظه الكثيف فى المقال * وحشوه مسائل الهبال
ابحاثه جادت كالحس خرا * يا وجه الاصحاب حقيقة لامراء
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة او قصة مشاهده
واصل ما الجانى لفعله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكى الفخر
شيخنا مام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والاداب
ومعدن الجود مع المطلوب * اعنى الامام احمد السندوبى
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابى * هذا ويرشده الى الصواب
ومن رأى فيه عيوبا وخلل * وسدها فالشخص محل الزلل
ولا يلمنى فالسماح افضل * واعذر اخاك مكرها يا بطل
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبى الهاشمى احمدا * والال والاصحاب انجم الهدى
ما غردت ساجعة الاطيار * او لاح برق فى دجى الاسحار

بحمد الله وعونه تم طبع هذا الكتاب المستطاب والحمد لله اولا وآخرا
ظاهرا وباطنا وصلى الله على
سيدنا محمد واله وكل
ناسج على منواله
امين
تم





